حَمَلَةُ القُرآن مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَام

أ. د/ سَيِّد مُحَمَّد سَادَاتي الشَّنْقِيطي
أستاذ الإعلام الإسلامي بكليّة الدعوة والإعلام
بجامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة

دار الحضارة للنشر والتوزيع

 دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٢٧هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشنقيطي، سيد محمد
حملة القرآن من الصحابة الكرام./ سيد محمد ساداتي الشنقيطي - ط٢، ١٤٢٧هـ
٣٤٦ص ٢٤ سم
ردمك: ٩-١٢١-٥١-٩٩٦٠
١- الصحابة والتابعون أ- العنوان
ديوي ٢٣٩.٩ ١٤٢٧/٥٣٣٠

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٥٣٣٠
ردمك: ٩-١٢١-٥١-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤٩٦٥٥٥ - ٢٧٨٧٣٣٣ فاكس: ٢٤٨٣٠٠٤
المستودع تلفون: ٢٤١٦١٣٩ فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨

حَمَلَةُ القُرآنِ
مِنَ الصَّحَابَةِ الكِرَامِ


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل لـه، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١). ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (٢).

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (٣).

أما بعد فإنه لما كان كتاب الله هو عزة هذه الأمة وشرفها، وهو سر قوتها ومنعتها. به تصان الأنفس والأموال والأعراض، وبه تقام موازين العدل وتتجلى المكارم، وهو حبل الله المتين، والسراج المنير، والنور الذي يبدد الظلمات ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴾. ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١.

(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ [(١)]. من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن أعرض عنه خذل. فإنه لا بد أن يحظى بالعناية الفائقة من المؤمن مع أنه جل جلاله قد تكفل بحفظه من التحريف والتغيير ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [(٢)].

فقد قيض الله له أقواماً هم أهل الله وخاصته يقيمون حروفه وحدوده. هم حملته؛ بهم صانه الله من أي نوع من أنواع التغيير والتبديل.

وفي مقدمة هذه الكوكبة المباركة ثلة كبيرة من صحابة رسول الله ﷺ نقلوه للتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين نقلاً متواتراً.

وكانت سلسلة حملة القرآن بالتواتر تاج الأمة وفخرها.

وما ذلك إلا أنه كان ﷺ جامعاً القرآن في قلبه الشريف، وسيد الحفاظ في عصره المنيف. ومرجع المسلمين في كل ما يعنيهم من أمر القرآن وعلوم القرآن. وكان ﷺ يقرؤه على الناس على مكث كما أمره مولاه، وكان يحيى به الليل ويزين الصلاة.

وكان جبريل يعارضه إياه في كل عام مرة. وعارضه إياه في العام الأخير مرتين.

قالت عائشة وفاطمة – رضي الله عنهما – : سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي».

وأما الصحابة – رضوان الله عليهم – فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم. يتنافسون في استظهاره وحفظه، ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه. ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه. وربما كانت قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها.

وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود، إيثاراً للذة القيام به في الليل، والتلاوة له في الأسحار، والصلاة به والناس نيام. حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى، يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن.

وكان الرسول ﷺ يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل، يبلغهم ما أنزل إليه من ربه ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم، كما بعث مصعب بن عمير وابن أم مكتوم إلى أهل المدينة قبل هجرته، يعلمانهم الإسلام، ويقرئانهم القرآن، وكما أرسل معاذ بن جبل إلى مكة بعد هجرته للتحفيظ والإقراء.

قال عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – : كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي ﷺ إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله ﷺ ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم رسول الله أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا [١].

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن.

ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب. وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة. ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «**إن ربي قال لي قم في قريش فأنذرهم. فقلت لـه: رب إذاً يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة. فقال: مبتليك ومبتلىً بك ومنزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان. فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك وأنفق ينفق عليك**»[(١)] .

فأخبر تعالى أن القرآن لا يحتاج في حفظه إلى صحيفة تغسل بالماء بل يقرؤونه في كل حال، كما جاء في صفة أمته: «أناجيلهم في صدورهم» وذلك بخلاف أهل الكتاب الذين لا يحفظونه لا في الكتب ولا يقرؤونه كله إلا نظراً لا عن ظهر قلب. ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات تجردوا لتصحيحه، وبذلوا أنفسهم في إتقانه وتلقوه من النبي ﷺ حرفاً حرفاً. لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهمٌ. وكان منهم من حفظه كله، ومنهم من حفظ أكثره، ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي ﷺ[(٢)] .

وقد كانت نصرتهم مما تتطلع إليه النفوس الأبية كيما تحظى بشرف التأسي بهم وخاصة الطبقة الأولى منهم، وهم حملة القرآن من صحابة

---

(١) رواه مسلم.

(٢) النشر في القراءات العشر.

رسول الله ﷺ الذين يكثر التساؤل عنهم خاصة في هذه الأيام. وقد وجهت لي شخصياً أسئلة عديدة حول عددهم وأسمائهم بحكم صلتي بكتاب الله؛ مما حفزني إلى محاولة الحصول على إجابة علمية شافية. ومن ثم رأيتني مدفوعاً إلى الكتابة عنهم على ضوء ما تحصل لي من مادة علمية من خلال استنطاق الكتب ذات الصلة بالموضوع. ومع أنني أدرك أنه ليس لي في هذا الجهد إلا جمع ما تناثر في المكتبة الإسلامية حتى يرجع إليه من أراد دون عناء.

وقد رأيت أن يكون التناول لموضوعات هذا الكتاب وفقاً لطبيعته الخاصة على النحو التالي:

- **المقدمة**: ويتركز الحديث فيها حول أهمية موضوع الكتاب من حيث صلته بصيانة كتاب الله من التحريف والتغيير والتبديل. حيث قيض الله له حملة ذلك على مر العصور والدهور الذين هم أهل الله وخاصته، في مقدمتهم حملته من صحابة رسول الله ﷺ - رضوان الله عليهم - إضافة إلى بيان منزلة الكتاب الكريم في حياة المسلمين.
- نصوص أقوال من تعرض لبيان عدد حفاظ القرآن من الصحابة، من المفسرين والمحدثين وعلماء القراءات.
- بيان العدد الإجمالي الذي أمكن استخلاصه مع ذكر من قال بحفظ كل منهم ونبذة مختصرة عنه.
- **الخلاصة**: وفيها خلاصة مركزة لما حواه الكتاب مع بعض التوصيات.

وبعد المقدمة التي مضت يحسن بنا الشروع في الكتاب.



نصوص أقوال من تعرض لبيان عدد حفاظ القرآن من الصحابة من المفسرين والمحدثين وعلماء القراءات وعلوم القرآن

١) قال الإمام ابن كثير – رحمه الله – في بيان عدد حفظة القرآن من الصحابة ما نصه:

حدثنا حفص بن عمر ثنا شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبدالله بن عمرو عبدالله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه، سمعت النبي ﷺ يقول: «**خذوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب**» – رضي الله عنهم.

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع ومسلم والنسائي من حديث الأعمش عن أبي وائل عن مسروق به. فهؤلاء أربعة: اثنان من المهاجرين الأولين: عبدالله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالم هذا من سادات المسلمين وكان يؤم الناس قبل مقدم النبي ﷺ المدينة. واثنان من الأنصار: معاذ بن جبل، وأبي بن كعب وهما سيدان كبيران – رضي الله عنهم أجمعين.

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا شقيق بن سلمة قال خطبنا عبدالله فقال: والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة [1]. والله لقد علم أصحاب النبي ﷺ أني من

---

(١) قال الحافظ في شرحه من الفتح: زاد عاصم عن بدر عن عبدالله. وأخذت بقية المصحف عن أصحابه.

أعلمهم بكتاب الله وما أنا بخيرهم. قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون فما سمعت راداً يقول غير ذلك.

حدثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة قال كنا بحمص فقرأ ابن مسعود سورة يوسف فقال رجل ما هكذا أنزلت، فقال قرأت على رسول الله ﷺ [(١)] فقال «أحسنت». ووجد منه ريح الخمر فقال أتجترئ أن تكذب بكتاب الله وتشرب الخمر؟ فجلده الحد.

حدثنا عمر بن حفص ثنا أبي ثنا الأعمش ثنا مسلم عن مسروق قال: قال عبدالله: والذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم أنزلت ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه.

وهذا كله حق وصدق [(٢)] وهو من إخبار الرجل عما يعلم من نفسه مما قد يجهله غيره. فيجوز ذلك للحاجة كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لما قال لصاحب مصر ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [(٣)] ويكفيه مدحاً وثناءً قول رسول الله ﷺ: **«استقرئوا القرآن من أربعة»** فبدأ به. وقال أبو عبيد ثنا مصعب بن المقدام عن سفيان عن

---

(١) وفي رواية مسلم: والله لقد أقرأنيها رسول الله ﷺ، وفيها فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر الخ.

(٢) قوله: وهذا الخ من كلام ابن كثير لا البخاري.

(٣) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

الأعمش عن إبراهيم عن عمر عن النبي ﷺ: **«من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»**.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن أبي معاوية عن الأعمش به مطولاً وفيه قصة، وأخرجه الترمذي والنسائي من حديث أبي معاوية به وصححه الدار قطني وقد ذكرته في مسند عمر، وفي مسند الإمام أحمد أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد»** وابن أم عبد، هو عبدالله بن مسعود كان يعرف بذلك.

ثم قال البخاري: ثنا حفص بن عمر ثنا همام ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد، ورواه مسلم من حديث همام. ثم قال البخاري تابعه الفضل عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس بن مالك حدثنا معلى بن أسد ثنا عبدالله بن المثنى ثنا ثابت وثمامة عن أنس بن مالك قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. قال ونحن ورثناه.

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط. وليس هذا هكذا، بل الذي لا يشك فيه أنه جمعه غير واحد من المهاجرين أيضاً. ولعل مراده لم يجمع القرآن من الأنصار. ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار وهم أبي بن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها. وفي الثانية من أفراد البخاري أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت

وأبـو زيد، وكلهم مشهورون، إلا أبا زيد هذا فإنه غير معروف إلا في هذا الحديـث. وقـد اخـتلف في اسمـه فقال الواقدي: واسمه قيس بن السكن بـن قـيس بـن ذعـورا بـن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس. وقيل هما اثنان جمعا القرآن. حكاه أبو عمرو بـن عبدالبر وهذا بعيد، وقول الواقدي أصح؛ لأنه خزرجي لأن أنساً قال نحـن ورثـناه وهـم مـن الخـزرج وفي بعـض الألفاظ: وكان أحد عمومتي، وقـال قـتادة عـن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس: مـنا غسيل الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابـت، ومـنا الـذي اهـتز لموتـه العـرش سـعد بن معاذ، ومنا من أجيزت شـهادته بشـهادة رجلـين خـزيمة بـن ثابت. فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القـرآن على عهد رسول الله ﷺ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابـت، وأبـو زيـد فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي، وقد شهد أبو زيـد هـذا بـدراً فيما ذكره غير واحد، وقال موسى بن عقبة عن الزهري: قـتل أبـو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيد على رأس خمس عشرة سنة من الهجرة.

والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصديق – رضي الله عـنه – قدمـه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار مع أنه قال: «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**» فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب لما قدمه عليهم.

هـذا مضـمون مـا قـرره الشيخ أبـو الحسـن علـي بـن إسماعـيل الأشـعري، وهـذا الـتقرير لا يدفـع ولا يشـك فـيه، وقد جمع الحافظ ابن

السمعاني في ذلك جزءاً، وقد بسط تقرير ذلك في مسند الشيخين - رضي الله عنهما.

ومنهم عثمان بن عفان قد قرأه في ركعة كما سنذكره، وعلي بن أبي طالب يقال إنه جمعه على ترتيب ما أنزل.

ومنهم عبدالله بن مسعود وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيم أنزلت، ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطى لذهبت غليه.

ومنهم سالم مولى أبي حذيفة كان من السادات النجباء، والأئمة النقباء، وقد قتل يوم اليمامة شهيداً.

ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم الرسول ﷺ وترجمان القرآن، عن مجاهد أنه قال عرضت القرآن على ابن عباس مرتين أقفه عند كل آية وأسأله عنه.

ومنهم عبدالله بن عمرو كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج عن عبدالله بن أبي مليكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبدالله بن عمرو قال: جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**اقرأه في شهر**» وذكر تمام الحديث[1].

---

(١) الحصر المذكور خطأ قطعاً يجوز من أحد الرواة ولكنهم عنوا بالتماس وجه لصحته تبعاً لصحة سنده وقد استوفى الحافظ ابن حجر في الفتح ما قاله المحققون من الأجوبة عن قول أنس قال بعد إيراد الاحتمالات ما نصه:

وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة (أحدهما) أنه لا مفهوم له فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه (ثانيها) المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك (ثالثها) لم يجمع ما نسخ منه

بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك وهو قريب من الثاني (رابعها) أن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله ﷺ لا بواسطة بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة. (خامسها) أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه وليس الأمر في نفس الأمر كذلك أو يكون السبب في خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب وأمن ذلك من أظهره. (سادسها) المراد بالجمع الكتابة فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب (سابعها) المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين (ثامنها) أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه.

وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهد به أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال: اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع، وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم، ويحتمل أن يقال إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم ولا يخفى بعده.

والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم في البعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة إنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية، وقد صحح مسلم حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله وتقدمت الإشارة إليه وتقدم أنه

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله في ذلك أيضاً ما نصه:

فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان وعليّ وتميم الداري وعبادة بن الصامت وعبدالله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: لم يجمع القرآن غير أربعة، يحتمل أنه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من فيّ رسول الله ﷺ غير تلك الجماعة؛ فإن أكثرهم أخذ بعضه عنه وبعضه عن غيره، وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول ﷺ لهم.

قلت: لم يذكر القاضي، عبدالله بن مسعود وسالماً مولى أبي حُذيفة

ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقرأهم وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ.

وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمرو قال جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال: «اقرأه في شهر» الحديث وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبدالله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس وعد ابن أبي داود في كتاب الشريعة من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذاً الذي يكني أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة ابن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي ﷺ وممن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة اهـ.

- رضي الله عنهما - فيما رأيت، وهما ممن جمع القرآن.

روى جرير عن عبدالله بن يزيد الصهباني عن كُميل قال قال عمر بن الخطاب: كنت مع رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر ومن شاء الله، فمررنا بعبدالله بن مسعود وهو يصلي، فقال رسول الله ﷺ: «**من هذا الذي يقرأ القرآن**». فقيل له: هذا عبدالله بن أم عبد؛ فقال: «**إن عبدالله يقرأ القرآن غضاً كما أنزل**» .. الحديث.

قال بعض العلماء: معنى قوله: «**غضاً كما أنزل**» أي إنه كان يقرأ الحرف الأول الذي أنزل عليه القرآن دون الحروف السبعة التي رُخص لرسول الله ﷺ في قراءته عليها بعد معارضة جبريل - عليه السلام - القرآن إياه في كل رمضان.

وقد روى وكيع وجماعة معه عن الأعمش عن أبي ظبيان قال قال لي عبدالله بن عباس: أي القراءتين تقرأ؟ قلت: القراءة الأولى قراءة ابن أم عبد؛ فقال لي: بل هي الآخرة، إن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه رسول الله ﷺ عرض عليه مرتين، فحضر ذلك عبدالله فعلم ما نُسخ من ذلك وما بدُّل.

وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خذوا القرآن من أربعة من ابن أم عبد - فبدأ به - ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وسالم مولى أبي حُذيفة**».

قلت: هذه الأخبار تدل على أن عبدالله جمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ خلاف ما تقدم، والله أعلم.

وقد ذكر أبو بكر الأنباري في كتاب الردّ: حدثنا محمد بن شهريار حدثنا حسين بن الأسود حدثنا يحيى بن آدم عن أبي بكر عن أبي إسحاق قال قال عبدالله بن مسعود: قرأت من فيّ رسول الله ﷺ اثنتين وسبعين سورة – أو ثلاثاً وسبعين سورة – وقرأت عليه من البقرة إلى قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾[1].

قال أبو إسحاق: وتعلّم عبدالله بقية القرآن من مجمع بن جارية الأنصاري.

قلت: فإن صح هذا، صح الإجماع الذي ذكره يزيد بن هارون، فلذلك لم يذكره القاضي أبو بكر بن الطيب مع من جمع القرآن وحفظه في حياة النبي ﷺ، والله أعلم.

قال أبو بكر الأنباري: حدثني إبراهيم بن موسى الخوزي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا زهير عن أبي إسحاق قال: سألت الأسود ما كان عبدالله يصنع بسورة الأعراف؟ فقال: ما كان يعلمها حتى قدم الكوفة؛ قال وقد قال بعض أهل العلم: مات عبدالله بن مسعود – رحمه الله – قبل أن يتعلم المعوذتين، فلهذه العلة لم توجدا في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

مصحفه، وقيل غير هذا على ما يأتي بيانه آخر الكتاب عند ذكر «المعوذتين» إن شاء الله تعالى.

قال أبو بكر: والحديث الذي حدثناه إبراهيم بن موسى حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عمر بن هارون الخراساني عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن كعب القرظي قال: كان ممن ختم القرآن ورسول الله ﷺ حي عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود، حديث ليس بصحيح عند أهل العلم، إنما هو مقصور على محمد بن كعب؛ فهو مقطوع لا يؤخذ به ولا يعول عليه.

قلت قوله – عليه السلام: **«خذوا القرآن من أربعة: من ابن أم عبد ...»** يدل على صحته، ومما يبين لك ذلك أن أصحاب القراءات من أهل الحجاز والشام والعراق كلٌ منهم عزا قراءته التي اختارها إلى رجل من الصحابة قرأها على رسول الله ﷺ، لم يستثن من جملة القرآن شيئاً، فأسند عاصم قراءته إلى علي وابن مسعود، وأسند ابن كثير قراءته إلى أبي، وكذلك أبو عمرو بن العلاء أسند قراءته إلى أبي، وأما عبدالله بن عامر فإنه أسند قراءته إلى عثمان؛ وهؤلاء كلهم يقولون: قرأنا على رسول الله ﷺ، وأسانيد هذه القراءات متصلة ورجالها ثقات. قاله الخطابي. انتهى كلامه – رحمه الله.

أما المحدثون فقد تعرض لبيان عدد القراء من الصحابة منهم الإمام الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني الذي قال في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري ما نصه:

قولـه: (سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار) في رواية الطبري من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في أول الحديث «افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة: من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن ثابت. فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم.

قولـه: (وأبو زيد) تقدم في مناقب زيد بن ثابت من طريق شعبة عن قتادة «قلت لأنس: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي» وتقدم بيان الاختلاف في اسم أبي زيد هناك وجوزت هناك أن لا يكون لقول أنس: «أربعة» مفهوم، لكن رواية سعيد التي ذكرتها الآن من عند الطبري صريحة في الحصر، وسعيد ثبت في قتادة. ويحتمل مع ذلك أن مراد أنس «لم يجمعه غيرهم» أي من الأوس بقرينة المفاخرة المذكورة، ولم يرد نفي ذلك عن المهاجرين. ثم في رواية سعيد أن ذلك من قول الخزرج، ولم يفصح باسم قائل ذلك، لكن لما أورده أنس ولم يتعقبه كان كأنه قائل به ولا سيما وهو من الخزرج. وقد أجاب القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره عن حديث أنس هذا بأجوبة: أحدها أنه لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه. ثانيها المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك.

ثالثها لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك، وهو قريب من الثاني.

رابعها أن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله ﷺ لا بواسطة، بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

خامسها أنهم تصدوا لإلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفي حال غيرهم عمن عرف حالهم فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك، أو يكون السبب في خفائهم أنهم خافوا غائلة الرياء والعجب، وأمن ذلك من أظهره.

سادسها: المراد بالجمع الكتابة، فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلب، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب.

سابعها: المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية منه، فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها، وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع البين.

ثامنها: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه. وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية «أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال: إن ابني جمع القرآن، فقال: اللهم غفراً، إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع» وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف ولا سيما الأخير وقد أومأت قبل هذا إلى احتمال آخر، وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط، فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين ومن جاء بعدهم، ويحتمل أن يقال: إنما اقتصر عليهم أنس لتعلق غرضه بهم، ولا يخفى بعده.

والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن في حياة رسول الله ﷺ فقد تقدم في المبعث أنه بنى مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك، وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ وفراغ باله له وهما بمكة وكثرة ملازمة كل منهما للآخر حتى قالت عائشة كما تقدم في الهجرة أنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشية.

وقد صحح مسلم حديث «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله» وتقدمت الإشارة إليه، وتقدم أنه ﷺ أمر أبا بكر أن يؤم في مكانه لما مرض فيدل على أنه كان أقراهم، وتقدم عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ، وأخرج النسائي بإسناد صحيح عن عبدالله بن عمر قال: «جمعت القرآن فقرأت به كل ليلة، فبلغ النبي ﷺ فقال: اقرأه في شهر» .. الحديث.

وأصله في الصحيح وتقدم في الحديث الذي مضى ذكر ابن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة وكل هؤلاء من المهاجرين، وقد ذكر أبو عبيد القراء من أصحاب النبي ﷺ فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعداً وابن مسعود وحذيفة وسالماً وأبا هريرة وعبدالله بن السائب والعبادلة، ومن النساء عائشة وحفصة وأم سلمة، ولكن بعض هؤلاء إنما أكمله بعد النبي ﷺ فلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس، وعد ابن أبي داود في كتاب «الشريعة» من المهاجرين أيضاً تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت ومعاذاً الذي

يكنى أبا حليمة ومجمع بن حارثة وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد وغيرهم، وصرح بأن بعضهم إنما جمعه بعد النبي ﷺ، وممن جمعه أيضاً أبو موسى الأشعري ذكره أبو عمرو الداني، وعد بعض المتأخرين من القراء عمرو بن العاص وسعد بن عباد وأم ورقة.

قوله: (تابعه الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن ثمامة عن أنس) هذا التعليق وصله إسحاق بن راهويه في مسنده عن الفضل بن موسى به، ثم أخرجه المصنف من طريق عبدالله بن المثنى «حدثني ثابت البناني وثمامة عن أنس قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة» فذكر الحديث، فخالف رواية قتادة من وجهين: أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة، ثانيهما ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب. فأما الأول فقد تقدم الجواب عنه من عدة أوجه، وقد استنكره جماعة من الأئمة. قال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه، وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد؟ وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع القرآن في عهد النبي ﷺ، وهذا في غاية البعد في العادة، وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

قال: وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة، ولا متمسك لهم فيه فإنا لا نسلم حمله على ظاهره. سلمناه، ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك؟ سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل واحد من الجم الغفير لم يحفظه كله. انتهى كلام ابن حجر - رحمه الله.

وقد اكتفينا به وقد تضمن وجهة نظر المحدثين وتضمن مناقشة عميقة لتوجيه حديث أنس رضي الله عنه في الباب لا مزيد عليها في نظري ومنه ننتقل إلى ما جاء في كتب القراءات وعلوم القرآن عموماً.

ومن ذلك ما قاله الإمام الداني في الأرجوزة المنبة على أسماء القراء والرواة وأصول القراءات ونصه:

القول فيمن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ

وعدد الصحابة الذينا ... قد جمعوا كتابه المبينا
وأكملوه والرسول حيٌّ ... أربعة أقرؤهم أبيٌّ
وزيْدُ بن ثابت وابن جبل ... وقيسٌ الذي به قد انكمل
عددهم وكلهم أنصار ... حباهم بذلك الجبار
كذا أتى في مسند الآثار ... عن أنس بن مالك الأنصاري
بأنهم أربعة سواء ... أكرم بهم نفسي لهم فداء
وجاء في مختلف الأنباء ... بأن منهم أبا الدرداء
عويمر وابن عبيد سعد ... ومن سواهم جمعوه بعد
في زمن الصديق والفاروق ... ذاك زمان الرشد والتوفيق
فكثر الحفاظ للقرآن ... وانتشروا في سائر البلدان
وأقرؤوا الناس ولقنوهم ... كتاب ربهم وفقهوهم
في دينهم وسنة النبيِّ ... وجاء عن عامر الشعبيِّ
بأنه لم يجمع القرآنا ... خليفة غير الرضي عثمانا

***

القول في القراء من الصحابة

وعـــن نـــبي الله قـــد أتانـــا بأنـــه قـــال: خـــذوا القـــرآنا

مـــن نفـــرٍ أربعـــة قـــراء مـــن ابـــن مســـعود أخـــي العلـــياء

ومـــن أُبي ومعـــاذ بـــن جـــبل وســـالم يهنـــيهم هـــذا المحـــل

إذ خصـــهم نبـــيهم بذاكـــا ولم يســـم غيرهـــم إذ ذاكـــا

ولـــيس مـــن أصـــحابه إنســـان إلا وقـــد فضـــله الـــرحمن

وكـــلهم أيمـــةُ في الديـــن وفي الكـــتاب المـــنزّل المـــبين

***

القول في المتصدرين منهم بالمدينة

وزيد بن ثابت والقاري ... أُبي بن كعب الأنصاري

هما اللذان أقرءا بالدار ... بعد النبي المصطفى المختار

وأقرءا خلافة الصديق ... وأقرءا خلافة الفاروق

وأقراء الصحابة الكراما ... والتابعين لهم الأعلاما

وفي أُبي جاء ما قد اشتهر ... منصوصه عن النبي وانتشر

بأنه قال لكل الصحب ... أقرؤكم أُبي بن كعب

وقال إن الله قد أمرني ... بما به جبريل قد أعلمني

وذاك أن أقرأ عليك الذكرا ... كفاه ذا فضيلة وفخرا

وقال في زيد مقال صدق ... بأنه أفرض كل الخلق

وهو الذي قد خص بالكتابة ... دون جميع الصدر والصحابة

للمصحف المتبع الإمام ... بحضرة الأكابر الأعلام

فالناس مجمعون في الأقطار ... على قراة زيد الأنصار

وفي ابن مسعود له مقاله ... مُذ قالها ازداد بها جلالة

من سره أن يقرأ القرآنا ... غضاً ورطباً كالذي أتانا

فليعتمد في لفظه والسرد ... على قراءة ابن أُم عبد

وقال في أصحابه جميعاً ... قولاً بليغاً جامعاً بديعاً

صحبي جميعاً كالنجوم الوقد ... من اقتدى بهم فذاك المهتد

***

القول في المتصدرين منهم بالشام والعراق

وأقــرأ الــنــاس بغــير الــدار	مــن المهاجــرين والأنصــار
جماعــة بالشــام والعــراق	حــين توجهــوا إلى الآفــاق
فقــام بالكوفــة عــبدالله	ثم عــلي الرفــيع الجــاه
وقــام بالبصــرة الأشــعري	وهــو أبــو موســى الرضــى الذكــي
وقــام بالشــام أبــو الــدرداء	عويمــر ذو الفهــم والذكــاء
وقــبله بهــا معــاذ قامــا	مفقهــاً ومقــرئاً أعوامــا
فهــؤلاء المتصــدرونا	في هــذه الأمصــار والمفــتونا

ومنه ما قاله الإمام ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ونصه:

«في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً وطلحة، وسعداً، وابن مسعود. وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبدالله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبدالله ابن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة؛ وهؤلاء كلهم من المهاجرين. وذكر من الأنصار أبيّ بن كعب. ومعاذ ابن جبل. وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس ابن مالك – رضي الله عنهم أجمعين». انتهى كلامه – رحمه الله – فيما يخص بيان من حفظ القرآن من الصحابة مهاجرين كانوا أو أنصاراً. أما الإمام الذهبي فقد قال في كتابه معرفة القراء الكبار ما نصه: وقال يحيى بن آدم: قلت لأبي بكر بن عياش: تقولون إن علياً – رضي الله عنه – لم يقرأ القرآن؟ قال: أبطل من قال هذا.

وروى عاصم بن أبي النجود، عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: ما رأيت أحداً كان أقرأ من علي.

وقال ابن سيرين: يزعمون أن علياً كتب القرآن على تنزيله، فلو أصبت ذلك الكتاب، لكان فيه علم.

***

الطبقة الأولى:
الذين عرضوا على رسول الله ﷺ رضي الله عنهم

عثمان بن عفان - رضي الله عنه:

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب، أمير المؤمنين أبو عمرو، وأبو عبدالله، القرشي الأموي، ذو النورين - رضي الله عنه.

أحد السابقين الأولين، وأحدُ من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ قرأ عليه المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، ويقال: قرأ عليه ابن عامر، وليس بشيء، إنما قرأ على المغيرة عنه.

وحدث عنه بنوه: أبان، وعمرو، وسعيد، وحُمران بن أبان، وابن عباس، وعبدالله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك - رضي الله عنهم أجمعين. والسائب بن يزيد، وأبو أمامة بن سهل، وأبو عبدالرحمن السلمي، والأحنف ابن قيس، وطارق بن شهاب، وخلق كثير.

تزوج بابنة رسول الله ﷺ رقية - رضي الله عنها - فولدت له عبدالله، وبه كان يُكنى، ثم كني بابنه عمرو. فلما توفيت رقية ليالي بدر، زوجه النبي ﷺ بأختها أم كلثوم - رضي الله عنها - ولها البيضاء.

قال الزبير بن بكار: هي توأمة عبدالله والد النبي ﷺ. هاجر عثمان بزوجته إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، فمرضت رقية، فتركه النبي ﷺ عند مسيره إلى بدر ليمرضها، وضرب نبي الله ﷺ له بسهمه وأجره.

روى الربيع بن بدر عن الحُريري، عن عبدالله بن حزم المازني، قال: رأيتُ عثمان فما رأيت ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه.

وقيل: كان أبيض ربعة، رقيق الوجه، حسنه، كبير اللحية، أسمر، بعيد ما بين المنكبين، يخضب بالصفرة، وشد أسنانه، لما شاخ، بالذهب.

قال السائب: ما رأيت شيخاً أجمل منه.

وعن الحسن البصري قال: كان بوجه عثمان نكتات جُدري، وإذا شعره قد كسا ذراعيه.

وروي عن عثمان، قال: لقد اختبأت عشراً وإني لرابع الإسلام، وما تغنيتُ ولا تمنيتُ، ولا وضعتُ يميني على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا مرت جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة، ولا زنيت قط.

قلت: قد صنفت كتاباً مفرداً في سيرة عثمان، وقد ساق ابن عساكر سيرته في أربعين كراساً. ومناقبه عديدة.

قُتل مظلوماً، شهيداً، مصبوراً، صابراً، محتسباً، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وذلك في ثامن عشر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وله اثنتان وثمانون سنة، على الصحيح. وقيل عاش ستاً وثمانين سنة.

وكان في أيامه فتح المغرب، وفتح إقليم خراسان وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة – رضي الله تعالى عنه.

***

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه

ابن أبي طالب عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام، أمير المؤمنين، أبو الحسن الهاشمي، ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء - رضي الله تعالى عنهما.

كان أسبق السابقين الأولين إلى التوحيد، لم يسبقه أحدٌ إلا خديجة.

واختلف فيه، وفي أبي بكر، أيهما أسلم أول، ولكن إسلام الصديق أعظم اعتباراً، وأكمل، فرضي الله تعالى عنهما.

أسلم علي، وله سبع أو ثماني سنين، وقيل تسع سنين، وقيل ابن عشر، وقيل ابن اثنتي عشرة، وقيل ابن ثلاث عشرة، وقيل - وهو بعيد - ابن خمس عشرة.

فقد روى ابن عيينة عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قُتل علي ابن ثمان وخمسين، فهذا يطابق إسلامه ابن سبع أو نحوها. وروي عبدالله بن محمد بن عقيل عن ابن الحنفية، قال: قُتل أبي، وله ثلاث وستون سنة.

وكذا قال أبو إسحاق السبيعي، وأبو بكر بن عياش، وجماعة. وهو رواية فُرات بن السائب، عن ميمون بن مهران، عن ابن عمر، وهو القول الآخر عن أبي جعفر.

وقال الهيثم بن عدي، وأبو بكر بن البرقي، وغيرهما: عاش سبعاً وخمسين سنة.

وقد قرأ كثيراً من كتاب الله تعالى في أيام النبي ﷺ، أو كل القرآن. وجاء عنه أنه جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ، فالله تعالى أعلم.

وهذا الشعبي يقول: لم يجمع القرآن أحدُ من الخلفاء الأربعة إلا عثمان. وأما أبو بكر بن عياش فروى عن عاصم، قال: ما أقرأني أحدٌ حرفاً إلا أبو عبدالرحمن السلمي، وكان قد قرأ على علي - رضي الله تعالى عنه - فكنت أرجع من عنده فأعرض على زر، وكان زر قد قرأ على ابن مسعود، فقلت لعاصم: لقد استوثقت.

وروى عاصم بن أبي النجود عن أبي عبدالرحمن السلمي، قال: ما رأيت أحداً أقرأ من علي - رضي الله تعالى عنه.

وقال محمد بن سيرين: يزعمون أن علياً كتب القرآن على تنزيله، فلو أصبت ذلك لكان فيه علمٌ.

الأعمش عن عدي بن ثابت عن زر سمع علياً يقول: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي ﷺ إلي **«أنه لا يحبك إلا مؤمن، ولا يُبغضك إلا منافق»** [١].

ومناقب أبي الحسن - رضي الله تعالى عنه - جمة قد أفردتها في مصنف سميته: «فتح المطالب في سيرة علي بن أبي طالب».

أجمع المسلمون على أن علياً قتل شهيداً، وقتل يوم قُتل، وما على وجه الأرض بدري أفضل منه. ضربه ابن مُلْجم المرادي الخارجي

---

(١) اخرجه مسلم.

صبيحة سبع عشرة من رمضان سنة أربعين من الهجرة بمسجد الكوفة بخنجر في دماغه، فتلف منها، وحاز الشهادة - رضي الله تعالى عنه - وكرم الله وجهه.

***

أبي بن كعب

ابن قيس بن عُبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار، أبو المنذر الأنصاري – رضي الله عنه – أقرأ الأمة.

عرض القرآن على النبي ﷺ. أخذ عنه القراءة ابن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، وأبو عبدالرحمن السلمي.

وحدث عنه سويد بن غفلة، وعبدالرحمن بن أبزى، وأبو المهلب، وآخرون. شهد بدراً والمشاهد كلها ومناقبه كثيرة.

وكان ربعةً من الرجال، شيخاً، أبيض الرأس واللحية، روى سلام عن زيد العمي، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **«أرحمُ هذه الأمة بها أبو بكر»** وذكر الحديث وفيه: **«وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب»** سلاّم ضعيف، وزيد حسن الحديث.

وقال حماد بن سلمة عن عاصم الأحول، عن أبي قلابة: إن رسول الله ﷺ قال: **«أقرؤهم أبي بن كعب»** هذا مرسل جيد. ورواه خالد الحذاء عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك موصولاً، ولكن قد قال أحمد وغيره: لم يسمعه أبو قلابة من أنس.

قلت: قد احتجا في الصحيح بأحاديث من رواية أبي قِلابَة عن أنس، فلولا علّة هذا الخبر لكان على شرط الشيخين.

أخبرنا عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي الحافظ، قال انا عليّ بن مختار، قال أنا أبو طاهر السِّلَفي، قال انا الحسين بن الحُسين الغانيدي، وابن الطيوري، وعبدالرحمن، ومحمد بن عبدالمالك، قالوا إنا الحسن بن أحمد البزار، قال انا عثمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عبيدالله بن المنادي، حدثنا ، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أنس - رضي الله تعالى - عنه، قال: إن النبي ﷺ قال لأبيّ بن كعب: «**إني أمرتُ أن أقرئك القرآن أو أقرأ عليك القرآن**»، قال: الله سمّاني لك، قال: وقد ذكرتَ عند رب العالمين، قال: «**نعم**» فبكى أبيّ البخاري عن أبي جعفر بن المنادي.

قال ابن أبي مليكة سمعت ابن عباس يقول: (قال عُمر - رضي الله عنه - أقضانا عليّ، وأقرؤنا أبي).

وقال أيوب سمعت أبا قلابة عن أبي المهلب قال كان أُبي - رضي الله تعالى عنه - يختم القرآن في ثمان، إسناده صحيح.

وقال النبي ﷺ: لما سأل أبياً: «**أي القرآن أعظم**»؟ قال: آية الكرسي. قال: «**ليهنك العلم، أبا المنذر**».

وقال عمر - رضي الله عنه - يوم موت أُبي: (اليوم مات سيد المسلمين). حين مات سنة عشرين أو سنة تسعة عشرة.

وقال الواقدي: ومحمد بن عبدالله بن نمير ومحمد بن يحيى والترمذي: سنة اثنتين وعشرين.

قلت: كان أُبيّ بن كعب أقرأ من أبي بكر، وعمر، وبعد هذا فما

استخلفه النبي ﷺ على الصلاة. مع قوله – عليه الصلاة والسلام – : «**يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله**» .. الحديث.

وأجيب عن هذا الإيراد بأن النبي ﷺ استخلف الصديق على الصلاة ليستقر في النفوس أهليته للخلافة الكبرى، إذ الصلاة أهم للدين.

روى أبو وائل عن مسروق عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**استقرؤوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حُذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبيّ بن كعب**» - رضي الله تعالى عنهم.

وعن مسلم بن مشكم قال: قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن، فعددتهم ألفاً وست مئة ونيفاً، وكان لكل عشرة منهم مقرئ. وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائماً وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء – رضي الله عنه.

فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في حياة النبي ﷺ، وأُخذ عنهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيدُ قراءة الأئمة العشرة.

وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل، وأبي زيد، وسالم مولى أبي حذيفة (وعبدالله بن عمر، وعتبة بن عامر) ولكن لم تتصل بنا قراءتهم، فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة – رضي الله عنهم – واختصرت أخبارهم، فلو سقتها كلها لبلغت خمسين كراساً.

وقال في طبقات القراء ما نصه:

عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه

ابن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، الإمام أبو عبدالرحمن الهذلي المكي ابن أم عبد، أحد السابقين الأولين.

ومن مهاجرة الحبشة، ثم المدينة. شهد بدراً والمشاهد. واحتزَّ رأس أبي جهل فأتى به رسول الله ﷺ.

وكان ممن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وتلقن عامته منه، وأقرأه. كان يفتخر - وحق له - بقول: حفظت من فيّ رسول الله ﷺ سبعين سورة.

قرأ عليه علقمة، ومسروق، والأسود، وزر بن حبيس، وزيد بن وهب، وأبو عمرو الشيباني وأبو عبدالرحمن السلمي، وطائفة.

وتفقه به خلقٌ كثير، وكانوا لا يفضلون عليه أحداً في العلم. وأمه أم عبد هذلية أيضاً من المهاجرات الأول.

كان عبدالله يلزم رسول الله ﷺ، ويخدمه ويحمل نعله، إذا خلعها، وكان آدم خفيف اللحم، لطيف القد، أحمش الساقين، حسن البزة، طيب الرائحة، موصوفاً بالذكاء والفطنة.

أسلم قبل عمر..

وقد قال له النبي ﷺ: **«إنك لغُليمٌ مُعلَّم»**.

قال حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس - رضي الله عنه: إن النبي

ﷺ آخي بين الزبير وابن مسعود. هذا حديث حسن غريب.

قال أبو موسى الأشعري: ما كنت أحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت لكثرة دخولهم وخروجهم.

وكان النبي ﷺ يُطلع ابن مسعود على أسراره، ونجواه. وكان يتولى فراش النبي ﷺ ووساده، وسواكه، ونعله، وطهوره.

وروى عبيدة السلماني عن ابن مسعود، قال: إن النبي ﷺ بشره بالجنة.

وقال النبي ﷺ **«من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد»**.

وسمعه مرة يدعو، فقال: سل تعطه، فبادر إليه عمر من الغد ليبشره بذلك.

وقد قال - عليه الصلاة والسلام - في رجلي عبدالله: **«هما في الميزان أثقل من أحد»**.

وقال: تمسكوا بعهد ابن أم عبد.

قال حذيفة: ما أعلم أحداً أقرب سمتاً، ودلاً، وهدياً برسول الله ﷺ حتى يوارى بيته من ابن أم عبد، رضي الله تعالى عنه.

وقال أبو وائل عن عبدالله، قال: لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أقرؤهم لكتاب الله، ولو أعلم أحداً تُبلغنيه الإبل أقرأ مني لرحلت إليه.

وقال زيد بن وهب: جاء ابن مسعود إلى مجلس عمر - رضي الله عنهما - فجعل يكلم عُمر ويُضاحكه فكاد الجلوس يوازونه من قصر

فلما ولى، قال عمر: كنيف ملئ علماً.

وقال أبو موسى: لمجلس كنت أجالسه ابن مسعود أوثق في نفسي من عمل سنة.

الأعمش عن عمارة بن عمير عن حريث بن طُهير، قال: جاء نعي عبدالله إلى أبي الدرداء، فقال: ما ترك بعده مثله.

قد كان عبدالله رأساً في تجويد القرآن، مع حسن الصوت. روى قرة ابن خالد عن النزال بن سبرة قال: صلى بنا ابن مسعود المغرب بـ ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ﴾ ، فلوددت أنه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيله.

وعن عبدالله، قال: لا تنشروا القرآن نشر الدقل، ولا تهذوه هذَّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة.

مناقب ابن مسعود كثيرة، وعلومه غزيرة.

اتفق أنه قدم من الكوفة وافداً على عثمان فأدركه أجله بمدينة النبي ﷺ، في آخر سنة اثنتين وثلاثين، وله ثلاث وستون سنة. وفيها توفي أبو ذر الغفاري، والعباس، وأبو الدرداء، وعبدالرحمن بن عوف – رضي الله تعالى عنهم.

***

زيد بن ثابت - رضي الله عنه

ابـن الضحاك بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مـالك بـن الـنجار، أو خارجـة وأبو سعيد الأنصاري، الخزرجي، المقرئ الفرضي.

كاتـب الـنبي ﷺ، وأميـنه عـلى الوحـي. كـان أسن من أنس بسنة. وكان شاباً ذكياً، ثقفاً، فقيهاً.

جمـع القرآن على عهد رسول الله ﷺ، وكتبه في الصحف لأبي بكر الصـديق، ثم تولى كتابة المصحف العثماني الذي بعث به عثمان بن عفان إلى أمصار الإسلام. أخذ القرآن عن النبي ﷺ.

وتصـدر لـلأداء، فتلا عليه أبو هريرة، وابن عباس في قول. وحدث عـنه ابـنه خارجة الفقيه، وابن عمر، وأنس، وعبيد بن السباق، وعطاء بن يسار، وحُجر المدري، وعروة بن الزبير، وطاووس، وآخرون.

شـهد الخـندق والحديبـية، وكان أمير المؤمنين يستخلفه على المدينة، إذا حج.

قـال أنـس بـن مـالك: جمـع القـرآن على عهد رسول الله ﷺ زيدٌ، وأُبي، ومعاذ، وأبو زيد الأنصاريون.

قـال محمـد بـنِ سـعد: ثـنا محمد بن عمر، قال: حدثني الضحاك بن عـثمان عن الزهري، قال: قال ثعلبة بن أبي مالك: سمعت عثمان يقول: مـن يعذرنـي مـن ابـن مسـعود غضب إذ لم أولّه المصاحف. فهلا غضب

على أبي بكر وعمر، وهما عزلاه عن ذلك، ووليا زيداً فاتبعت فعلهما.

داود بن أبي هند، عن الشعبي، قال: لم يجمع القرآن في حياة رسول الله ﷺ غير ستة، كلهم من الأنصار: زيد بن ثابت، وأبو زيد، ومعاذ ابن جبل، وأبيّ، وأبو الدرداء، ونسي داود السادس. رواه إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي فسمى السادس: سعد بن عبيد، وزاد آخر، وهو مجمع بن جارية، فقال: قرأ أيضاً القرآن سوى سورة أو سورتين أو ثلاثاً.

قال حفص عن عاصم، عن أبي عبدالرحمن، قال: لم أخالف علياً في شيء من قراءته، وكنت أجمع حروف علي فأبقي. فما اختلفا إلا في التابوت، كان زيد يقرؤها بالهاء، وعلي بالتاء.

توفي زيد سنة خمس وأربعين، على الأصح.

***

أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه

عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار الأشعري اليماني - رضي الله عنه - هاجر إلى النبي ﷺ فقدم عليه عند فتح خيبر. وحفظ القرآن والعلم، ولئن قصرت مدة صحبته، فلقد كان من نجباء الصحابة.

وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن. سمع النبي ﷺ تلاوته، فقال: **«لقد أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود»**.

وقد استغفر له النبي ﷺ واستعمله على زبيد، وعدن. ثم ولي إمرة الكوفة والبصرة لعمر - رضي الله عنه - وحكمه عليٌّ - رضي الله عنه - على نفسه في شأن الخلافة لجلالته، وفضله، فخدعه عمرو، ومكر به.

وقرأ عليه أبو رجاء العطاردي وحطان بن عبدالله الرقاشي. وحدث عنه بنوه: أبو بكر، وأبو بردة، وموسى، وإبراهيم، وربعي ابن حراش، وزَهْدَمٌ الجرمي، وسعيد بن المسيب، وخلق سواهم.

وكان فتح أصبهان على يده، زمن عمر .. ومحاسنه كثيرة.

أخبرنا عمر بن عبدالمنعم عن أبي اليمن الكندي، وأخبرنا الخضر ابن عبدالله بن عُمر، والمسلم بن محمد، وعبدالرحمن بن محمد ابن أحمد بن عبدالسلام إجازة، قالوا: أخبرنا عمر بن محمد المؤدب.

وأنبأنا المؤمل بن محمد وجماعة، قالوا أنبأنا الكندي، وأنبأنا المقداد ابن هبة الله، قال أخبرنا عبدالعزيز بن الأخضر. وأنبأنا يحيى بن أبي منصور الفقيه، قال أخبرنا عبدالعزيز منيناً، قالوا أخبرنا محمد بن

عبدالباقي، قال أخبرنا إبراهيم بن عمر: حضوراً، قال أخبرنا عبدالله بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو مسلم الكجي، حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري، قال: حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أبي موسى الأشعري – رضي الله تعالى عنه – قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فترقينا عقبة أو ثنية، فكان الرجل منا إذا علاها، قال: **لا إله إلا الله، والله أكبر**، فقال رسول الله ﷺ: «**إنكم لا تنادون أصم ولا غائباً، وهو على بغله يعرضها**»، فقال: «**يا أبا موسى – أو يا عبدالله بن قيس – ألا أعلمك كلمة من كنوز الجنة**»؟ قلت: بلى. قال: «**لا حول ولا قوة إلا بالله**». أخرجه أصحاب الكتب الستة، من وجوه عن أبي عثمان النهدي.

توفي أبو موسى في ذي الحجة سنة أربع وأربعين، على الصحيح.

***

أبو الدرداء - رضي الله عنه

هو عويمر بن زيد، ويقال عويمر بن عبدالله، ويقال ابن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، حكيم هذه الأمة.

قرأ القرآن في عهد رسول الله ﷺ. وقد تأخر إسلامه مع جلالته عن غزوة بدر. وهذا عجيب.

أبلى يوم أحد بلاءً حسناً. وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سلمان الفارسي.

وكان - عليه الصلاة والسلام - عند مقدمه إلى المدينة قد آخى بين المهاجرين والأنصار، وهذان فاسلما بعد ذلك بمدة، فآخى بينهما.

وقد ولي أبو الدرداء قضاء دمشق. وكان من العلماء الحلماء الألباء.

قيل: إن عبدالله بن عامر قرأ عليه، وهذا غير صحيح لأن ابن عامر لم يدرك ذلك اللهم إلا أن يكون قرأ عليه سورة أو سورتين، وذلك أيضاً بعيدٌ.

وقد قرأ عليه عطية بن قيس، وأم الدرداء، زوجته، وروى عنه أنس، وأبو أمامة، وأم الدرداء، وابنه بلال وعلقمة بن قيس، وجبير بن نفير، وأبو إدريس الخولاني، وخالد بن معدان وسعيد بن المسيب ولم يدركاه، بل أرسلا عنه.

قال سويد بن عبدالعزيز: كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع

دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفاً، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره. فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه. فإذا غلط العريف رجع إلى أبي الدرداء، فسأله عن ذلك، قال وكان ابن عامر عريفاً على عشرة، كذا قال سويد، قال: فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر.

وعن مسلم بن مشكم قال لي أبو الدرداء: اعدد من يقرأ عندي القرآن. فعددتهم فكانوا ألفاً وستمائة، ونيفاً. وكان لكل عشرة منهم مقرئ، وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائماً. وإذا أحكم الرجل منهم في حفظ القرآن تحول إلى أبي الدرداء – رضي الله تعالى عنه.

توفي سنة اثنتين وثلاثين، وما خلف بالشام بعده مثله – رضي الله عنه.

فهؤلاء الذين بلغنا أنهم حفظوا القرآن في زمن النبي ﷺ وأخذ عنهم من بعدهم عرضاً، وعليهم دارت أسانيد قراءة الأئمة العشرة.

وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ وأبي زيد وسالم مولى أبي حذيفة وعبدالله بن عمر، وعتبة بن عامر، ولكن لم تتصل بنا قراءتهم فلهذا اقتصرت على هؤلاء السبعة – رضي الله عنهم واختصرت أخبارهم، فلو سقتها كما ينبغي، لبلغت خمسين جزءاً، والله تعالى أعلم.

***

الطبقة الثانية:
وهم الذين عرضوا على بعض المذكورين قبلهم

أبو هريرة. رضي الله عنه:

الدوسي الحافظ صاحب النبي ﷺ، ممن هاجر إلى المدينة.

في اسمه عدة أقوال: أقواها وأشهرها عبدالرحمن بن صخر، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فأسلم هو وأمه، وروى ما لا يوصف كثرة عن النبي ﷺ.

وقرأ القرآن على أبي بن كعب. قرأ عليه في أيام معاوية غير واحد. وحدث عنه نحو من ثمانمائة إنسان، وحديثه المخرج في مسند بقى بن مخلد أزيد من خمسة آلاف حديث.

وكان إماماً، فقيهاً، مفتياً، صالحاً، حسن الأخلاق، متواضعاً، محبباً إلى الأمة.

حدث عنه سعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبدالرحمن وعبيد الله بن عبدالله، وأبو صالح السمان، وأبو حازم الأشجعي، وعروة وابن سيرين، وهمام بن منبه، وسعيد المقبري، ومحمد بن زياد الجمحي، وخلق.

وكان رجلاً آدم، بعيد ما بين المنكبين ذا ضفيرتين، أفرق الثنيتين، يخضب بالحمرة.

وقد ذاق في أول إسلامه جوعاً وفاقة شديدة، ثم استعمله عمر

فأثرى، وكثر ماله، وولي إمرة المدينة زمن معاوية.

وكان كثير العبادة والذكر. مر في ولايته، وهو حامل حزمة حطب، وهو يقول أوسعوا الطريق للأمير.

وروى محمد بن عمر الأسلمي، حدثنا عبدالحميد بن جعفر، عن أبيه، عن زياد بن ميناء، قال: كان عباس، وابن عمرو، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجابر مع غيرهم من الصحابة يفتون بالمدينة، ويحدثون من لدن توفي عثمان إلى أن ماتوا، وإلى هؤلاء الخمسة صارت الفتوى.

وأخبار أبي هريرة مستوفاة في تاريخ دمشق. توفي – رضي الله عنه – سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، فالقولان مشهوران، توفي بالمدينة.

***

ابن عباس - رضي الله عنهما

هو عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، الإمام الحبر البحر ترجمان القرآن أبو العباس الهامشي، ابن عم رسول الله ﷺ صلّى خلف نبي الله ﷺ مرات، وسمع تلاوته، وحفظ في أيامه سوراً من القرآن.

ثم قرأ القرآن على أبي بن كعب وعلى زيد. وروى عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وعثمان، وأبي ذر، والعباس، وأبي سفيان، وطائفة.

وعنه عكرمة، وطاووس، وأبو الشعثاء جابر، ومجاهد، وعكرمة بن خالد، وعلي بن الحسين، وعبيد الله بن عبدالله، وأمم.

وتلا عليه مجاهد، وسعيد بن جبير، والأعرج، وعكرمة بن خالد وسليمان ابن قتة وأبو جعفر القارئ.

دعا له النبي بأن يفقهه الله في الدين، وأن يعلمه التأويل.

قال: جمعت المفصل على عهد رسول الله ﷺ، وذكر أنه كان في حجة الوداع، وقد بلغ الحلم.

وكان رجلاً أبيض طويلاً، مشرباً صفرة، جسيماً وسيماً، مليح الوجه، يخضب بالحمرة، مديد القامة.

قال عطاء بن أبي رباح: ما رأيت البدر إلا ذكرت وجه ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما.

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة فوضعت لرسول الله ﷺ غسلاً، فقال: «**من وضع هذا**»؟ قالوا: عبدالله، فقال: «**اللهم علمه التأويل، وفقهه في الدين**». وروى نحوه عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس.

وروى كريب عن ابن عباس أن النبي ﷺ دعا له أن يزيده الله فهماً وعلماً.

قلت: توفي بالطائف سنة ثمان وستين، وصلّى عليه محمد بن الحنفية، وقال: اليوم مات رباني الأمة. وقد كف بصره في أواخر عمره – رضي الله عنه.

***

عبدالله بن السائب - رضي الله عنه

واسمه صيفي بن عابد بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة. ويقال أبو عبدالرحمن قارئ أهل مكة.

له صحبة، ورواية يسيرة، فهو معدود في صغار الصحابة وأبوه أو جده كان شريك النبي ﷺ قبل النبوة.

قرأ عبدالله القرآن على أبي بن كعب. وحدث أيضاً عن عمر - رضي الله عنه.

عرض عليه القرآن مجاهد. وقيل إن ابن كثير قرأ عليه، ولم يصح، فلعله قرأ عليه بعض القرآن.

وقد روى الفضل بن شاذان عن أحمد بن يزيد الحلواني، عن ابن عون النبال، عن أبي القواس عن شبل، ومعروف أنهما قرءا على ابن كثير، وأنه قرأ على عبدالله بن السائب.

وحدث عنه ابن أبي مليكة، وعطاء بن أبي رباح، وسبطه محمد بن عباد ابن جعفر المخزومي وآخرون.

قال مسلم، وابن أبي حاتم، وغيرهما: له صحبة.

وقال الزبير بن بكار ثنا أبو ضمرة عمن حدثه عن أبي السائب عبدالله بن السائب المخزومي، قال: كان جدي في الجاهلية يكنى أبا السائب، وبه اكتنيت، وكان خليطاً للنبي ﷺ في الجاهلية، فكان النبي ﷺ إذا ذكره، قال: «**نعم الخليط كان أبو السائب لا يُشاري ولا يُماري**».

ابـن عيينة عـن داود بـن شـابور عـن مجـاهد، قال: كنا نفخر على الـناس بقارئـنا عـبدالله بـن السـائب، وبفقيهـنا ابـن عباس، وبمؤذننا أبي محذورة، وبقاصنا عُبيد بن عمير الليثي.

أخـبرنا أبـو سـعيد سُـنقر بن عبدالله الحلبي بها قال: أنا عبداللطيف ابـن يوسـف، قـال أنـا أبـو الحسـين عـبدالحق، قـال أنا علي بن محمد بن العـلاف، قـال أنـا علي بن أحمد المقرئ، قال أنا عبدالباقي بن قانع، قال: حدثـنا محمد بن شاذان، قال: حدثنا هوذة، حدثنا ابن جريج عن محمد بن عـباد بـن جعفر حديثاً رفعه إلى أبي سلمة بن سفيان، وعبدالله بن عمرو، عـن عـبدالله بـن السائب، قال: حضرت رسول الله ﷺ يوم الفتح يصلّى في ظـل الكعـبة، فخلـع نعلـيه، ووضـعهما عـن يسـاره، واستفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر موسى وعيسى أخذته سعلة، فركع.

علقـة الـبخاري في صـحيحه ممرضـاً، فقـال: وذكـر عن عبدالله بن السائب.

وأخـرج مسـلم وأبـو داود والنسائي وابن ماجة حديث عبدالرزاق وأبـي عاصـم عـن ابـن جـريج عن محمد عنهما وعن عبدالله بن المسيب العـابدي جمـيعاً، عـن عبدالله بن السائب. وخالفهم ابن عيينة، فرواه عن ابـن جُـريج عـلى وجهـين فبالإسـناد، قال: حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سـفيان، قال: حدثنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عبدالله بن السائب رضي الله تعالى عنه.

ابـن جـريج عـن ابـن ملـيكة عـن محمـد بن عباد، وعن عبدالله بن السائب.

تـوفي في دولـة ابن الزبير قبل السبعين .. قال ابن أبي ملكية: رأيت ابـن عـباس قـام عـلى قبر عبدالله بن السائب فدعا له، ثم انصرف. رواه ابن جريج عنه.

وقال أبو معشر الطبري: مات سنة خمس وسبعين.

***

المغيرة

ابن أبي شهاب المخزومي. واسم أبيه عبدالله بن عمرو بن المغيرة ابن ربيعة بن عمرو بن مخزوم.

قرأ القرآن على عثمان – رضي الله عنه – وذكر ابن عامر أنه قرأ عليه القرآن فأظنه كان يُقرئ بدمشق في خلافة معاوية، ولا يكاد يعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه.

قرأت بخط أبي عبدالله القصّاع أنه توفي سنة إحدى وتسعين، وله تسعون سنة.

وقد سقنا ما قاله الذهبي في طبقات القراء كاملاً لأهمية ذلك ومنزلته في الدين. وقد أكد تلك المنزلة الدكتور حسن ضياء الدين في كتابه الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها حيث يقول:

***

طبقات القراء وتراجم المشهورين

إن بيان طبقات القراء يُجلي لنا كيف انتقل القرآن من الرسول ﷺ إلى أصحابه، وكيف عُني الصحابة بحفظه وبلاغه، وكيف تلقاه من بعدهم، ويبين لنا حال المقرئين الذين اختيروا لتدوين قراءتهم، وما إذا كانوا منفردين عن سائر قراء بلدانهم بقراءات تخصهم، أم كانوا معنيين بالقراءة التي تلقوها عن ثقات القراء كما تلقاها أهل بلدهم الجمع الغفير عن الجمع الغفير عن رسول الله ﷺ. ويتاح لنا من خلال سيرتهم أن نطلع على مزاياهم وضبطهم وعدالتهم ومبلغ الثقة بقراءاتهم.

لذلك فإنا سنعرض لذكر أهم طبقات القراء وتراجم المشهورين منهم؛ بإيجاز؛ رعاية للمقام.

طبقات القراء:

ولقد اشتهرت جماعة من القراء في كل طبقة من طبقات الأمة بحفظ القرآن والتصدي لتعليمه للناس بقراءاته المأثورة عن رسول الله ﷺ.

فمن طبقة الصحابة اشتهر بإقراء القرآن وحفظه: عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبو زيد وهو قيس بن السكن، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري.

وقد قرأ على أبي بن كعب جماعة من الصحابة منهم: أبو هريرة، وابن عباس، وعبدالله بن السائب، وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً، وأخذ منهم خلق من التابعين.

قال ابن مجاهد في كتابه السبعة في القراءات ما نصه:

وقد مضى الصحابة يتلون القرآن كما سمعوه من الرسول ﷺ في أثناء صحبتهم له. وتتردد في كتب القراءات والتفسير أسماء عشرات منهم في مقدمتهم من المهاجرين الخلفاء الراشدون وسعد بن أبي وقاص وطلحة وعبدالله بن مسعود وحذيفة وسالم وأبو هريرة وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وعبدالله بن عمرو بن العاص وعبدالله بن السائب المخزومي وعبدالله ابن الزبير وأمهات المؤمنين: عائشة وحفصة وأم سلمة، ومن الأنصار زيد بن ثابت وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو الدرداء وأنس بن مالك ومُجمع بن جارية. وعن هؤلاء الصحابة الأجلاء وأمثالهم من الحفظة حملة القرآن رواه بقراءاته التابعون ونُصب أعينهم المصحف العثماني، وقاموا في ذلك مقام الصحابة.

ومن تعرض لبيان حملة القرآن من الصحابة الدكتور عبدالعزيز قارئ في كتابه سنن القراء ومناهج المجودين وذلك حيث يقول:

كان رسول الله ﷺ قد تلقى أحرف القرآن السبعة، أي أوجهه المقروءة السبعة، رخصةً من الله تعالى لأمته وتوسعة عليهم وزيادةً في جوانب إعجاز هذا القرآن العظيم، فهو ذو وجوه، في ألفاظه وفي طريقة أدائه وقراءته، كما أنه ذو وجوه في معانيه.

وكان ذلك بعد فتح مكة، حيث بدأت قبائل العرب على اختلاف ألسنها ولهجاتها تدخل في دين الله أفواجاً، وأما قبل ذلك فكان القرآن

على حرف واحد يوافق لغة قريش ولهجتها.

وحتى بعد إنزال الأحرف السبعة ظل القرآن معظمه على وجه واحد وهو الذي يسمونه (مواضع الاتفاق)، ومنه ما أنزل على أحرف مختلفة حرفين فأكثر إلى سبعة، وهو الذي يسمونه (مواضع الاختلاف) وقد تضمنت هذه المواضع كثيراً من لغات العرب ولهجاتها الفصحى، وفي هذا أو ذاك ظل القرآن معظمه على لغة قريش ولهجتها.

ولأن هذه الأحرف المختلفة إنما أنزلت تيسيراً على القارئين للقرآن من أهل اللغات واللهجات المختلفة كان رسول الله ﷺ يقرئ كل عربي بما يوافق لهجته مما أنزل، أو يكون قريباً منها؛ لأنه يصعب على العربي أن ينتقل عن لسانه ولهجته فإن نقل جبلٍ من مكانه وزحزحته أهون من نقل العربي عن لسانه ولهجته التي نشأ عليها كما يقول ابن قتيبة.

ومن هنا أصبحت هذه الأحرف المنزلة متفرقة بين الصحابة، مبثوثةً في صدورهم، وأحياناً مكتوبة في مصاحفهم.

لكن الرسول ﷺ كان يختار بعضاً من كبراء أصحابه من أهل الفقه والعلم والرأي والفضل، ممن يعدهم ليكونوا أئمة الناس من بعده، فيقرئهم القرآن بأكثر من حرف، وربما خص بعضهم بالأحرف كلها، وهؤلاء الذي يقال عنهم: جمعوا القرآن أي حفظوه بسائر حروفه المنزلة أو بأكثرها.

مثل: أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، والخلفاء الأربعة، ومعاذ بن جبل، وعبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي الدرداء وأبي

موسى الأشعري، وغيرهم.

وأحياناً يخص بعضهم بحروف لم يتلقها الآخر، فهذا عمر بن الخطاب سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان بحروف – أي قراءات – غير التي تلقى هو السورة عليها، فكاد يساوره في الصلاة – أي يهجم عليه – اختلفا وهما قرشيان، وهذا يدل أيضاً على أن الرسول ﷺ ربما علَّم أحد أصحابه بعض أحرف القرآن ولو كانت على غير لغته ولهجته وأنه يوزع أحرف القرآن عليهم يخص بعضهم بما لا يلقنه الآخر.

وحدث مثل هذا في أول الأمر لأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، فقد سمع أبي ابن مسعود يقرأ بغير ما تلقى هو من قراءات عن رسول الله ﷺ، لكن أبي بن كعب فاقهم جميعاً بعد ذلك في حفظ القراءات حتى قال عنه عمر الفاروق: أُبَيٌّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبيّ وأبيّ يقول أخذته من فيّ رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء قال الله تعالى: ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [1] ومقصود عمر بقوله: «وإنا لندع من لحن أبي» إلى آخر كلامه: أن أبياً متمسك بالأحرف التي تلقاها من رسول الله ﷺ ولا يُسلِّم بنسخها وعمر ينازعه في ذلك ويرى أنها نُسخت، وهذا يبدو أنه يتناول بعض الأحرف المنسوخة التي لم تُثبت في المصحف عند كتابته.

وقد أسهم كثير ممن ألف في علوم القرآن إسهاماً جيداً في موضوعنا هذا ومن ذلك ما ذكره الشيخ محمد عبدالعظيم الزقاني في كتابه مناهل

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٦.

العرفان حيث يقول:

ومن هنا كان حفاظ القرآن في حياة الرسول ﷺ، جمعاً غفيراً، منهم الأربعة الخلفاء، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبدالله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبدالله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وهؤلاء كلهم من المهاجرين، رضوان الله عليهم أجمعين.

وحفظ القرآن من الأنصار في حياته ﷺ أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن حارثة، وأنس بن مالك، وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال إنه أحد عمومتي - رضي الله عنهم أجمعين.

وقيل إن بعض هؤلاء إنما أكمل حفظه للقرآن بعد وفاة النبي ﷺ وأيّاما تكن الحال، فإن الذين حفظوا القرآن من الصحابة كانوا كثيرين، حتى كان عدد القتلى منهم ببئر معونة ويوم اليمامة أربعين ومائة.

قال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد رسول الله ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد.

ومنه أيضاً ما قاله الشيخ جلال الدين عبدالرحمن الأسيوطي ونصه:

روى البخاري عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال سمعت النبي ﷺ يقول خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبيّ بن كعب أي تعلموا منهم. والأربعة المذكورون اثنان من المهاجرين وهما المبدوء بهما واثنان من الأنصار. وسالم هو ابن معقل مولى أبي

حذيفة ومعاذ هو ابن جبل.

قال الكرماني يحتمل أنه ﷺ أراد الإعلام بما يكون بعده، أي أن هؤلاء الأربعة يبقون حتى ينفردوا بذلك (وتعقب) بأنهم لم ينفردوا، بل الذين مهروا في تجويد القرآن بعد العصر النبوي أضعاف المذكورين. وقد قتل سالم مولى أبي حذيفة في وقعة اليمامة، ومات معاذ في خلافة عمر ومات أبي وابن مسعود في خلافة عثمان. وقد تأخر زيد بن ثابت وانتهت إليه الرياسة في القراءة، وعاش بعدهم زمناً طويلاً. فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول. ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد جماعة من الصحابة.

وفي الصحيح في غزوة بئر معونة أن الذين قتلوا بها من الصحابة كان يقال لهم القراء وكانوا سبعين رجلاً.

روى البخاري أيضاً عن قتادة قال: سألت أنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قلت من أبو زيد قال أحد عمومتي.

وروى أيضاً من طريق ثابت عن أنس قال مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد. وفيه مخالفة لحديث قتادة من وجهين: أحدهما التصريح بصيغة الحصر في الأربعة. والآخر ذكر أبي الدرداء بدل أبي بن كعب. وقد استنكر جماعة

من الأئمة الحصر في الأربعة. وقال المازري: لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك؛ لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد. وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي ﷺ وهذا في غاية البعد في العادة وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك.

قال وقد تمسك بقول أنس هذا جماعة من الملاحدة ولا متمسك لهم فيه. فإنا لا نسلم حمله على ظاهره سلمناه، ولكن من أين لهم أن الواقع في نفس الأمر كذلك سلمناه، لكن لا يلزم من كون كل من الجم الغفير لم يحفظه كله أن لا يكون حفظ مجموعه الجم الغفير. وليس من شرط التواتر أن يحفظ كل فرد جميعه بل إذا حفظ الكل ولو على التوزيع كفى.

وقال القرطبي قد قتل يوم اليمامة سبعون من القراء، وقتل في عهد النبي ﷺ ببئر معونة مثل هذا العدد. قال وإنما خص أنس الأربعة بالذكر لشدة تلعقه بهم دون غيرهم، أو لكونهم كانوا في ذهنه دون غيرهم.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني الجواب عن حديث أنس من أوجه: أحدها أنه لا مفهوم له، فلا يلزم أن لا يكون غيرهم جمعه. الثاني المراد لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي نزل بها إلا أولئك. الثالث: لم يجمع ما نسخ منه بعد تلاوته وما لم ينسخ إلا أولئك.

الرابع: أن المراد بجمعه تلقيه من فيّ رسول الله ﷺ لا بواسطة

بخلاف غيرهم فيحتمل أن يكون تلقى بعضه بالواسطة.

الخامس: أنهم تصدوا إلى إلقائه وتعليمه فاشتهروا به، وخفى حال غيرهم عمن عرف حالهم، فحصر ذلك فيهم بحسب علمه، وليس الأمر في نفس الأمر كذلك.

السادس: المراد بالجمع الكتابة فلا ينفي أن يكون غيرهم جمعه حفظاً عن ظهر قلبه، وأما هؤلاء فجمعوه كتابة وحفظوه عن ظهر قلب.

السابع: المراد أن أحداً لم يفصح بأنه جمعه بمعنى أكمل حفظه في عهد رسول الله ﷺ إلا أولئك، بخلاف غيرهم فلم يفصح بذلك لأن أحداً منهم لم يكمله إلا عند وفاة رسول الله ﷺ حين نزلت آخر آية. فلعل هذه الآية الأخيرة وما أشبهها ما حضرها إلا أولئك الأربعة ممن جمع جميع القرآن قبلها. وإن كان قد حضرها من لم يجمع غيرها الجمع الكثير.

الثامن: أن المراد بجمعه السمع والطاعة له والعمل بموجبه. وقد أخرج أحمد في الزهد من طريق أبي الزاهرية أن رجلاً أتى أبا الدرداء فقال إن ابني جمع القرآن فقال اللهم غفراً إنما جمع القرآن من سمع له وأطاع.

قال ابن حجر وفي غالب هذه الاحتمالات تكلف، ولا سيما الأخير. قال وقد ظهر لي احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط. فلا ينفي ذلك عن غير القلبيتين من المهاجرين؛ لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج. كما أخرجه ابن جرير

من سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس منا أربعة من اهتز له العرش سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن أبي ثابت، ومن غسلته الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر عاصم بن أبي ثابت. أي ابن أبي الأفلح فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم. قال والذي يظهر من كثير من الأحاديث أن أبا بكر كان يحفظ القرآن. في حياة رسول الله ﷺ ففي الصحيح أنه بني مسجداً بفناء داره فكان يقرأ فيه القرآن وهو محمول على ما كان نزل منه إذ ذاك. قال: وهذا مما لا يرتاب فيه مع شدة حرص أبي بكر على تلقي القرآن من النبي ﷺ، وفراغ باله له وهما بمكة، وكثرة ملازمة كل منهما للآخر. حتى قالت عائشة أنه ﷺ كان يأتيهم بكرة وعشياً. وقد صح حديث يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وقد قدمه ﷺ في مرضه إماماً للمهاجرين والأنصار؛ فدل على أنه كان أقرأهم وسبقه إلى نحو ذلك ابن كثير.

قلت لكن أخرج ابن أشتة في المصاحف بسند صحيح عن محمد بن سيرين قال: مات أبو بكر ولم يجمع القرآن، وقتل عمر ولم يجمع القرآن. قال ابن أشتة قال بعضهم يعني لم يقرأ جميع القرآن حفظاً، وقال بعضهم هو جمع المصاحف.

قال ابن حجر وقد ورد عن علي أنه جمع القرآن على ترتيب النزول عقب موت النبي ﷺ. أخرجه ابن أبي داود.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن عبدالله بن عمرو قال جمعت

القـرآن فقـرأت بـه كل ليلة فبلغ النبي ﷺ فقال اقرأه في شهر .. الحديث. وأخـرج ابـن أبـي داود بسـند حسن عن محمد بن كعب القرظي قال جمع القـرآن عـلى عهد رسول الله ﷺ خمسة من الأنصار معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبي بن كعب وأبو الدرداء وأبو أيوب الأنصاري.

وأخـرج البـيهقي في المدخـل عـن ابن سيرين قال: جمع القرآن على عهـد رسـول الله ﷺ أربعة لا يختلف فيهم: معاذ بن جبل وأبي بن كعب وأبـو زيد واختلفوا في رجلين من ثلاثة: أبي الدرداء وعثمان وقيل عثمان وتميم الداري.

وأخـرج هـو وابـن أبـي داود عـن الشعبي قال: جمع القرآن في عهد الـنبي ﷺ سـتة أبـيّ وزيـد ومعـاذ وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وأبو زيد ومجمع ابن جارية وقد أخذه إلا سورتين أو ثلاثة.

وقـد ذكـر أبو عبيد في كتاب القراءات القراء من أصحاب النبي ﷺ فعـد مـن المهاجـرين الخلفاء الأربعة وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسـالماً وأبـا هريـرة وعـبدالله بـن السائب والعبادلة وعائشة وحفصة وأم سـلمة. ومـن الأنصـار عـبادة بـن الصـامت ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة ومجمـع بن جارية وفضالة بن عبيد ومسلمة بن مخلد. وصرح بأن بعضهم إنمـا أكملـه بعـد الـنبي ﷺ فـلا يرد على الحصر المذكور في حديث أنس. وعـد ابـن أبـي داود مـنهم تميماً الداري وعقبة بن عامر. وممن جمعه أيضاً أبـو موسـى الأشعري، ذكره أبو عمرو الداني. (تنبيه) أبو زيد المذكور في حديـث أنـس اخـتلف في اسمه فقيل: سعد بن عبيد بن النعمان أحد بني

عمرو بن عوف. وردّ بأنه أوسي وأنس خزرجي. وقد قال أنه أحد عمومته. وبأن الشعبي عده هو وأبو زيد جميعاً فيمن جمع القرآن كما تقدم. فدل على أنه غيره. وقال أبو أحمد العسكري لم يجمع القرآن من الأوس غير سعد بن عبيد، وقال محمد بن حبيب: في المحبر سعد بن عبيد أحد من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ.

وقال ابن حجر قد ذكر ابن أبي داود فيمن جمع القرآن قيس بن أبي صعصعة وهو خزرجي يكنى أبا زيد فلعله هو وذكر أيضاً سعيد بن المنذر بن أوس زهير وهو خرزجي أيضاً لكن لم أر التصريح بأنه يكنى أبا زيد.

قال: ثم وجدت عند ابن أبي داود ما رفع الإشكال فإنه روى بإسناد على شرط البخاري إلى ثمامة عن أنس أن أبا زيد الذي جمع القرآن اسمه قيس ابن السكن. قال وكان رجلاً منا من بني عدي بن النجار أحد عمومتي ومات ولم يدع عقباً ونحن ورثناه.

قال ابن أبي داود: حدثنا أنس بن خالد الأنصاري قال: هو قيس بن السكن بن زعوراء من بني عدي بن النجار.

قال ابن أبي داود مات قريباً من وفاة رسول الله ﷺ فذهب علمه ولم يؤخذ عنه وكان عقبياً بدرياً. ومن الأقوال في اسمه ثابت وأوس ومعاذ.

فائدة: ظفرت بامرأة من الصحابيات جمعت القرآن لم يعدها أحد ممن تكلم في ذلك. فأخرج ابن سعد في الطبقات أنبأنا الفضل بن دكين حدثنا الوليد بن عبدالله بن جميع قال حدثتني جدتي عن أم ورقة بنت

عبدالله بن الحارث. وكان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة. وكانت قد جمعت القرآن وجاءت رسول الله ﷺ حين غزا بدراً فقالت له: أتأذن لي فأخرج معك، أداوي جرحاكم، وأمرض مرضاكم. لعل الله يهدي لي شهادة؟ قال إن الله مهد لك شهادة وكان ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها وكان لها مؤذن فغمها غلام لها وجارية كانت قد دبرتهما فقتلاها في إمارة عمر فقال عمر: صدق رسول الله ﷺ كان يقول:«**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**».

المشتهرون بإقراء القرآن من الصحابة سبعة عثمان وعلي وأبي وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، كذا ذكرهم الذهبي في طبقات القراء قال وقد قرأ على أبي جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وعبدالله بن السائب وأخذ ابن عباس عن زيد أيضاً.

ومع أن ما ذكره السيوطي في الموضوع في غاية الحسن والكمال، لكن لا ضير من إيراد ما كتبه الدكتور صبحي الصالح في كتابه مباحث في علوم القرآن ونصه:

والسيوطي في «الإتقان» يذكر بعض هؤلاء القراء بأسمائهم التي وردت في كتاب «القراءات» المنسوب إلى أبي عُبيد، فيفهم منه أن أبا عبيد «عد من المهاجرين الخلفاء الأربعة، وطلحة وسعداً، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وعبدالله بن السائب، والعبادلة، وعائشة وحفصة، وأم سلمة، ومن الأنصار عبادة بن الصامت، ومعاذاً الذي

يكنى أبا حليمة، ومجمع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد. وقد صرح بأن بعضهم إنما كمله بعد النبي ﷺ.

وهؤلاء الذين عدهم القاسم بن سلام من المهاجرين والأنصار وأمهات المؤمنين ليسوا إلا طائفة من الأصحاب الذين جمعوا كتاب الله في صدورهم، وتيسر لهم أن يعرضوه على النبي ﷺ، فكانوا بذلك تلامذة له وكان شيخاً لهم. لكن الذين حفظوا القرآن من الصحابة من غير أن يعرضوه على الرسول لا يحصون عدداً، ولا سيما إذا أدخلنا في عدادهم من لم يكمل له الجمع إلا بعد وفاة النبي ﷺ وفي مقدمة «طبقات القراء» للحافظ الذهبي ما يبين ذلك، وأن هذا العدد هم الذين عرضوه على النبي ﷺ واتصلت بنا أسانيدهم، وأما من جمعه منهم ولم يتصل بنا سندهم فكثير.

وجماع القرآن في عهد الرسول ﷺ مهما يبلغ عددهم من الكثرة يظل دون تصوير شغفهم بالقرآن الذي كان يملك عليهم قلوبهم، حتى أضحى همهم الأوحد قراءة الكتاب والاستماع إليه.

في النصوص التي نقلناها لم يرد ذكر لأسماء من قتل من قراء الصحابة في سرية بئر معونة لكن أشير إلى عددهم وهم سبعون، كما قاله أيضاً ابن كثير في السيرة ونص ما قال:

وقد كانت في صفر منها. وأغرب مكحولٌ - رحمه الله - حيث قال: إنها كانت بعد الخندق.

قال البخاري: حدثنا أبو معمر، حدثنا عبدالوارث، حدثنا

عبدالعزيز، عن أنس بن مالك، قال: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً لحاجة يقال لهم القراء. فعرض لهم حيان من بني سليم: رعل وذكوان، عند بئر يقال لها بئر معونة، فقال القوم: والله ما إياكم أردنا وإنما نحن مجتازون في حاجة للنبي ﷺ. فقتلوهم.

فدعا النبي ﷺ عليهم شهراً في صلاة الغداة، وذاك بدء القنوت وما كنا نقنت.

ورواه مسلم من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس بنحوه.

ثم قال البخاري: حدثنا عبدالأعلى بن حماد، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن رعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو فأمدهم بسبعين من الأنصار، كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل، حتى إذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم، فبلغ النبي ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من العرب: على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان، قال أنس: فقرأنا فيهم قرآناً، ثم إن ذلك رفع «بلغوا عنا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا».

وجاء في ترجمة عبدالفتاح القاضي للإمام ابن كثير ما يثبت أن عبدالله بن السائب - رضي الله عنه من حملة القرآن من الصحابة حيث يقول:

هو عبدالله بن كثير بن عمرو بن عبدالله بن زاذان بن فيروز بن هرمز، وكنيته أبو معبد ويقال له الداري نسبة إلى بني عبدالدار، وقال

بعضهم: قيل له الداري لأنه كان عطاراً.

وكان - رحمه الله - طويلاً جسيماً أسمر اللون، أشهل العينين (في سوادهما زرقة) أبيض الرأس واللحية، وكان يخضبها أحياناً بالحناء، وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، عليه السكينة والوقار، وهو أحد القراء السبعة وتابعي جليل.

لقي من الصحابة بمكة عبدالله بن الزبير، وأبا أيوب الأنصاري، وأنس بن مالك، ومجاهد بن جبر، ودرباس مولى عبدالله بن عباس، وروى عنهم.

تلقى القراءة عن أبي السائب عبدالله بن السائب المخزومي، وأبي الحجاج مجاهد بن جبر المكي، ودرباس مولى عبدالله بن عباس. وقرأ ابن السائب على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وقرأ مجاهد على عبدالله بن السائب وعبدالله بن عباس، وقرأ درباس على عبدالله بن عباس، وقرأ ابن عباس على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وقرأ أبي وزيد وعمر على رسول الله ﷺ.

وكان قاضي الجماعة بمكة، وإمام الناس في القراءة بها، لم ينازعه فيها منازع.

بما سبق من القول نعتقد أنه قد أصبح بالإمكان حصر من ذكرت أسماؤهم تحديداً دقيقاً كما سنبينه في ما يلي:

ثالثاً: بيان العدد الإجمالي الذي أمكن استخلاصته من كتب التفسير والقراءات والحديث وعلوم القرآن والسيرة النبوية.

الواقـع أن موضـوع الكـتاب قـد اسـتحوذ عـلى اهـتمام السـلف الصـالح مـن الأمـة، ولا يـزال يسـتحوذ عـلى اهتمام الدارسين في علوم القـرآن. ومـا سـقناه من نصوص فيما سبق تأكيد قاطع لما ذكرنا، غير أنه مـع ذلـك لم يفـرد بالتألـيف. وإنمـا كان تناولـه في ثنايا التأليف في المعرفة الإسـلامية، وخاصـة ماكـان ذاصـلة مـنها بالقـرآن الكريم. وقد رأينا من خـلال مـا سقناه من نصوص أن بيان عدد من حفظ القرآن من الصحابة شـابه كـثير مـن الاخـتلاف وعـدم الاتفاق سواء من حيث تحديد أسماء الحفظـة من الصحابة أم من حيث عددهم خاصة وأن الإجماع يكاد يكون منحصـراً عـلى أنـه قـتل من القراء في سرية بئر معونة سبعون وفي معركة الـيمامة سـبعون لم يخص مرجع واحد في بيان أسمائهم. لكن المراجع التي اعـتمدت علـيها في كـتابة هـذا الكـتاب ذكـرت أسمـاء بعينها باتفاق في بعضـها، واخـتلاف في الـبعض الآخـر. لكـن المحصـلة النهائـية التي يمكن الخـروج بهـا مـن ذلك كله هي أنه قد نحيط ثمانية وثلاثين صحابياً بينهم أربـع نسوة وسنذكر اسم كل منهم مع بيان المراجع التي ذكرته وترجمة عنه وفـق مـا يـتاح لـنا. وذلـك بسبب الترتيب الهجائي للأسماء من غير نظر لأي اعتبار آخر وهم:

أبو بكر الصديق - رضي الله عنه

وقد ذكر اسمه في مناهل العرفان للزرقاني.

١- مناهل العرفان، ص٢٣٥.

٢- سنة القراء ومناهج المجودين، ص٣٣. عبدالعزيز عبدالفتاح قاري.

٣- الإتقان للسيوطي، ص٧٧.

٤- فتح الباري لابن حجر، ص٦٣.

٥- السبعة لابن مجاهد، ص١٢.

٦- تفسير ابن كثير، ص٢٨.

٧- النشر في القراءات العشر، ص٧.

٨- مباحث في علوم القرآن. صبحي الصالح ص٦٦.

أحد العشرة المبشرين بالجنة ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [١].

هو عبدالله بن أبي قحافة، من قبيلة قريش، ولد بعد الرسول ﷺ بثلاث سنين، أمه أم الخير سلمى بنت صخر التيمية بنت عم أبيه. كان يعمل بالتجارة ومن أغنياء مكة المعروفين. وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر، وكان ذا خلق ومعروف

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

يأتيه الرجال ويألفونه. اعتنق الإسلام دون تردد فهو أول من أسلم من الرجال الأحرار. ثم أخذ يدعو لدين الله فاستجاب له عدد من قريش من بينهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبدالرحمن بن عوف، والأرقم ابن أبي الأرقم.

إسلامه:

لقي أبو بكر – رضي الله عنه – رسول الله ﷺ فقال: أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك آلهتنا، وتسفيهك عقولنا وتكفيرك آباءنا؟ فقال الرسول ﷺ: «**إني رسول الله يا أبا بكر، ونبيه بعثني لأبلغ رسالته، وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك إلى الله يا أبا بكر وحده لا شريك له، ولا نعبد غيره، والموالاة على طاعته**» .. وقرأ عليه القرآن فلم ينكر، فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد، وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق.

يقول الرسول ﷺ: «**ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له عنه كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر ما عتَّم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه**».

أول خطيب:

عندما بلغ عدد المسلمين تسعة وثلاثين رجلاً، ألح أبو بكر على الرسول ﷺ في الظهور فقال الرسول ﷺ: «**يا أبا بكر إنا قليل**» .. فلم يزل يلح حتى ظهر الرسول ﷺ وتفرق المسلمون في نواحي المسجد، وكل رجل معه، وقام أبو بكر خطيباً ورسول الله جالس، وكان أول خطيب دعا إلى الله عز وجل وإلى رسول الله ﷺ.

وثـار المشـركون عـلى أبـي بكـر وعـلى المسلمين، فضربوهم ضرباً شـديداً، ووطـئ أبـو بكـر ودنـا منه الفاسق عتبة بن ربيعة، فجعل يضربه بـنعلين مخصوفين، وأثر على وجه أبي بكر حتى لا يعرف أنفه من وجهه، وجـاء بـنو تـيم تتعادى، فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوا أبا بكر في ثـوب حـتى أدخلـوا ولا يشكون في موته، ورجعوا بيوتهم وقالوا: (والله لـئن مـات أبـو بكـر لنقـتلن عُتبة) ورجعوا إلى أبي بكر وأخذوا يكلمونه حـتى أجـابهم فتكـلم آخـر الـنهار فقال: (ما فعل رسول الله ﷺ) فنالوه بألسنتهم وقاموا.

أم الخـير:

ولمـا خلـت أم الخير (والدة أبي بكر) به جعل يقول: (ما فعل ﷺ) قالت: (والله ما لي علم بصاحبك).

قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه.

فخرجـت حـتى جـاءت أم جـميل، فقالـت: إن أبـا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله؟

قالـت: مـا أعـرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله وإن تحبي أن أمضي معك إلى ابنك فعلت؟

قالـت: نعم .. فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً، فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت: إن قوماً نالوا منك هذا لأهل فسق؟ وإني لأرجو أن ينتقم الله لك.

قال: فما فعل رسول الله ﷺ؟

قالت: هذه أمك تسمع.

قال: فلا عين عليك منها.

قالت: سالم صالح.

قال: فأين هو؟

قالت: في دار الأرقم.

قال: فإن لله علي ألا أذوق طعاماً أو شراباً أو آتي رسول الله ﷺ فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجتا به يتكئ عليهما حتى دخل على رسول الله ﷺ فانكب عليه يقبله وانكب عليه المسلمون ورق رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بوالديها، وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار.

فدعا لها رسول الله ﷺ ثم دعاها إلى الله عز وجل، فأسلمت فأقاموا مع رسول الله ﷺ في الدار شهراً، وكان حمزة يوم ضُرب أبو بكر قد أسلم.

جهاده بماله:

أنفق أبو بكر معظم ماله في شراء من أسلم من العبيد ليحررهم من العبودية، ويخلصهم من العذاب الذي كان يلحقه بهم ساداتهم من مشركي قريش. فأعتق بلالاً بن رباح وستة آخرين من بينهم عامر بن فهيرة وأم عبيس.

فنزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ ﴾.

منزلته من الرسول ﷺ:

كان – رضي الله عنه – من أقرب الناس إلى قلب رسول الله ﷺ وأعظمهم منزلة عنده حتى قال فيه: (إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته. لا يبقين في المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبي بكر).

كما أخبر الرسول ﷺ بأن أبا بكر أرحم الأمة للأمة، وأنه أول من يدخل معه الجنة. فقد قال له الرسول ﷺ: **«أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي»** .. وإنه صاحبه على الحوض. فقد قال له الرسول ﷺ: **«أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار»**.

كما أن أبا بكر الصديق هو والد أم المؤمنين عائشة. لذا كان عظيم الافتخار بقرابته من رسول الله ﷺ ومصاهرته له وفي ذلك: (والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من أن أصل قرابتي).

الإسراء والمعراج:

وحينما أسري برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له: هل لك يا أبا بكر في صاحبك؟ يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة!

فقال لهم أبو بكر: إنكم تكذبون عليه.

فقالوا: بلى، هاهو ذاك في المسجد يحدث به الناس.

فقال أبو بكر: والله لئن كان قاله لقد صدق، فما يعجبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه! فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل حتى انتهى إلى الرسول ﷺ فقال: يا نبي الله، أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة؟

قال: نعم.

قال: يا نبي الله فصفه لي، فإني قد جئته.

فقال رسول الله ﷺ «**فرفع لي حتى نظرت إليه**». فجعل الرسول الكريم يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر: (صدقت، أشهد أنك رسول الله) حتى إذا انتهى قال الرسول ﷺ لأبي بكر: «**وأنت يا أبا بكر الصديق**» فيومئذ سماه الصديق.

الصحبة:

ولقد سجل له القرآن الكريم شرف الصحبة مع رسول الله ﷺ أثناء الهجرة إلى المدينة المنورة فقال تعالى: ﴿**ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ**﴾.

كان أبو بكر رجلاً ذا مال، فاستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فقال له الرسول ﷺ: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً**»، فطمع بأن يكون رسول الله ﷺ إنما يعني نفسه حين قال له ذلك. فابتاع راحلتين

فاحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك. وفي يوم الهجرة، أتى رسول الله ﷺ بيت أبي بكر بالهاجرة في ساعة كان لا يأتي فيها، فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث.

فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره، فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أسماء وعائشة، فقال الرسول ﷺ: «**أخرج عني من عندك**» .. فقال أبو بكر: يا رسول الله، إنما هما ابنتاي، وما ذاك؟ فداك أبي وأمي.

فقال: «**إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة**».

فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله؟

قال: «**الصحبة**». تقول السيدة عائشة: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ.

ثم قال أبو بكر: يا نبي الله إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا. فاستأجرا عبدالله بن أرقط، وكان مشركاً يدلهما على الطريق فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما.

أبواب الجنة:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من أنفق زوجين من شيء من الأشياء في سبيل الله دعي من أبواب - يعني الجنة - يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل**

الصيام دعي من باب الصيام وباب الريان» فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر**».

مناقبه:

مناقب أبو بكر – رضي الله عنه – كثيرة ومتعددة فمن مناقبه السبق إلى أنواع الخيرات والعبادات حتى قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه: ما سبقت أبا بكر إلى خير إلا سبقني. وكان أبو بكر الصديق يفهم إشارات الرسول ﷺ التي تخفى على غيره كحديث (إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده)، ففهم أنه – عليه الصلاة والسلام – ينعي نفسه. ومن ذلك أيضاً فتواه في حضرة الرسول ﷺ وإقراره على ذلك.

وهو أول خليفة في الإسلام، وأول من جمع المصحف الشريف، وأول من أقام للناس حجهم في حياة رسول الله ﷺ وبعده. وكان في الجاهلية قد حرم على نفسه شرب الخمر، وفي الإسلام امتنع عن قول الشعر كما أنه – رضي الله عنه – لم يفته أي مشهد مع الرسول ﷺ. وقد قال له الرسول ﷺ «**أنت عتيق الله من النار**»، فسمي عتيقاً.

وقد بلغ بلالاً بن رباح أن ناساً يفضلونه على أبي بكر فقال: (كيف تفضلوني عليه، وإنما أنا حسنة من حسناته).

عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ

«**أما صاحبكم فقد غامر**» .. فسلم وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى علي فأقبلت إليك .. فقال: «**يغفر الله لك يا أبا بكر**» ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: (أثم أبو بكر)؟ فقالوا: (لا) فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه فقال: يا رسول الله والله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبي ﷺ: «**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لي صاحبي**» مرتين فما أوذي بعدها.

خلافته:

وفي أثناء مرض الرسول ﷺ أمره أن يصلي بالمسلمين. وبعد وفاة الرسول الكريم بويع أبو بكر بالخلافة في سقيفة بني ساعدة، وكان زاهداً فيها ولم يسع إليها، إذ دخل عليه ذات يوم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه فوجده يبكي، فسأله عن ذلك فقال له: يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم!!

فرد عليه عمر: أين المفر؟ والله لا نقيلك ولا نستقيلك.

جيش أسامة:

وجه رسول الله ﷺ أسامة بن زيد في سبعمائة إلى الشام، فلما نزل بذي خُشُب – واد على مسيرة ليلة من المدينة – قُبض رسول الله ﷺ وارتدت العرب حول المدينة، فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا بكر ردّ هؤلاء، توجّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب

حول المدينة؟ فقال: والذي لا إله إلا هو لو جرت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله ﷺ ما رددت جيشاً وجهه رسول الله، ولا حللت لواءً عقده رسول الله. فوجه أسامة فجعل لا يمر بقبيلة يريدون الارتداد إلا قالوا: لولا أن لهؤلاء قوة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، ولكن ندعهم حتى يلقوا الروم. فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين فثبتوا على الإسلام.

حروب الردة:

بعد وفاة الرسول ﷺ ارتدت العرب ومنعت الزكاة، واختلف رأي الصحابة في قتالهم مع تكلمهم بالتوحيد، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**»؟ فقال أبو بكر: الزكاة حق المال، وقال: والله لأقاتلن من فرّق الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها. ونصب أبو بكر الصديق وجهه وقام وحده حاسراً مشمراً حتى رجع الكل إلى رأيه، ولم يمت حتى استقام الدين، وانتهى أمر المرتدين.

جيوش العراق والشام:

ولما فرغ أبو بكر – رضي الله عنه – من قتال المرتدين بعث أبا عبيدة إلى الشام وخالد بن الوليد إلى العراق، وكان لا يعتمد في حروب الفتوحات على أحد ممن ارتد من العرب، فلم يدخل في الفتوح إلا من كان ثابتاً على الإسلام.

استخلاف عمر:

لما أراد أبو بكر أن يستخلف عمر بن الخطاب بعث إليه وقال: (إني أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله يا عمر بطاعته وأطعه بتقواه، فإن المتقي آمن محفوظ، ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل، وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر، يوشك أن تنقطع أمنيته، وأن يحبط عمله، فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تخفّ يدك من دمائهم، وأن تضمّ بطنك من أموالهم، وأن يخفّ لسانك عن أعراضهم، فافعل ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وفاته:

ولد أبو بكر في مكة عام ٥١ قبل الهجرة ومات بالمدينة بعد الرسول ﷺ بسنتين وثلاثة أشهر وبضع ليال سنة (١٣هـ) ولما كان اليوم الذي قُبض فيه أبو بكر رجَّت المدينة بالبكاء، ودهش الناس كيوم قُبض الرسول ﷺ. وجاء علي بن أبي طالب باكياً مسرعاً وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على البيت الذي فيه أبو بكر مسجى فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً، وأكملهم إيماناً، وأخوفهم لله، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم عناءً، وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحدبهم على الإسلام، وآمنهم على أصحابه، وأحسنهم صُحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأرفعهم درجة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وخُلُقاً وسمتاً وفعلاً.

***

أبو الدرداء - رضي الله عنه -

وقد ذكر اسمه في:

- فتح الباري، ص٩.
- طبقات القراء للذهبي.
- السبعة، لأبي مجاهد.
- الإتقان، للسيوطي.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
- النشر في القراءات العشر.
- الأحرف السبعة.
- مباحث في علوم القرآن.
- سنن القراء ومناهج المجودين.
- مناهل العرفان.
- الأرجوزة المنبهة.

الحكيم:

«الناس ثلاثة، عالم، ومتعلم، والثالث همج لا خير فيه» [1].

يوم اقتنع أبو الدرداء - رضي الله عنه - بالإسلام ديناً، وبايع الرسول ﷺ على هذا الدين، كان تاجراً ناجحاً من تجار المدينة، ولكنه

---

(١) أبو الدرداء.

بعد الإيمان بربه يقول: «أسلمت مع النبي ﷺ وأنا تاجر، وأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة فلم يجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة، وما يسرني اليوم أن أبيع وأشتري فأربح كل يوم ثلاثمائة دينار، حتى لو يكون حانوتي على باب المسجد، ألا إني لا أقول لكم إن الله حرم البيع، ولكني أحب أن أكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله».

جهاده ضد نفسه:

لقد كان أبو الدرداء – رضي الله عنه – حكيم تلك الأيام العظيمة، تخصصه إيجاد الحقيقة، فآمن بالله ورسوله إيماناً عظيماً، وعكف على إيمانه مسلماً إليه نفسه، واهباً كل حياته لربه، مرتلاً آياته .. ﴿ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

كان – رضي الله عنه – يقول لمن حوله: (ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأزكاها عند باريكم، وأنماها في درجاتكم، وخير من أن تغزو عدوكم، فتضربوا رقابهم ويضربوا رقابكم، وخير من الدراهم والدنانير .. ذكر الله، ولذكر الله الله أكبر).

ومضات من حكمته:

سئلت أمه – رضي الله عنه – عن أفضل ما كان يحب، فأجابت (التفكر والاعتبار) .. وكان هو يحض إخوانه دوماً على التأمل ويقول: (تفكر ساعة خير من عبادة ليلة).

وكان – رضي الله عنه – يرثي لأولئك الذين وقعوا أسرى

لثرواتهم فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من شتات القلب)، فسئل عن شتات القلب فأجاب (أن يكون لي في كل واد مال) فهو يمتلك الدنيا بالاستغناء عنها، فهو يقول: (من لم يكن غنياً عن الدنيا، فلا دنيا له) .. كان يقول: (لا تأكل إلا طيباً ولا تكسب إلا طيباً ولا تدخل بيتك إلا طيباً).

ويكتب لصاحبه يقول: (أما بعد. فلست في شيء من عرض الدنيا، إلا وقد كان لغيرك قبلك، وهو صائر لغيرك بعدك، وليس لك منه إلا ما قدمت لنفسك. فآثرها على من تجمع له المال من ولدك ليكون له إرثاً. فأنت إنما تجمع لواحد من اثنين: إما ولد صالح يعمل فيه بطاعة الله، فيسعد بما شقيت به. وإما ولد عاص، يعمل فيه بمعصية الله، فتشقى بما جمعت له، فثق لهم بما عند الله من رزق، وانج بنفسك).

وإنه ليقول: (ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يعظم حلمك، ويكثر علمك، وأن تباري الناس في عبادة الله تعالى).

عندما فتحت قبرص وحملت غنائم الحرب إلى المدينة، وشوهد أبا الدرداء وهو يبكي، فسأله جبير بن نفير: (يا أبا الدرداء، ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله)؟ فأجاب أبو الدرداء: ويحك يا جبير، ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينما هي أمة قاهرة ظاهرة، لها الملك، تركت أمر الله، فصارت إلى ما ترى).

فقد كان يرى الانهيار السريع للبلاد المفتوحة، وإفلاسها من الروحانية الصادقة والدين الصحيح.

وكـان يقـول: (التمسـوا الخير دهركم كله، وتعرضوا لنفحات رحمة الله فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمن روعاتكم).

في خلافة عثمان، أصبح أبو الدرداء واليا للقضاء في الشام، فخطب بالـناس يومـاً وقـال: (يـا أهل الشام، أنتم الإخوان في الدين والجيران في الـدار، والأنصـار على الأعداء، ولكن مالي أراكم لا تستحيون؟ تجمعون مـالا تـأكلون، وتبـنون مـا لا تسـكنون، وترجون ما لا تبلغون، قد كانت القـرون من قبلكم يجمعون فيوعون، ويؤملون فيطيلون، ويبنون فيوثقون، فأصـبح جمعهـم بـوراً، وأمـلهم غـروراً، وبيوتهم قبوراً، أولئك قوم عاد، ملـؤوا مـا بـين عدن إلى عمان أموالاً وأولاداً). ثم ابتسم بسخرية لافحة: (من يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين)؟!

تقديسه للعلم:

كـان – رضـي الله عـنه – يقـدس العلم كثيراً، ويربطه بالعبادة فهو يقـول: (لا يكـون أحدكم تقياً حتى يكون عالماً، ولن يكون بالعلم جميلاً، حـتى يكـون بـه عـاملاً) كمـا يقـول: (مـالي أرى عـلماءكم يذهـبون، وجهـالكم لا يتعـلمون؟ ألا إن معـلم الخير والمتعلم في الأجر سواء، ولا خـير في سـائر الـناس بعدهمـا) ويقـول – رضي الله عنه: (إن أخشى ما أخشـاه عـلى نفسـي أن يقـال لـي يـوم القـيامة على رؤوس الخلائق: يا عويمـر، هـل علمـت؟ فـأقول: نعـم .. فـيقال لـي: فمـاذا عملـت فـيما علمت)؟

وصيته:

ويوصي أبو الدرداء - رضي الله عنه - بالإخاء خيراً، ويقول: (معاتبة الأخ خير لك من فقده، ومن لك بأخيك كله؟ أعط أخاك ولن له، ولا تطع فيه حاسداً فتكون مثله، غداً يأتيك الموت فيكفيك فقده، وكيف تبكيه بعد الموت، وفي الحياة ما كنت أديت حقه)؟

ويقول - رضي الله عنه وأرضاه: (إني أبغض أن أظلم أحداً، ولكني أبغض أكثر وأكثر، أن أظلم من لا يستعين علي إلا بالله العلي الكبير).

هذا هو أبو الدرداء، تلميذ النبي ﷺ وابن الإسلام الأول، وصاحب أبي بكر وعمر ورجال مؤمنين.

***

أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه

وقد ذكر في:

- فتح الباري.
- طبقات القراء للذهبي.
- السبعة لابن مجاهد.
- الإتقان للسيوطي.
- الأحرف السبعة. حسن ضياء الدين.
- سنن القراء ومناهج المجودين. عبدالعزيز قارئ.
- الأرجوزة المنبهة، الداني.

«لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود» [(١)] .

إنه عبدالله بن قيس المكنى بـ(أبي موسى الأشعري)، أمه ظبية المكية بنت وهب. أسلمت وتوفيت بالمدينة. كان قصيراً نحيفاً خفيف اللحية، غادر وطنه اليمن إلى الكعبة فور سماعه برسول يدعو إلى التوحيد. وفي مكة جلس بين يدي الرسول الكريم وتلقى عنه الهدى واليقين، وعاد إلى بلاده يحمل كلمة الله.

السفينة:

قال أبو موسى الأشعري: (بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن،

(١) حديث شريف.

فخرجنا مهاجرين إليه، أنا وأخوان لي أنا أصغرهما أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم، وبضع وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده، فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا وأمرنا بالإقامة فأقيموا معنا .. فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً).

قدوم المدينة:

قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**يقدم عليكم غداً قومٌ هم أرق قلوباً للإسلام منكم**» .. فقدم الأشعريون وفيهم أبو موسى الأشعري، فلما دنوا من المدينة جعلوا يرتجزون يقولون: (غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه) فلما قدموا تصافحوا، فكانوا هم أول من أحدث المصافحة.

اتفق قدوم الأشعريين وقدوم جعفر وفتح خيبر، فأطعمهم النبي ﷺ من خيبر طُعمة، وهي معروفة بطعمة الأشعريين، قال أبو موسى: (فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر، فأسهم لنا، وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر شيئاً إلا لمن شهد معه، إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه، قسم لهم معنا).

فضله:

ومن ذلك اليوم أخذ أبو موسى مكانه العالي بين المؤمنين، فكان فقيهاً حصيفاً ذكياً، ويتألق بالافتاء والقضاء حتى قال الشعبي: (قضاة هذه الأمة أربعة: عمر وعلي وأبو موسى وزيد بن ثابت).

وقال: (كان الفقهاء من أصحاب محمد ﷺ ستة: عمر وعلي وعبدالله بن مسعود وزيد وأبو موسى وأبي بن كعب).

القرآن:

وكان من أهل القرآن حفظاً وفقهاً وعملاً، ومن كلماته المضيئة: (اتبعوا القرآن ولا تطمعوا في أن يتبعكم القرآن) وإذا قرأ القرآن فصوته يهز أعماق من يسمعه حتى قال الرسول ﷺ: «**لقد أوتي أبو موسى مزماراً من مزامير آل داود**» وكان عمر يدعوه للتلاوة قائلاً: (شوقنا إلى ربنا يا أبا موسى).

الصوم:

وكان أبو موسى – رضي الله عنه – من أهل العبادة المثابرين. وفي الأيام القائظة كان يلقاها مشتاقاً ليصومها قائلاً: (لعل ظمأ الهواجر يكون لنا رياً يوم القيامة).

وعن أبي موسى قال: (غزونا غزوة في البحر نحو الروم، فسرنا حتى إذا كنا في لُجة البحر، وطابت لنا الريح، فرفعنا الشراع، إذ سمعنا منادياً ينادي يا أهل السفينة: قفوا أخبركم .. قال: فقمت فنظرت يميناً وشمالاً فلم أر شيئاً، حتى نادى سبع مرات فقلت: من هذا؟ ألا ترى على أي حال نحن؟ إنا لا نستطيع أن نحبس. قال: ألا أخبرك بقضاءٍ قضاه الله على نفسه؟ قلت: بلى. قال: فإنه مَن عطَّش نفسه لله في الدنيا في يومٍ حار كان على الله أن يرويه يوم القيامة .. فكان أبو موسى لا تلقاه إلا صائماً في يوم حارٍ.

في مواطن الجهاد:

كان أبو موسى – رضي الله عنه – موضع ثقة الرسول وأصحابه

وحبهم، فكان مقاتلاً جسوراً ومناضلاً صعباً، فكان يحمل مسؤولياته في استبسال جعل الرسول ﷺ يقول عنه: «**سيد الفوارس أبو موسى**» ويقول أبو موسى عن قتاله: (خرجنا مع رسول الله في غزاة، نقبت فيها أقدامنا، ونقبت قدماي، وتساقط أظفاري، حتى لففنا أقدامنا بالخرق). وفي حياة رسول الله ولاه مع معاذ بن جبل أمر اليمن.

الإمارة:

وبعد وفاة الرسول ﷺ عاد أبو موسى من اليمن إلى المدينة ليحمل مسؤولياته مع جيوش الإسلام، وفي عهد عمر ولاه البصرة سنة سبع عشرة بعد عزل المغيرة، فجمع أهلها وخطب فيهم قائلاً: (إن أمير المؤمنين عمر بعثني إليكم، أعلمكم كتاب ربكم، وسنة نبيكم، وأنظف لكم طرقكم) فدهش الناس لأنهم اعتادوا أن يفقههم الأمير ويثقفهم، ولكن أن ينظف طرقاتهم فهذا ما لم يعهدوه أبداً، وقال عنه الحسن – رضي الله عنه – (ما أتى البصرة راكب خير لأهلها منه) فلم يزل عليها حتى قُتل عمر – رضي الله عنه.

كما أن عثمان – رضي الله عنه – ولاه الكوفة، قال الأسود بن يزيد: (لم أر بالكوفة من أصحاب محمد ﷺ أعلم من عليّ بن أبي طالب والأشعري).

أهل أصبهان:

وبينما كان المسلمون يفتحون بلاد فارس، هبط الأشعري وجيشه على أهل أصبهان الذين صالحوه على الجزية فصالحهم. بيد أنهم لم

يكونـوا صـادقين، وإنمـا أرادوا أن يأخذوا الفرصة للإعداد لضربة غادرة. ولكـن فطـنة أبـي موسـى الـتي لم تغب كانت لهم بالمرصاد، فعندما هموا بضـربتهم وجـدوا جـيش المسلمين متأهباً لهم، ولم ينتصف النهار حتى تم النصر الباهر.

موقعة تستر:

في فـتح بـلاد فـارس أبلى القائد العظيم أبو موسى الأشعري البلاء الكـريم، وفي موقعة التستر (٢٠هـ) بالذات كان أبو موسى بطلها الكبير. فقـد تحصن الهُرْمُزان بجيشه في تستر، وحاصرها المسلمون أياماً عدة. حتى أعمـل أبـو موسى الحيلة، فأرسل مائتي فارس مع عميل فارسي أغراه أبو موسـى بـأن يحـتال حـتى يفـتح باب المدينة. ولم تكد تفتح الأبواب حتى اقـتحم جـنود الطلـيعة الحصـن وانقـض أبـو موسـى بجيشـه انقضاضـاً، واسـتولى عـلى المعقـل في سـاعات، واستسـلم قـائد الفرس، فأرسله أبو موسى إلى المدينة لينظر الخليفة في أمره.

الفتنة:

لم يشـترك أبـو موسـى – رضـي الله عـنه في قتال إلا أن يكون ضد جـيوش مشركة. أما حينما يكون القتال بين مسلم ومسلم فإنه يهرب ولا يكـون لــه دور أبـداً. وكـان موقفـه هـذا واضـحاً في الخـلاف بـين علي ومعاوية، ونصل إلى أكثر المواقف شهرة في حياته، وهو موقفه في التحكيم بـين الإمـام علي ومعاوية. وكانت فكرته الأساسية هي أن الخلاف بينهما وصل إلى نقطة حرجة راح ضحيتها الآلاف، فلا بد من نقطة بدء جديدة،

تعطي المسلمين فرصة للاختيار بعد تنحيه أطراف النزاع، وأبو موسى الأشعري على الرغم من فقهه وعلمه، فهو يعامل الناس بصدقه، ويكره الخداع والمناورة التي لجأ إليها الطرف الآخر؛ ممثلاً في عمرو بن العاص الذي لجأ إلى الذكاء والحيلة الواسعة في أخذ الراية لمعاوية.

في اليوم التالي لاتفاقهم على تنحية علي ومعاوية وجعل الأمر شورى بين المسلمين، دعا أبو موسى عمراً ليتحدث فأبى عمرو قائلاً: (ما كنت لأتقدمك وأنت أكثر مني فضلاً وأقدم هجرة وأكبر سناً) .. وتقدم أبو موسى وقال: (يا أيها الناس، إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه الأمة ويصلح أمرها، فلم نر شيئاً أبلغ من خلع الرجلين – علي ومعاوية – وجعلها شورى يختار الناس لأنفسهم من يرونه لها، وإني قد خلت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم).

وجاء دور عمرو بن العاص ليعلن خلع معاوية كما تم الاتفاق عليه بالأمس، فصعد المنبر وقال: (أيها الناس: إن أبا موسى قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، ألا وإني قد خلعت صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي أمير المؤمنين عثمان والمطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)!!

ولم يحتمل أبو موسى المفاجأة، فلفح عمراً بكلمات غاضبة ثائرة، وعاد من جديد إلى عزلته إلى مكة إلى جوار البيت الحرام، يقضي هناك ما بقي له من عمر وأيام.

ولما قاربت وفاته زاد اجتهاده، فقيل له في ذلك، فقال: (إن الخيل

إذا قاربت رأس مجراها أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك).

وجاء أجل أبي موسى الأشعري، وكست محياه إشراقة من يرجو لقاء ربه وراح لسانه في لحظات الرحيل يردد كلمات اعتاد قولها دوماً: (اللهم أنت السلام، ومنك السلام) وتوفي بالكوفة في خلافة معاوية.

***

أبو هريرة - رضي الله عنه

وقد ذكر في:

- معرفة القراء الكبار، للذهبي.
- فتح الباري، لابن حجر، ص٩.
- طبقات القراءللذهبي.
- كتاب السبعة.
- الإتقان للسيوطي، حـ١.
- النشر في القراءات العشر، حـ١.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- مناهل العرفان، للزرقاني.

«اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة» [(١)].

كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، ولما أسلم سماه الرسول ﷺ عبدالرحمن، ولقد كان عطوفاً على الحيوان، وكانت له هرة، يرعاها ويطعمها وينظفها وتلازمه فدعي أبا هريرة.

نشأته وإسلامه:

يتحدث عن نفسه - رضي الله عنه - فيقول: نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، كنت

---

(١) حديث شريف.

أخدمهم إذا نزلوا، وأحدو لهم إذا ركبوا، وهأناذا وقد زوجنيها الله، فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً، وجعل أبا هريرة إماماً.

قدم إلى النبي ﷺ سنة سبع للهجرة وهو بخيبر وأسلم. ومنذ رأى الرسول الكريم لم يفارقه لحظة وأصبح من العابدين الأوابين، يتناوب مع زوجته وابنته قيام الليل كله، فيقوم هو ثلثه، وتقوم زوجته ثلثه، وتقوم ابنته ثلثه، وهكذا لا تمر من الليل ساعة إلا وفي بيت أبي هريرة عبادة وذكر وصلاة.

إسلام أم أبي هريرة:

لم يكن لأبي هريرة بعد إسلامه إلا مشكلة واحدة وهي أمه التي لم تسلم. وكانت دوماً تؤذيه بذكر الرسول ﷺ بالسوء. فذهب يوماً إلى الرسول باكياً: يا رسول الله، كنت أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى علي، وإني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة إلى الإسلام. فقال ارسول ﷺ: «**اللهم اهد أم أبي هريرة**».

فخرج يعدو يبشرها بدعاء الرسول ﷺ فلما أتاها سمع من وراء الباب خصخصة الماء، ونادته: يا أبا هريرة مكانك .. ثم لبست درعها، وعجلت من خمارها وخرجت تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

فجاء أبو هريرة إلى الرسول ﷺ باكياً من الفرح وقال: (أبشر يا رسول الله، فقد أجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام). ثم قال: يا رسول الله، ادع الله أن يحببني وأمي إلى المؤمنين

والمؤمنات. فقال ﷺ: «**اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة**».

إمارته للبحرين:

وعاش – رضي الله عنه – عابداً ومجاهداً، لا يتخلف عن غزوة ولا عن طاعة، وفي خلافة عمر – رضي الله عنه – ولاه إمارة البحرين، وكان عمر – رضي الله عنه – إذا ولى أحداً الخلافة راقب ماله، فإذا زاد ثراؤه ساءله عنه وحاسبه، وهذا ما حدث مع أبي هريرة، فقد ادخر مالاً حلالاً له، وعلم عمر بذلك فأرسل في طلبه، يقول أبو هريرة: قال لي عمر: (يا عدو الله، وعدو كتابه، أسرقت مال الله).

قلت: ما أنا بعدو لله ولا عدو لكتابه لكني عدو من عاداهما، ولا أنا من يسرق مال الله.

قال: فمن أين اجتمعت لك عشرة آلاف؟ قلت: خيل لي تناسلت، وعطايا تلاحقت، قال عمر: فادفعها إلى بيت مال المسلمين، ودفع أبو هريرة المال إلى عمر ثم رفع يديه إلى السماء وقال: (اللهم اغفر لأمير المؤمنين) وبعد حين دعا عمر أبا هريرة، وعرض عليه الولاية من جديد، فأباها واعتذر عنها، وعندما سأله عمر عن السبب قال: حتى لا يشتم عرضي، ويؤخذ مالي، ويضرب ظهري. ثم قال: وأخاف أن أقضي بغير علم، وأقول بغير حلم.

سرعة الحفظ وقوة الذاكرة:

إن أبطال الحروب من الصحابة كثيرون، والفقهاء والدعاة

والمعلمون كثيرون، ولكن كان هناك قلة من الكتاب، ولم يكونوا متفرغين لتدوين كل ما يقول الرسول ﷺ وعندما أسلم أبو هريرة لم يملك أرضاً يزرعها أو تجارة يتبعها. وإنما يملك موهبة تكمن في ذاكرته، فهو سريع الحفظ قوي الذاكرة. فعزم على تعويض ما فاته بأن يأخذ على عاتقه حفظ هذا التراث وينقله إلى الأجيال القادمة. فهو يقول: (إنكم لتقولون أكثر أبو هريرة في حديثه عن النبي ﷺ وتقولون إن المهاجرين الذي سبقوه إلى الإسلام لا يحدثون هذه الأحاديث، ألا إن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم بالسوق، وأن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضهم، وإني كنت امرءاً مسكيناً، أكثر مجالسة رسول الله ﷺ، فأحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وأن الرسول ﷺ حدثنا يوماً فقال: «**من يبسط رداءه حتى يفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه فلا ينسى شيئاً كان قد سمعه مني**». فبسطت ثوبي فحدثني ثم ضممته إلي. فوالله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه، وأيم الله لولا آية في كتاب الله ما حدثكم بشيء أبداً، وهي:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [(١)].

مقدرته على الحفظ:

أراد مروان بن الحكم يوماً أن يختبر مقدرة أبي هريرة على الحفظ، فدعاه إليه ليحدثه عن رسول الله ﷺ وأجلس كاتباً له وراء حجاب

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٩.

ليكتب كل ما يسمع من أبي هريرة، وبعد مرور عام، دعاه ثانية، وأخذ يستقرئه نفس الأحاديث التي كتبت، فما نسي أبو هريرة منها شيئاً .. وكان – رضي الله عنه – يقول: ما من أحد من أصحاب رسول الله أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبدالله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

وقال عنه الإمام الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره .. وقال البخاري: روى عن أبي هريرة نحو ثمانمائة أو أكثر من الصحابة والتابعين وأهل العلم.

وفاته:

وعندما كان يعوده المسلمين داعين له بالشفاء، كان أبو هريرة شديد الشوق إلى لقاء الله ويقول: (اللهم إني أحب لقاءك، فأحب لقائي).

وعن ثمان وسبعين سنة مات في العام التاسع والخمسين للهجرة، وتبوأ جثمانه الكريم مكاناً مباركاً بين ساكني البقيع الأبرار، وعاد مشيعوه من جنازته وألسنتهم ترتل الكثير من الأحاديث التي حفظها لهم عن رسولهم الكريم.



أبي بن كعب - رضي الله عنه

وقد ذكر في:

- الأرجوزة المنبهة لأبي عروة، ص١٠١.
- معرفة القراء الكبار للذهبي، ص٢٨.
- طبقات القراء للذهبي، ص٩.
- فتح الباريء، ص٦١.
- السبعة لابن مجاهد، ص١٣.
- تفسير ابن كثير، ط٤، ص٢٧.
- تفسير القرطبي، ط١، ص٢٩.
- النشر في القراءات العشر، ص٦.
- الإتقان، ص٧٢.
- مباحث في علوم القرآن، ص٦٥.
- سنن القراء ومناهج المجودين، ص٣٣.
- مناهل العرفان، ص٢٣٥.
- الأحرف السبعة، حسن ضياء الدين، ص٣٣٧.

سيد المسلمين:

«ليُهنك العلم أبا المنذر» [١].

---

(١) حديث شريف.

أبـي بـن كعـب بـن قـيس بن عُبيد النجار – أبو منذر – الأنصاري الخـزرجي. كـان قـبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، مطلعاً على الكتب القديمـة. ولمـا أسـلم كـان في كـتاب الوحـي. شـهد العقـبة وبـدراً وبقـية المشـاهد. وجمـع القرآن في حياة الرسول ﷺ وكان رأساً في العلم وبلغ في المسـلمين الأوائـل مـنزلة رفيعة، حتى قال عنه عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – (أبي سيد المسلمين).

كتابة الوحي:

كـان أبـي بـن كعـب في مقدمـة الذيـن يكتـبون الوحـي، ويكتبون الرسـائل، وكـان في حفظه القرآن وترتيله وفهم آياته من المتفوقين. قال له رسـول الله ﷺ: «**يـا أبـي بن كعب، إني أمرت أن أعرض عليك القرآن**» وأبـي يعـلم أن رسـول الله ﷺ إنمـا يتلقى أوامره من الوحي هنالك سأل الرسـول الكـريم في نشـوة غامـرة: يـا رسول الله، بأبي أنت وأمي، وهل ذكـرت لك باسمي؟ فأجاب الرسول ﷺ: «**نعم، باسمك ونسبك في الملأ الأعلى**». كما قال الرسول ﷺ: «**أقرأ أمتي أبي**».

علمه:

سأله النبي ﷺ يوماً: «**يا أبا المنذر، أي آية من كتاب الله أعظم**»؟ فأجاب قائلاً: الله ورسوله أعلم. وأعاد النبي ﷺ سؤاله: «**يا أبا المنذر، أي آية من كتاب الله أعظم**»؟ وأجاب أبي: قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا

خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [(١)].

فضرب الرسول ﷺ صدره بيده، وقال له والغبطة تتألق على محياه: «**لِيُهْنِك العلم أبا منذر**».

وعن أُبي بن كعب أن رسول الله ﷺ صلّى بالناس، فترك آية فقال: (أيكم أخذ علي شيئاً من قراءتي)؟ فقال أُبي: (أنا يا رسول الله، تركت آية كذا وكذا) فقال النبي ﷺ: «**قد علمت إن كان أحدٌ أخذها علي فإنك أنت هو**».

وقال أُبي بن كعب لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين إني تلقيت القرآن ممن تلقاه من جبريل وهو رطب.

زهده:

وعن جُندب بن عبدالله البجلي قال: أتيت المدينة ابتغاء العلم، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ فإذا الناس فيه حلقٌ يتحدثون. فجعلت أمضي الحلق حتى أتيت حلقة فيها رجل شاحبٌ عليه ثوبان كأنما قدم من سفر .. فسمعته يقول: هلك أصحاب العُقدة ورب الكعبة، ولا آسى عليهم .. أحسبه قال مراراً .. فجلست إليه فتحدث بما قُضي له ثم قام، فسألته عنه بعدما قام قلت: من هذا؟

قالوا: هذا سيد المسلمين أُبي بن كعب. فتبعته حتى أتى منزله، فإذا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ «آية الكرسي».

هـو رث المـنزل رث الهيـئة، فـإذا هـو رجل زاهد منقطعٌ يشبه أمره بعضه بعضاً.

ورعـه وتقـواه:

قـال أبـي بـن كعـب: يـا رسـول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعـل لك في صلاتي؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهو خيرٌ**» قال: الربع؟ قـال: «**مـا شـئت، وإن زدت فهو خيرٌ**» .. قال: أجعل النصف؟ قال: «**ما شـئت، وإن زدت فهـو خـيرٌ**»، قـال: الثلثين؟ قال: «**ما شئت، وإن زدت فهـو خـيرٌ**» قـال: أجعـل لك صلاتي كلها؟ قال: «**إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك**».

وبعـد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ظل أبي على عهده في عـبادته وقـوة ديـنه، وكـان دوماً يذكر المسلمين بأيام الرسول ﷺ ويقول: (لقـد كنا مع الرسول ﷺ ووجوهنا واحدة، فلما فارقنا اختلفت وجوهنا يميناً وشمالاً).

وعـن الدنـيا يـتحدث ويقـول: إن طعـام ابـن آدم قد ضرب للدنيا مـثلاً؛ فـإن مـلحه وقذحـه فانظـر إلى مـاذا يصـير؟ وحين اتسعت الدولة الإسـلامية ورأى المسـلمين يجاملون ولاتهم، أرسل كلماته المنذرة: هلكوا ورب الكعـبة، هلكـوا وأهلكوا، أما إني لا آسى عليهم، ولكن آسى على مـن يهلكون من المسلمين. وكان أكثر ما يخشاه هو أن يأتي على المسلمين يوم يصير بأسهم بينهم شديداً.

وقعة الجابيـة:

شـهد أبـي بـن كعب مع عمر بن الخطاب وقعة الجابية، وقد خطب عمـر بالجابية فقال: (أيها الناس: من كان يريد أن يسأل عن القرآن فليأت أبيّاً بن كعب).

الدعـوة المجابة:

عـن ابـن عـباس – رضـي الله عنه – قال: قال عمر بن الخطاب – رضـي الله عـنه: (اخرجوا بنا إلى أرض قومنا) .. قال: فخرجنا فكنت أنا وأبـيّ بـن كعـب في مؤخـرة الـناس، فهاجـت سحابة، فقال أبي: (اللهم اصـرف عـنا أذاهـا) فلحقـناهم وقـد ابتلـت رحـالهم، فقـال عمـر: (أما أصـابكم الذي أصابنا)؟ قلت: (إن أبا المنذر دعا الله عز وجل أن يصرف عنا أذاها) فقال عمر: (ألا دعوتم لنا معكم)؟

الوصيـة:

قـال رجلٌ لأبي بن كعب أوصني يا أبا المنذر: قال: لا تعترض فيما لا يعنـيك، واعـتزل عدوك، واحترس من صديقك ولا تغبطن حياً إلا بما تغبطه به ميتاً، ولا تطلب حاجةً إلى من لا يُبالي ألا يقضيها لك.

مرضـه:

عـن عبدالله بن أبي نصير قال: عُدْنا أُبيّاً بن كعب في مرضه، فسمع المنادي بالأذان فقال: (الإقامة هذه أو الأذان)؟

قلـنا: الإقامة فقال: ما تنتظرون؟ ألا تنهضون إلى الصلاة؟ فقلنا: ما بـنا إلا مكانك. قال: فلا تفعلوا قوموا، إن رسول الله ﷺ صلّى بنا صلاة

الفجر، فلما سلم أقبل على القوم بوجهه فقال: (أشاهدٌ فلان؟ أشاهدٌ فلان)؟ حتى دعا بثلاثة كلهم في منازلهم لم يحضروا الصلاة فقال: (إن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً، واعلم أن صلاتك مع رجل أفضل من صلاتك وحدك، وإن صلاتك مع رجلين أفضل من صلاتك مع رجل، وما أكثرتم فهو أحب إلى الله، وإن الصف المقدم على مثل صف الملائكة، ولو يعلمون فضيلته لابتدروه، ألا وإن صلاة الجماعة تفضل على صلاة الرجل وحده أربعاً وعشرين أو خمساً وعشرين.

قال الرسول ﷺ: «**ما من شيء يصيب المؤمن في جسده إلا كفَّر الله عنه به من الذنوب**». فقال أبي بن كعب: (اللهم إني أسألك أن لا تزال الحُمى مضارعة لجسد أُبي بن كعب حتى يلقاك، لا يمنعه من صيام ولا صلاة ولا حج ولا عُمرة ولا جهاد في سبيلك) فارتكبته الحمى فلما تفارقه حتى مات، وكان في ذلك يشهد الصلوات ويصوم ويحج ويعتمر ويغزو.

وفاته:

توفي – رضي الله عنه – سنة (٣٠هـ) يقول عُتِيّ السعدي: قدمت المدينة في يوم ريح وغُبْرةٍ،، وإذا الناس يموج بعضهم في بعض، فقلت: مالي أرى الناس يموج بعضهم في بعض؟ فقالوا: أما أنت من أهل هذا البلد؟ قلت: لا. قالوا: مات اليوم سيد المسلمين أبي بن كعب.

***

أبو أيوب الأنصاري - رضي الله عنه

وقد ذكر في:

- الإتقان، للسيوطي، ط١.

يدفن تحت أسوار القسطنطينية:

هـذا الصحابي الجليل يدعى خالد بن زيد بن كُليب، من بني النجار أما كنيته فأبو أيوب، وأما نسبته فإلى الأنصار.

ومن منا معشر المسلمين لا يعرف أبا أيوب الأنصاري؟!

فقـد رفـع الله في الخـافقين ذكـره، وأعلى في الأنام قدره حين اختار بيته مـن دون بـيوت المسـلمين جميعاً لينزل فيه الرسول الكريم لما حل في المدينة مهاجراً، وحسبه بذلك فخراً.

ولـنزول الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – في بيت أبي أيوب قصةٌ يحلو تردادها ويلذ تكرارها.

ذلـك الـنبي – علـيه الصـلاة والسلام – حين بلغ المدينة تلقته أفئدة أهلها بأكرم ما يُتلقى به وافدٌ، وتطلعت إليه عيونهم تبثه شوق الحبيب إلى حبيـبه. وفـتحوا لــه قلوبهم ليحل منها في السويداء، وأشرعوا لـه أبواب بيوتهم لينزل فيها أعز منزل.

لكـن الرسـول – صـلوات الله علـيه – قضـى في قباء من ضواحي المديـنة أيامـاً أربعـةً، بنى خلالها مسجده الذي هو أول مسجد أسس على التقوى.

ثم خرج منها راكباً ناقته، فوقف سادات يثرب في طريقها، كل يريد أن يظفر بشرف نزول رسول الله ﷺ في بيته، وكانوا يعترضون الناقة سيداً إثر سيد ويقولون: أقم عندنا يا رسول الله في العدد والعُدد والمنعة، فيقول لهم: دعوها فإنها مأمورة.

وتظل الناقة تمضي إلى غايتها تتبعها العيون، وتحف بها القلوب، إذا جازت منزلاً حزن أهله وأصابهم اليأس، بينما يُشرق الأمل في نفوس من يليهم.

وما زالت الناقة على حالها هذه، والناس يمضون في إثرها، وهم يتلهفون شوقاً لمعرفة السعيد المحظوظ. حتى بلغت ساحة خلاء أمام بيت أبي أيوب الأنصاري، وبركت فيها لكن الرسول – عليه الصلاة والسلام – لم ينزل عنها. فما لبثت أن وثبت وانطلقت تمشي، والرسول مرخ لها زمامها، ثم ما لبثت أن عادت أدراجها وبركت في مبركها الأول.

عند ذلك غمرت الفرحة فؤاد أبي أيوب الأنصاري، وبادر إلى رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يُرحب به وحمل متاعه بين يديه، وكأنما يحمل كنوز الدنيا كلها ومضى به إلى بيته.

كان منزل أبي أيوب يتألف من طبقة فوقها علية. فأخلى العُلية من متاعه ومتاع أهله لينزل فيها رسول الله ﷺ، لكن النبي – عليه الصلاة والسلام – آثر عليها الطبقة السفلى، فامتثل أبو أيوب لأمره، وأنزله حيث أحب.

ولما أقبل الليل، وأوى الرسول – صلوات الله وسلامه عليه – إلى

فراشه، صعد أبو أيوب وزوجه إلى العُلية. وما إن أغلقا عليهما بابهما حتى التفت أبو أيوب إلى زوجته وقال: ويحك، ماذا صنعنا؟

أيكون رسول الله ﷺ أسفل، ونحن أعلى منه؟!

أنمشي فوق رسول الله ﷺ؟!

أنصيرُ بين النبي والوحي؟! إنا إذن لهالكون.

وسُقط في أيدي الزوجين وهما لا يدريان ما يفعلان. ولم تسكن نفساهما بعض السكون إلا حين انحازا إلى جانب العُلية الذي لا يقع فوق رسول الله ﷺ، والتزماه لا يبرحانه إلا ماشيين على الأطراف متباعدين عن الوسط.

فلما أصبح أبو أيوب؛ قال للنبي – عليه الصلاة والسلام – : والله ما أغمض لنا جفنٌ في هذه الليلة لا أنا ولا أم أيوب.

فقال – عليه الصلاة والسلام – : ومم ذاك يا أبا أيوب؟! قال: ذكرتُ أني على ظهر بيت أنت تحته، وأني إذا تحركت تناثر عليك الغبار فآذاك ثم إني غدوت بينك وبين الوحي.

فقال له الرسول – عليه الصلاة والسلام: «**هون عليك يا أبا أيوب، إنه أرفق بنا أن نكون في السفل، لكثرة من يغشانا من الناس**» قال أبو أيوب: فامتثلت لأمر رسول الله ﷺ إلى أن كانت ليلةٌ باردةٌ، فانكسرت لنا جرةٌ وأريق ماؤها في العُلية، فقمت إلى الماء أنا وأم أيوب، وليس لدينا إلا قطيفةٌ كنا نتخذها لحافاً، وجعلنا ننشف بها الماء خوفاً من أن يصل إلى رسول الله ﷺ، فلما كان الصباح غدوت على الرسول – صلوات الله

وسلامه عليه – وقلت: بأبي أنت وأمي، إني أكره أن أكون فوقك، وأن تكون أسفل مني، ثم قصصت عليه خبر الجرة فاستجاب لي، وصعد إلى العلية، ونزلت أنا وأم أيوب إلى السفل.

أقام النبي – عليه الصلاة والسلام – في بيت أبي أيوب نحواً من سبعة أشهر، حتى تم بناء مسجده في الأرض الخلاء التي بركت فيها الناقة، فانتقل إلى الحجرات التي أقيمت حول المسجد له ولأزواجه، فغدا جاراً لأبي أيوب، أكرم بهما من متجاورين.

أحب أبو أيوب رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – حباً ملك عليه قلبه ولبه، وأحب الرسول الكريم أبا أيوب حبّاً أزال الكُلفة فيما بينه وبينه وجعله ينظر إلى بيت أبي أيوب كأنه بيته.

حدث ابن عباس قال: خرج أبو بكر – رضي الله عنه – بالهاجرة إلى المسجد فرآه عمر – رضي الله عنه – فقال: يا أبا بكر ما أخرجك هذه الساعة؟!

قال: ما أخرجني إلا ما أجد من شدة الجوع.

فقال عمر: وأنا والله ما أخرجني غير ذلك.

فبينما هما كذلك إذ خرج عليهما رسول الله ﷺ فقال: ما أخرجكما هذه الساعة؟!

قالا: والله ما أخرجنا إلا ما نجده في بطوننا من شدة الجوع.

قال – عليه الصلاة والسلام: وأنا – والذي نفسي بيده – ما أخرجني غير ذلك.

قوما معي، فانطلقوا فأتوا باب أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - وكان أبو أيوب يدخر لرسول الله كل يوم طعاماً، فإذا أبطأ عنه ولم يأت إليه في حينه أطعمه لأهله.

فلما بلغوا الباب خرجت إليهم أم أيوب، وقالت: مرحباً بنبي الله وبمن معه، فقال لها النبي - عليه الصلاة والسلام - : أين أبو أيوب؟ فسمع أبو أيوب صوت النبي - وكان يعمل في نخل قريبٍ له - فأقبل يُسرعُ، وهو يقول: مرحباً برسول الله وبمن معه، ثم أتبع قائلاً: يا نبي الله ليس هذا بالوقت الذي كنت تجيء فيه، فقال - عليه الصلاة والسلام - : صدقت، ثم انطلق أبو أيوب إلى نخيله فقطع منه عذقاً فيه تمرٌ ورطبٌ وبُسْرٌ.

فقال - عليه الصلاة والسلام - : ما أردت أن تقطع هذا، ألا جنيت لنا من تمره؟

قال: يا رسول الله أحببت أن تأكل من ثمره ورُطبه وبُسْره، ولأذبحن لك أيضاً.

قال: إن ذبحت فلا تذبحن ذات لبن.

فأخذ أبو أيوب جدياً فذبحه، ثم قال لامرأته.

اعجني واخبزي لنا، وأنت أعلم بالخبز، ثم أخذ نصف الجدي فطبخه، وعمد إلى نصفه الثاني فشواه، فلما نضج الطعام، ووضع بين يدي النبي وصاحبيه، أخذ الرسول قطعة من الجدي ووضعها في رغيف، وقال: يا أبا أيوب بادر بهذه القطعة إلى فاطمة، فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام.

فلما أكلوا وشبعوا قال النبي ﷺ: «**خبزٌ، ولحمٌ وتمرٌ، وبُسْرٌ، ورُطب**»! ودمعت عيناه ثم قال: «**والذي نفسي بيده إن هذا هو النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة، فإذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم فيه فقولوا باسم الله، فإذا شبعتم فقولوا: الحمد لله الذي هو أشبعنا وأنعم علينا فأفضل**». ثم نهض الرسول صلوات الله عليه، وقال لأبي أيوب: ائتنا غداً.

وكان - عليه الصلاة والسلام - لا يصنع له أحدٌ معروفاً إلا أحب أن يجازيه عليه؛ لكن أبا أيوب لم يسمع ذلك.

فقال له عمر - رضوان الله عليه - : إن النبي ﷺ يأمرك أن تأتيه غداً يا أبا أيوب.

فقال أبو أيوب: سمعاً وطاعةً لرسول الله.

فلما كان الغدُ ذهب أبو أيوب إلى النبي ﷺ فأعطاه وليدةً كانت تخدمه، وقال له: استوص بها خيراً - يا أبا أيوب - فإنا لم نر منها إلا خيراً ما دامت عندنا.

عاد أبو أيوب إلى بيته ومعه الوليدة؛ فلما رأتها أم أيوب: قالت: لمن هذه يا أبا أيوب؟!

قال: لنا .. منحنا إياها رسول الله ﷺ.

فقالت: أعظم به من مانح وأكرم بها من منحةٍ.

فقال: وقد أوصانا بها خيراً.

فقالت: كيف نصنع بها حتى ننفذ وصية رسول الله ﷺ؟

فقال: والله لا أجد لوصية رسول الله بها خيراً من أن أعتقها.

فقالت: هُديت إلى الصواب، فأنت مُوفقٌ، ثم أعتقها.

هـذه بعض صور حياة أبي أيوب الأنصاري في سلمه، فلو أتيح لك أن تقف على بعض صور حياته في حربه لرأيت عجباً.

فقـد عـاش أبـو أيـوب – رضـي الله عنه – طول حياته غازياً حتى قـيل: إنـه لم يـتخلف عن غزوة غزاها المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ إلى زمن معاوية إلا إذا كان منشغلاً عنها بأخرى.

وكانـت آخـر غزواته حين جهز مُعاويةُ جيشاً بقيادة ابنه يزيد، لفتح القسـطنطينية وكـان أبـو أيـوب آنـذاك شـيخاً طاعـناً في السـن يحبو نحو الـثمانين مـن عُمُره فـلم يمـنعه ذلك من أن ينضوي تحت لواء يزيد، وأن يمخر عُباب البحر غازياً في سبيل الله.

لكـنه لم يمـض غـير قليـل عـلى منازلة العدو حتى مرض أبو أيوب مرضـاً أقعـده عـن مواصـلة القـتال، فجـاء يـزيد ليعوده وسأله: ألك من حاجة يا أبا أيوب؟

فقـال: اقرأ عني السلام على جنود المسلمين، وقل لهم: يوصيكم أبو أيـوب أن توغلـوا في أرض العـدو إلى أبعد غاية، وأن تحملوه معكم، وأن تدفنوه تحت أقدامكم عند أسوار القسطنطينية. ولفظ أنفاسه الطاهرة.

استجاب جـند المسلمين لرغبة صاحب رسول الله ﷺ وكروا على

جُـنْد العـدو الكرة بعد الكرة حتى بلغوا أسوار القسطنطينية وهم يحملون أبا أيوب معهم. وهناك حفروا له قبراً وواروه فيه.

رحـم الله أبـا أيـوب الأنصـاري، فقد أبى إلا أن يموت على ظهور الجياد الصافنات غازياً في سبيل الله وسنه تقارب الثمانين.

***

تميم بن أوس - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري، ط٩
- الإتقان للسيوطي.

تميم بن أوس بن خارجة بن سُود بن جذيمة بن وداع الداري، أسلم في السنة التاسعة من الهجرة، وروى عن الرسول ﷺ كانت له ابنة اسمها رقية.

إيمانه:

كان من علماء الكتابين (نصرانياً)، وكان يختم في ركعة، وكان كثير التهجد، وقام ليلة بآية حتى أصبح وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١).

كما أن الرسول ﷺ أقطعه بيت حبرون عندما سكن في فلسطين، وهو أول من أسرج السراج في المسجد، وأول من قص القصص في عهد عمر.

حديث تميم الكبير:

نادى منادي رسول الله ﷺ (الصلاة جامعة) فخرج المسلمون إلى

---

(١) سورة الجاثية.

المسجد وصلوا مع رسول الله ﷺ فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**ليلزم كل إنسان مصلاه**» ثم قال: «**أتدرون لم جمعتكم**»؟ قالوا: (الله ورسوله أعلم). قال: «**إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا رهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال .. حدثني أنه ركب في سفينة بحرية، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجُذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم ارفؤوا إلى جزيرة في البحر، حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أَقْرُب السفينة - أي في السفن الصغيرة تكون مع السفينة الكبيرة - فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابةٌ أهلب - أي غليظة الشعر - كثيرة الشعر، لا يدرون ما قبله من دبره، من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها لقوم! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها - أي خفنا منها - أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعاً، حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشد وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم - أي هاج - فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقرُبها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر، لا يُدرى ما قبله من دبره من كثرة شعره، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة؟ قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا**

الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان قرية بالشام قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما أن ذاك خيرٌ لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني.

إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدعُ قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة. غير مكة وطيبة فهما محرمتان علي كلتاهما. كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منها، استقبلني ملكٌ بيده السيف صلتاً، يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

فقال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبةٌ! هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم قال: فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن، لا بل من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو، من قبل المشرق ما هو .. وأومأ بيده إلى المشرق».

فضله:

قدم معاوية بن حرمل المدينة، فلبث في المسجد ثلاثاً لا يطعم، فأتى عمر فقال: يا أمير المؤمنين تائبٌ من قبل أن يقدر عليه؟ قال: من أنت؟

قال: أنا معاوية بن حرمل.

قال: اذهب إلى خير المؤمنين فانزل عليه.

وكان تميم الداري إذا صلى ضرب بيده عن يمينه وعن شماله فأخذ رجلين فذهب بهما، فصلى معاوية إلى جنبه، فضرب يده فأخذ بيده فذهب به، فأتيا الطعام، فأكل أكلاً شديداً ما شبع من شدة الجوع.

وفاته:

انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان - رضي الله عنه - ونزل بيت المقدس، ووجد على قبره أنه مات سنة ٤٠ للهجرة وقبره في بيت جبرون (حبرون) في فلسطين.

***

الحسين بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما

وقد ذكر في أسانيد بعض القراء العشر. كما ذكر.

سيد شباب الجنة:

«حُسين مني وأنا من حُسين، أحب الله تعالى من أحب حُسيناً، حُسينٌ سبطٌ من الأسباط» (١).

الابن الثاني لفاطمة الزهراء، ولد بالمدينة ونشأ في بيت النبوة وكنيته أبو عبدالله.

حُبَّ الرسول ﷺ له:

قال الرسول ﷺ: **«حسين مني وأنا من حسين، أحب الله تعالى من أحبَّ حُسيناً، حُسينٌ سبطٌ من الأسباط»**. كما قال الرسول الكريم: **«اللهم إني أحبه فأحبه»** .. وعن أبي أيوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه وفي حجره، فقلت: يا رسول الله أتحبهما: قال: **«وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما»**؟! وقال الرسول ﷺ: **«من أراد أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة، فلينظر إلى الحسين بن علي»**.

كما قالت زينب بنت أبي رافع: رأيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أتت بابنيها إلى رسول الله ﷺ في شكواه الذي توفي فيه فقالت: يا رسول

---

(١) حديث شريف.

الله! هـذان ابـناك فورّثهما فقال: «**أما حسنٌ فإن له هيبتي وسؤددي، وأما حسين فإن له جرأتي وجودي**».

فضـله:

مـرَّ الحسـين – رضـي الله عـنه – يومـاً بمسـاكين يأكلون في الصّفة، فقـالوا: الغداء، فنزل وقال: إن الله لا يحب المتكبرين. فتغدى ثم قال لهم: (قـد أجبـتكم فأجيـبوني). قالوا: نعم. فمضى بهم إلى منزله فقال لرباب: (أخرجي ما كنت تدخرين.

الحسن والحسين:

جـرى بـين الحسـن بن علي وأخيه الحسين كلام حتى تهاجرا، فلما أتـى عـلى الحسـن ثلاثـة أيام، تألم من هجر أخيه، فأقبل إلى الحسين وهو جـالس، فأكـب عـلى رأسه فقبله، فلما جلس الحسن قال لـه الحسين:إن الذي منعني من ابتدائك والقيام إليك أنك أحق بالفضل مني، فكرهت أن أنازعك ما أنت أحق به).

البيـعة:

تـوفي معاويـة نصـف رجـب سنة ستين، وبايع الناس يزيداً، فكتب يـزيد للولـيد مـع عبدالله بن عمرو بن أويس العامري، وهو على المدينة: (أن ادعُ الـناس، فـبايعهم وابـدأ بوجـوه قـريش، ولـيكن أول من تبدأ به الحسـين بن علي، فإن أمير المؤمنين – رحمه الله – عهد إليّ في أمره للرفق به واستصلاحه).

فبعـث الولـيد من ساعته نصف الليل إلى الحسين بن علي، وعبدالله

ابـن الـزبير، فأخـبرهما بوفـاة معاويـة، ودعاهمـا إلى البيعة ليزيد، فقالا: (نصبح وننظر ما يصنع الناس).

ووثـب الحسين فخرج وخرج معه ابن الزبير، وهو يقول: (هو يزيد الـذي نعـرف، والله ما حدث له حزم ولا مروءة)، وقد كان الوليد أغلظ للحسـين فشـتمه الحسـين، وأخـذ بعمامته فنزعها من رأسه. فقال الوليد: (إن هجـنا بـأبي عـبدالله إلا أسـداً) فقـال لـه مـروان أو بعض جلسائه: (اقتله) قال: إن ذلك لدم مضنون في بني عبد مناف.

من المدينة إلى مكة:

وخـرج الحسـين وابـن الـزبير مـن ليلـتهما إلى مكة، وأصبح الناس فغـدوا عـلى البـيعة لـيزيد، وطُلب الحسين وابن الزبير فلم يوجدا فقدما مكة، فنزل الحسين دار العباس بن عبدالمطلب، ولزم الزبير الحجر، ولبس المغافـري وجعـل يُحـرض الـناس عـلى بني أمية، وكان يغدو ويروح إلى الحسين، ويشير عليه أن يقدم العراق ويقول: (هم شيعتك وشيعة أبيك).

الخروج إلى العراق:

بلـغ ابـن عمـر – رضي الله عنه – أن الحسين بن علي قد توجه إلى العراق، فلحقه على مسيرة ثلاث ليال، فقال له: أين تريد؟

فقال: العراق. وإذا معه طوامير كتب، فقال: هذه كتبهم وبيعتهم.

فقـال: لا تأتهم. فأبى، قال ابن عمر: إني محدثك حديثاً: إن جبريل أتـى الـنبي ﷺ فخـيره بـين الدنيا والآخرة، فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا. وإنكـم بضـعة مـن رسـول الله ﷺ والله لا يلـيها أحـد مـنكم أبـداً، وما

صرفها الله عنكم إلا للذي هو خير.

فأبى أن يرجع، فاعتنقه ابن عمر وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل.

وقال ابن عباس – رضي الله عنه – للحسين: أين تريد يا بن فاطمة؟

قال: العراق وشيعتي.

فقال: إني لكارهٌ لوجهك هذا، تخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك حتى تركهم سخطةً وملة لهم، أذكرك الله أن لا تغرر بنفسك.

وقال أبو سعيد الخدري: (غلبني الحسين بن علي على الخروج، وقد قُلت له: اتق الله في نفسك، والزم بيتك، فلا تخرج على إمامك.

وكتبت له عمرة بنت عبدالرحمن تعظم عليه ما يريد أن يصنع، وتأمره بالطاعة ولزوم الجماعة، وتخبره أنه إنما يُساق إلى مصرعه وتقول: (أشهد لحدثتني عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُقتل حسينٌ بأرض بابل**». فلما قرأ كتابها قال: (فلا بد لي إذاً من مصرعي) ومضى.

مقتله:

وبلغ يزيد خروج الحسين – رضي الله عنه – فكتب إلى عبيدالله بن زياد عامله على العراق يأمره بمحاربته وحمله إليه، إن ظفر به. فوجه عُبيدالله الجيش مع عمر بن سعيد بن أبي وقاص، وعدل الحسين إلى (كربلاء)، فلقيه عمر بن سعيد هناك، فاقتتلوا، فقتل الحسين رضوان الله عليه ورحمته وبركاته في يوم عاشوراء، العاشر من محرم سنة إحدى وستين.

السماء تبكي:

قال ابن سيرين: (لم تبك السماء على أحد بعد يحيى بن زكريا إلا على الحسين بن علي) وعن خلف بن خليفة عن أبيه قال: (لما قُتل الحسين أسودت السماء، وظهرت الكواكب نهاراً، حتى رأيت الجوزاء عند العصر وسقط التراب الأحمر).

وقالت أم خلاد: (كنا زماناً بعد مقتل الحسين، وإن الشمس تطلع محمرة على الحيطان والجُدر بالغداة والعشي) وكانوا لا يرفعون حجراً إلا يوجد تحته دمٌ!!

الرؤى:

استيقظ ابن عباس من نومه، فاسترجع وقال: (قُتل الحسين والله) فقال له أصحابه: (كلا يا ابن عباس، كلا) قال: رأيت رسول الله ﷺ ومعه زجاجة من دم فقال: «**ألا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتلوا ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه، أرفعها إلى الله عز وجل**»)، فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه، وتلك الساعة، فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوماً حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قُتل ذلك اليوم وتلك الساعة!

الدفن:

وقد نقل رأسه ونساؤه وأطفاله إلى (يزيد) بدمشق، واختلف في الموضع الذي دُفن فيه الرأس، فقيل في دمشق، وقيل في كربلاء مع الجثة، وقيل في مكان آخر.

***

حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- ابن كثير في تفسيره، ط٤، ص٢٩.
- فتح الباري لابن حجر العسقلاني.
- السبعة لابن مجاهد.
- مناهل العرفان للزرقاني.
- الإتقان للسيوطي.

«كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني».

حذيفة بن اليمان بن جابر العبسي وكنيته أبا عبدالله. وكان صاحب سر رسول الله ﷺ. جاء حذيفة وأخوه ووالدهما إلى رسول الله ﷺ، واعتنقوا الإسلام. ولقد نما - رضي الله عنه - في ظل هذا الدين. وكانت له موهبة في قراءة الوجوه والسرائر، فعاش مفتوح البصر والبصيرة على مآتي الفتن ومسالك الشرور ليتقيها، فقد جاء إلى الرسول ﷺ يسأله: يا رسول الله: إن لي لساناً ذرباً على أهلي وأخشى أن يدخلني النار.

فقال له النبي ﷺ: **«فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر في اليوم مئة مرة»** هذا هو حذيفة - رضي الله عنه.

يوم أحد:

لقد كان في إيمانه - رضي الله عنه - وولائه قوياً، فها هو يرى والده يقتل خطأ يوم أحد بأيدي مسلمة، فقد رأى السيوف تنوشه فصاح

بضاربيه: (أبي، أبي، إنه أبي)!! ولكن أمر الله قد نفذ، وحين علم المسلمون تولاهم الحزن والوجوم. لكنه نظر إليهم إشفاقاً وقال: (يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين) ثم انطلق بسيفه يؤدي واجبه في المعركة الدائرة. وبعد انتهاء المعركة علم الرسول ﷺ بذلك، فأمر بالدية عن والد حذيفة (حسيل بن جابر) ولكن تصدق بها حذيفة على المسلمين، فازداد الرسول له حباً وتقديراً.

غزوة الخندق:

عندما دب الفشل في صفوف المشركين وحلفائهم واختلف أمرهم وفرق الله جماعتهم، دعا الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان، وكان الطقس بارداً والقوم يعانون من الخوف والجوع، وقال له: (يا حذيفة، اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا)! فذهب ودخل في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء. فقام أبو سفيان فقال: (يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه)؟ قال حذيفة: (فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي فقلت: من أنت؟ قال: فلان بن فلان)، فأمن نفسه في المعسكر. ثم قال أبو سفيان: (يا معشر قريش: إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل). ثم نهض فوق جمله، وبدأ المسير. يقول حذيفة: لولا عهد رسول الله ﷺ إلي ألا تحدث شيئاً حتى تأتيني، لقتلته

بسهم، وعاد حذيفة إلى الرسول الكريم حاملاً له البشرى.

خوفه من الشر:

كان حذيفة - رضي الله عنه - يرى أن الخير واضح في الحياة، ولكن الشر هو المخفي؛ لذا فهو يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني.

قلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «**نعم**».

قلت: فهل بعد هذا الشر من خير؟

قال: «**نعم، وفيه دخن**».

قلت: وما دخنه؟

قال: «**قوم يستنون بغير سنتي، ويهتدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر**».

قلت: وهل بعد ذلك الخير شر؟

قال: «**نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**».

قلت: يا رسول الله، فما تأمرني أن أدركني ذلك؟

قال: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «**تعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**».

المنافقون:

كان حذيفة – رضي الله عنه – يعلم أسماء المنافقين، أعلمه بهم رسول الله ﷺ وسأله عمر: أفي عمّالي أحدٌ من المنافقين؟ قال: نعم، واحد. قال: من هو؟ قال: لا أذكره. قال حذيفة: فعزله كأنما دل عليه.

وكان عمر إذا مات ميت يسأل عن حذيفة، فإن حضر الصلاة عليه صلى عليه عمر، وإن لم يحضر حذيفة الصلاة عليه لم يحضر عمر.

آخر ما سمع من الرسول ﷺ:

عن حذيفة قال: أتيت رسول الله ﷺ في مرضه الذي توفاه الله فيه، فقلت يا رسول الله، كيف أصبحت بأبي أنت وأمي؟ فرد علي بما شاء الله ثم قال: «**يا حذيفة: ادن مني**» فدنوت من تلقاء وجهه، قال: «**يا حذيفة إنه من ختم الله به بصوم يومٍ، أراد به الله تعالى أدخله الله الجنة، ومن أطعم جائعاً أراد به الله، أدخله الله الجنة، ومن كسا عارياً أراد به الله، أدخله الله الجنة**»، قلت: يا رسول الله: أأسر هذا الحديث أم أعلنه؟ قال: «**بل أعلنه**» .. فهذا آخر شيء سمعته من رسول الله ﷺ.

أهل المدائن:

خرج أهل المدائن لاستقبال الوالي الذي اختاره عمر – رضي الله عنه – لهم، فأبصروا أمامهم رجلاً يركب حماره على ظهره أكاف قديم، وأمسك بيديه رغيفاً وملحاً، وهو يأكل ويمضغ، وكاد يطير صوابهم عندما علموا أنه الوالي – حذيفة بن اليمان – المنتظر. ففي بلاد فارس لم يعهدوا الولاة كذلك. وحين رآهم حذيفة يحدقون به قال لهم: إياكم

ومواقف الفتن .. قالوا: وما مواقف الفتن يا أبا عبدالله؟ قال: أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير أو الوالي، فيصدقه بالكذب، ويمتدحه بما ليس فيه.

فكانت هذه البداية أصدق تعبير عن شخصية الحاكم الجديد، ومنهجه في الولاية.

معركة نهاوند:

في معركة نهاوند حيث احتشد الفرس في مائة ألف مقاتل وخمسين ألفاً، اختار أمير المؤمنين عمر لقيادة الجيوش المسلمة النعمان بن مقرن، ثم كتب إلى حذيفة أن يسير إليه على رأس جيش من الكوفة. وأرسل عمر للمقاتلين كتابه يقول: (إذا اجتمع المسلمون، فليكن كل أمير على جيشه، وليكن أمير الجيوش جميعاً (النعمان بن مقرن)، فإذا استشهد النعمان فليأخذ الراية حذيفة، فإذا استشهد فجرير بن عبدالله)، وهكذا استمر يختار قواد المعركة حتى سمى منهم سبعة.

والتقى الجيشان ونشب قتال قوي، وسقط القائد النعمان شهيداً، وقبل أن تسقط الراية كان القائد الجديد حذيفة يرفعها عالياً وأوصى بألا يذاع نبأ استشهاد النعمان حتى تنجلي المعركة، ودعا (نعيم بن مقرن) فجعله مكان أخيه (النعمان) تكريماً له، ثم هجم على الفرس صائحاً: الله أكبر: صدق وعده، الله أكبر: نصر جنده، ثم نادى المسلمين قائلاً: يا أتباع محمد، هاهي ذي جنان الله تتهيأ لاستقبالكم، فلا تطيلوا عليها الانتظار.

وانتهى القتال بهزيمة ساحقة للفرس، وكان فتح همدان والري والدينور على يده، وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين، وتزوج فيها.

اختياره للكوفة:

أنزل مناخ المدائن بالعرب المسلمين أذى بليغاً، فكتب عمر لسعد بن أبي وقاص كي يغادرها فوراً بعد أن يجد مكاناً ملائماً للمسلمين، فوكل أمر اختيار المكان لحذيفة بن اليمان ومعه سلمان بن زياد، فلما بلغا أرض الكوفة وكانت حصباء جرداء مرملة، قال حذيفة لصاحبه: (هنا المنزل إن شاء الله). وهكذا خططت الكوفة وتحولت إلى مدينة عامرة، وشفي سقيم المسلمين وقوي ضعيفهم.

فضله:

قال الرسول ﷺ: «**ما من نبي قبلي إلا قد أعطي سبعة نُجباء رفقاء، وأعطيت أنا أربعة عشر: سبعة من قريش: علي والحسن والحسين وحمزة وجعفر، وأبو بكر وعمر، وسبعة من المهاجرين: عبدالله ابن مسعود، وسلمان وأبو ذر وحذيفة وعمار والمقداد وبلال**» - رضوان الله عليهم.

قيل لرسول الله ﷺ استخلفت.

فقال: «**إني إن أستخلف عليكم فعصيتم خليفتي عذبتم، ولكم ما حدثكم به حُذيفة فصدقوه، وما أقرأكم عبدالله بن مسعود فاقرؤوه**».

قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لأصحابه تمنوا .. فتمنوا ملء البيت الذي كانوا فيه مالاً وجواهر ينفقونها في سبيل الله، فقال عمر: لكني أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن

اليمان، فأستعملهم في طاعة الله عز وجل.

ثم بعث بمال إلى أبي عبيدة وقال: أنظر ما يصنع .. فقسمه، ثم بعث بمال إلى حذيفة وقال: أنظر ما يصنع .. فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.

من أقواله:

لحذيفة بن اليمان أقوال بليغة كثيرة، فقد كان واسع الذكاء والخبرة، وكان يقول للمسلمين: (ليس خياركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا الذين يتركون الآخرة للدنيا، ولكن الذين يأخذون من هذه ومن هذه).

يقول حذيفة: أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي شيئاً لم يحدث به غيري، وكان ذكر الفتن في مجلس أنا فيه، فذكر ثلاثاً لا يذرن شيئاً، فما بقي من أهل ذلك المجلس غيري.

كان – رضي الله عنه – يقول: إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان. فاستجاب له من استجاب، فحيٌّ بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان حياً. ثم ذهبت النبوة وجاءت الخلافة على منهاجها، ثم يكون ملكاً عضوضاً، فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه، أولئك استجابوا للحق. ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه، كافاً يده، فهذا ترك شعبة من الحق. ومنهم من ينكر بقلبه، كافاً يده ولسانه، فهذا ترك شعبتين من الحق. ومنهم من لا ينكر بقلبه ولا بيده، ولا بلسانه، فذلك ميت الأحياء.

ويتحدث عن القلوب والهدى والضلالة فيقول: (القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب كافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد، فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل المنافق كمثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب غلب.

مقتل عثمان:

كان حذيفة – رضي الله عنه – يقول: (اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، والله ما شهدتُ ولا قتلتُ ولا مالأتُ على قتله).

وفاته:

لما نزل بحذيفة الموت جزع جزعاً شديداً وبكي بكاءً كثيراً، فقيل: (ما يبكيك)؟ فقال: ما أبكي أسفاً على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم على رضى أم على سخط).

ودخل عليه بعض أصحابه، فسألهم: أجئتم معكم بأكفان؟

قالوا: نعم.

قال: أرونيها .. فوجدها جديدة فارهة، فابتسم وقال لهم: ما هذا لي بكفن، إنما يكفيني لفافتان بيضاوان ليس معهما قميص، فإني لن أترك في القبر إلا قليلاً، حتى أبدل خيراً منهما، أو شراً منهما.

ثـم تمـتم بكلمات: (مرحباً بالموت، حبيب جاء على شوق، لا أفلح مـن نـدم) وأسـلم الـروح الطاهـرة لـبارئها في أحـد أيـام العـام الهجري السادس والثلاثين بالمدائن، وبعد مقتل عثمان بأربعين ليلة.

***

حمران بن قيس الفزاري

وقد ذكره كل من:

- ابن عبدالبر في الاستيعاب.
- المبارك فوري في تهذيب بن كثير.

حمران بن جابر الحنفي اليمامي له صحبة، وهو أحد الوفد السبعة من بني الحر بن قيس الفزاري. الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري بن أخي عيينة ابن حصن. كان أحد الوفد الذين قدموا على رسول الله ﷺ من فزارة مرجعه من تبوك.

روى سفيان بن عيينة عن الزهري قال: كان جلساء عمر بن الخطاب أهل القرآن شباباً وكهولاً. قال فجاء عيينة الفزاري وكان له ابن أخ من جلساء عمر، يقال له الحر بن قيس. فقال لابن أخيه ألا تدخلني على هذا الرجل؟ فقال إني أخاف أن تتكلم بكلام لا ينبغي فقال: لا أفعل.

فأدخله على عمر فقال يا بن الخطاب: والله ما تقسم في العدل، ولا تعطي الجزل. فغضب عمر غضباً شديداً حتى هم أن يوقع به. فقال ابن أخيه يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1]. وإن هذا من الجاهلين.

قال: فخلى عنه عمر وكان وقافاً عند كتاب الله عز وجل.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

والحر بن قيس هذا هو المذكور في حديث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس أنه تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى الذي سأل لقاءه، فمر بهما أبي بن كعب، فحدثهما بقصته حدث به عن الزهري الأوزاعي ويونس بن يزيد.

***

زيد بن ثابت – رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- الأرجوزة المنبهة للداني.
- مناهل العرفان للزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الفالح.
- سنن القراء ومناهج المجودين.
- النشر في القراءات العشر، ط١.
- السبعة، لابن مجاهد.
- الإتقان للسيوطي.
- طبقات القراء، للذهبي.
- فتح الباري، لابن حجر.
- معرفة القراء الكبار.

جامع القرآن:

«لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيداً بن ثابت كان من الراسخين في العلم» [(١)] .

زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري من المدينة، يوم قدم الرسول ﷺ للمدينة كان يتيماً (والده توفي يوم بُعاث) وسنه لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، وأسلم مع أهله وباركه الرسول الكريم بالدعاء.

---

(١) ابن عباس.

الجهاد:

صحبه آباؤه معهم إلى غزوة بدر، لكن الرسول ﷺ رده لصغر سنه وجسمه. وفي غزوة أحد ذهب مع جماعة من أترابه إلى الرسول ﷺ يرجون أن يضمهم للمجاهدين، وأهلهم كانوا يرجون أكثر منهم. ونظر إليه الرسول ﷺ شاكراً وكأنه يريد الاعتذار، ولكن رافع بن خديج وهو أحدهم تقدم إلى الرسول الكريم وهو يحمل حربة ويستعرض بها قائلاً: (إني كما ترى، أجيد الرمي فأذن لي) .. فأذن الرسول ﷺ له.

وتقدم (سمرة بن جندب) وقال بعض أهله للرسول: (إن سمرة يصرع رافعاً) فحياه الرسول وأذن له.

وبقي ستة من الأشبال منهم زيد بن ثابت وعبدالله بن عمر، وبذلوا جهدهم بالرجاء والدمع واستعراض العضلات، لكن أعمارهم صغيرة، وأجسامهم غضة، فوعدهم الرسول بالغزوة المقبلة. وهكذا بدأ زيد مع إخوانه دوره كمقاتل في سبيل الله بدءاً من غزوة الخندق، سنة خمس من الهجرة.

وكانت مع زيد - رضي الله عنه - راية بني النجار يوم تبوك، وكانت أولاً مع عُمارة بن حزم، فأخذها لنبي ﷺ منه فدفعها لزيد بن ثابت فقال عُمارة: يا رسول الله بلغك عني شيءٌ؟ قال الرسول ﷺ: لا، ولكن القرآن مقدم.

العلم:

لقد كان - رضي الله عنه - مثقفاً متنوع المزايا، يتابع القرآن حفظاً، ويكتب الوحي لرسوله، ويتفوق في العلم والحكمة. وحين بدأ الرسول

ﷺ في إبلاغ دعوته للعالم الخارجي، وإرسال كتبه لملوك الأرض وقياصرتها، أمر زيداً أن يتعلم بعض لغاتهم فتعلمها في وقت وجيز.

يقول زيد: أتي بي النبي ﷺ مقدمه المدينة، فقيل: هذا من بني النجار، وقد قرأ سبع عشرة سورة. فقرأت عليه فأعجبه ذلك، فقال: تعلم كتاب يهود، فإني ما آمنهم على كتابي، ففعلت، فما مضى نصف شهر حتى حذقته، فكنت أكتب له إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له.

حفظه للقرآن:

منذ بدء الدعوة وخلال إحدى وعشرين سنة تقريباً، كان الوحي يتنزل، والرسول ﷺ يتلو، وكان هناك ثلة مباركة تحفظ ما تستطيع، والبعض الآخر ممن يجيدون الكتابة، ويحتفظون بالآيات مسطورة، وكان منهم علي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن عباس، وزيد بن ثابت - رضي الله عنهم أجمعين - وبعد أن تم النزول كان الرسول ﷺ يقرؤه على المسلمين مرتباً سوره وآياته.

وقد قرأ زيد على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه. وشهد العرضة الأخيرة، وكان يُقرئ الناس بها حتى مات.

بداية جمع القرآن:

بعد وفاة الرسول ﷺ شغل المسلمون بحروب الردة، وفي معركة اليمامة كان عدد الشهداء من حفظة القرآن كبيراً، فما أن هدأت نار الفتنة حتى فزع عمر بن الخطاب إلى الخليفة أبي بكر الصديق راغباً في أن يجمع القرآن قبل أن يدرك الموت والشهادة بقية القراء والحفاظ، واستخار الخليفة ربه، وشاور صحبه ثم دعا زيد بن ثابت وقال له: إنك شاب

عاقل لانتهمك، وأمره أن يبدأ جمع القرآن مستعيناً بذوي الخبرة.

ونهض زيد - رضي الله عنه - بالمهمة وأبلى بلاء عظيماً فيها، يقابل ويعارض ويتحرى حتى جمع القرآن مرتباً منسقاً، وقال زيد في عظم المسؤولية: (والله لو كلفوني نقل جبل من مكانه، لكان أهون علي مما أمروني به من جمع القرآن).

كما قال: فكنت أتبع القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُف وصدور الرجال. وأنجز المهمة على أكمل وجه. وجمع القرآن في أكثر من مصحف.

المرحلة الثانية في جمع القرآن:

في خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كان الإسلام يستقبل كل يوم أناساً جدداً عليه، مما أصبح جلياً ما يمكن أن يفضي إليه تعدد المصاحف من خطر حين بدأت الألسنة تختلف على القرآن حتى بين الصحابة الأقدمين والأولين. فقرر عثمان والصحابة وعلى رأسهم حذيفة بن اليمان ضرورة توحيد المصحف. فقال عثمان: (من أكتب الناس)؟

قالوا: كاتب رسول الله ﷺ زيد بن ثابت.

قال: فأي الناس أعرب؟

قالوا: سعيد بن العاص. وكان سعيد بن العاص أشبه لهجة برسول الله ﷺ.

فقال عثمان: فليُمل سعيد وليكتب زيدٌ.

واستنجدوا بزيد بن ثابت، فجمع زيد أصحابه وأعوانه، وجاءوا بالمصاحف من بيت حفصة بنت عمر - رضي الله عنها - وباشروا

مهمتهم الجليلة، وكانوا دوماً يجعلون كلمة زيد هي الحجة والفيصل - رحمهم الله أجمعين.

فضله:

تألقت شخصية زيد وتبوأ في المجتمع مكاناً عالياً، وصار موضع احترام المسلمين وتوقيرهم. فقد ذهب زيد ليركب، فأمسك ابن عباس بالركاب، فقال له زيد: تنح يا ابن عم رسول الله. فأجاب ابن عباس: (لا، فهكذا نصنع بعلمائنا). كما قال ثابت بن عبيد: عن زيد بن ثابت: ما رأيت رجلاً أفكه في بيته، ولا أوقر في مجلسه من زيد.

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يستخلفه إذا حج على المدينة، وزيد - رضي الله عنه - هو الذي تولى قسمة الغنائم يوم اليرموك. وهو أحد أصحاب الفتوى الستة: عمر وعلي وابن مسعود وأبي، وأبي موسى، وزيد بن ثابت. فما كان عمر ولا عثمان يقدمان على زيد أحداً في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة، وقد استعمله عمر على القضاء وفرض له رزقاً.

قال ابن سيرين: (غلب زيد بن ثابت الناس بخصلتين، بالقرآن والفرائض).

وفاته:

توفي - رضي الله عنه - سنة (٤٥هـ) في عهد معاوية.

***

سالم مولى أبي حذيفة - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري، شرح صحيح البخاري.
- ابن حجر، ط٩، ص٦٣.
- السبعة، لابن مجاهد، ص١٢.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ط٤، ص٢٨.
- الأرجوزة المنبهة، ص٩٩.
- الإتقان في علوم القرآن السيوطي، ط١، ص٧٢.
- النشر في القراءات العشر، ط١. ص٦.
- الأحرف السبعة، حسن ضياء الدين، ص٣١٧.
- مباحث في علوم القرآن، ص٦٧.
- مناهل العرفان، ص٢٣٥، ط١.

«الحمد لله الذي جعل في أمتي مثلك» [(١)] .

كان رقيقاً وأعتق، وآمن بالله وبرسوله إيماناً مبكراً، وأخذ مكانه بين السابقين الأولين. هذا هو الصحابي سالم بن معقل أو سالم مولى أبي حذيفة؛ لأنه كان رقيقاً ثم ابناً ثم أخاً ورفيقاً للذي تبناه. وهو الصحابي الجليل أبو حذيفة بن عتبة، وتزوج سالم فاطمة بنت الوليد بن عتبة، ولذلك عُد من المهاجرين.

---

(١) حديث شريف.

فضله:

كان سالم - رضي الله عنه - إماماً للمهاجرين من مكة إلى المدينة طوال صلاتهم في مسجد قباء. وكان فيهم عمر بن الخطاب؛ وذلك لأنه أقرؤهم، وأوصى الرسول ﷺ أصحابه قائلاً: «**خذوا القرآن من أربعة: عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل**».

وعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: احتبستُ على رسول الله ﷺ فقال: ما حبسك؟ قالت: سمعت قارئاً يقرأ، فذكرت من حُسْنِ قراءته، فأخذ رسول الله ﷺ رداءه وخرج، فإذا هو سالم مولى أبي حذيفة، فقال: الحمدُ لله الذي جعل في أمتي مثلك.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إن سالماً شديد الحب لله، لو كان ما يخاف الله عز وجل، ما عصاه**».

وقد كان - عمر رضي الله عنه - يجله، وقال وهو على فراش الموت: (لو أدركني أحدُ رجلين، ثم جعلت إليه الأمر لوثقت به: سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح).

كان فزعٌ بالمدينة فأتى عمرو بن العاص على سالم مولى أبي حذيفة وهو مُحتَب بحمائل سيفه، فأخذ عمرو سيفه فاحتبى بحمائله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس: ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله**»، ثم قال: «**ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان**».

الجهر بالحق:

كانت الفضائل تزدحم حول سالم - رضي الله عنه - ولكن كان من أبرز مزاياه الجهر بما يراه حقاً فلا يعرف الصمت. وتجلى ذلك بعد فتح مكة، حين أرسل الرسول ﷺ بعض السرايا إلى ما حول مكة من قرى وقبائل، وأخبرهم أنهم دعاة لا مقاتلين. فكان سالم - رضي الله عنه - في سرية خالد بن الوليد الذي استعمل السيف وأراق الدم. فلم يكد يرى سالم ذلك حتى واجهه بشدة، وعدد له الأخطاء التي ارتكبت، وعندما سمع الرسول ﷺ النبأ، اعتذر إلى ربه قائلاً: (اللهم إني أبرأ مما صنع خالد) كما سأل: (هل أنكر عليه أحد)؟ فقالوا له: (أجل، راجعه سالم وعارضه) فسكن غضب الرسول ﷺ.

الرضاع:

وقصة سالم والرضاع مشهورة، فقد أتت سهلة بنت عمرو رسول الله ﷺ فقالت: إن سالماً بلغ ما يبلغ الرجال، وإنه يدخل علي، وأظن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً.

فقال لها الرسول ﷺ: أرضعيه تحرمي عليه. وقد رجعت إليه وقالت: إني قد أرضعته، فذهب الذي في نفس أبي حذيفة، وقد قال أزواج الرسول ﷺ: إنما هذه رخصة من رسول الله ﷺ لسالم خاصة.

يوم اليمامة:

تعانق الأخوان سالم وأبو حذيفة، وتعاهدا على الشهادة، وقذفا نفسيهما في الخضم الرهيب، كان أبو حذيفة يصيح: يا أهل القرآن، زينوا

القرآن بأعمالكم. وسالم يصيح: بئس حامل القرآن أنا لو هوجم المسلمون من قبلي، وسيفاهما كانا يضربان كالعاصفة. وحمل سالم الراية بعد أن سقط زيد بن الخطاب شهيداً، فهوى سيف من سيوف الردة على يمناه فبترها، فحمل الراية بيسراه وهو يصيح تالياً الآية الكريمة: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [(١)].

الشهادة:

وأحاطت به غاشية من المرتدين فسقط البطل، ولكن روحه ظلت في جسده حتى نهاية المعركة، ووجده المسلمون في النزع الأخير، وسألهم: ما فعل أبو حذيفة؟ قالوا: استشهد. قال: فأضجعوني إلى جواره. قالوا: إنه إلى جوارك يا سالم، لقد استشهد في نفس المكان.

وابتسم ابتسامته الأخيرة وسكت، فقد أدرك هو وصاحبه ما كانا يرجوان، معاً أسلما، ومعاً عاشا، ومعاً استشهدا، وذلك في عام (١٢هـ).

***

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- مناهل العرفان للزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- الإتقان للسيوطي.
- النشر في القراءات العشر.
- فتح الباري، ص٩.
- السبعة لابن مجاهد.

أحد العشرة المبشرين بالجنة:

«يا سعد: ارم فداك أبي وأمي» [(١)].

سعد بن مالك بن أهيب الزهري القرشي أبو إسحاق. فهو من بني زهرة أهل آمنة بنت وهب، أم الرسول ﷺ. فقد كان الرسول ﷺ يعتز بهذه الخؤولة. فقد ورد أنه ﷺ كان جالساً مع نفر من أصحابه، فرأى سعداً بن أبي وقاص مقبلاً فقال لمن معه: **«هذا خالي فليرني أمرؤ خاله»**.

إسلامه:

كان سعد - رضي الله عنه - من النفر الذين دخلوا في الإسلام أول ما علموا به. فلم يسبقه إلا أبو بكر وعلي وزيد وخديجة قال سعد:

---

(١) حديث شريف.

بلغني أن رسول الله ﷺ يدعو إلى الإسلام مستخفياً، فعلمت أن الله أراد بي خيراً، وشاء أن يخرجني بسببه من الظلمات إلى النور. فمضيت إليه مسرعاً حتى لقيته في شعب جياد وقد صلى العصر فأسلمت. فما سبقني أحد إلا أبو بكر وعلي وزيد - رضي الله عنهم - وكان ابن سبع عشرة سنة، كما يقول سعد - رضي الله عنه - لقد أسلمت يوم أسلمت وما فرض الله الصلوات.

ثورة أمه:

يقول سعد - رضي الله عنه - وما سمعت أمي بخبر إسلامي حتى ثارت ثائرتها وكنت فتى باراً بها محباً لها فاقبلت علي تقول: يا سعد: ما هذا الدين الذي اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك؟ والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت، فيتفطر فؤادك حزناً علي، ويأكلك الندم على فعلتك التي فعلت، وتعيرك الناس أبد الدهر.

فقلت: لا تفعلي يا أماه فأنا لا أدع ديني لأي شيء.

إلا أن أمه اجتنبت الطعام ومكثت أياماً على ذلك فهزل جسمها، وخارت قواها، فلما رآها سعد قال لها: يا أماه إني على شديد حبي لك لأشد حباً لله ولرسوله. ووالله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفساً بعد نفس ما تركت ديني هذا بشيء. فلما رأت الجد أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كره منها.

ونزل قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ [1].

أحد المبشرين بالجنة:

كان الرسول ﷺ يجلس بين نفر من أصحابه، فرنا ببصره إلى الأفق في إصغاء من يتلقى همساً وسراً، ثم نظر في وجوه أصحابه وقال لهم: (يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة)، وأخذ الصحاب يتلفتون ليروا هذا السعيد، فإذا سعد بن أبي وقاص آت. وقد سأله عبدالله بن عمرو بن العاص أن يدله على ما يتقرب به إلى الله من عبادة وعمل. فقال له: لا شيء أكثر مما نعمل جميعاً ونعبد، غير أني لا أحمل لأحد من المسلمين ضغناً ولا سوءاً.

الدعوة المجابة:

كان سعد بن أبي وقاص إذا رمى عدواً أصابه، وإذا دعا الله دعاء أجابه، وكان الصحابة يردون ذلك لدعوة الرسول ﷺ له: **«اللهم سدد رميته، وأجب دعوته»**، ويروى أنه رأى رجلاً يسب طلحة وعلياً والزبير فنهاه فلم ينته فقال له: (إذن أدعو عليك) فقال الرجل: (أراك تتهددني كأنك نبي) فانصرف سعد وتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه قائلاً: (اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواماً سبقت لهم منك الحسنى، وأنه قد أسخطك سبه إياهم، فاجعله آية وعبرة).

---

(١) سورة لقمان، الآيتان: ١٤، ١٥.

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرجت من إحدى الدور ناقة نادة لا يردها شيء، حتى دخلت في زحام الناس، ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها، وما زالت تتخبطه حتى مات.

أول دم أهريق في الإسلام:

في بداية الدعوة، كان أصحاب الرسول ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من الصحابة في شعب من شعاب قلة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد – رضي الله عنه – يومئذ رجلاً من المشركين بلحي بعير فشجه العظم الذي فيه الأسنان) فكان أول دم أهريق في الإسلام.

أول سهم رمي في الإسلام:

بعثه الرسول ﷺ في سرية عبيدة بن الحارث – رضي الله عنه – إلى ماء بالحجاز أسفل ثنية المرة فلقوا جمعاً من قريش ولم يكن بينهم قتال إلا أن سعد قد رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به في الإسلام.

غزوة أحد:

وشارك في أحد وتفرق الناس أول الأمر عن رسول الله ﷺ ووقف سعد يجاهد ويقاتل فلما رآه الرسول ﷺ يرمي جعل يحرضه ويقول: له: «**يا سعد .. ارم فداك أبي وأمي**» وظل سعد يفتخر بهذه الكلمة طوال حياته ويقول: (ما جمع الرسول ﷺ لأحد أبويه إلا لي) وذلك حين فداه بهما.

إمرة الجيش:

عندما احتدم القتال مع الفرس، أراد أمير المؤمنين عمر أن يقود الجيش بنفسه، ولكن رأى الصحابة أن تولى هذه الإمارة لرجل آخر واقترح عبدالرحمن بن عوف: الأسد في براثنه، سعد بن مالك الزهري، وقد ولاه عمر - رضي الله عنه - إمرة جيش المسلمين الذي حارب الفرس في القادسية وكتب الله النصر للمسلمين وقتلوا الكافرين وزعيمهم رستم، وعبر مع المسلمين نهر دجلة حتى وصلوا المدائن وفتحوها. وكان إعجاز عبور النهر بموسم فيضانه حتى إن سلمان الفارسي قد قال: إن الإسلام جديد، ذللت والله لهم البحار، كما ذللت لهم البر، والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجاً، كما دخلوه أفواجا.

وبالفعل أمن القائد الفذ سعد مكان وصول الجيش بالضفة الأخرى بكتيبة الأهوال وكتيبة الخرساء، ثم اقتحم النهر بجيشه ولم يخسر جندياً واحداً في مشهد رائع، ونجاح باهر. ودخل سعد بن أبي وقاص إيوان كسرى وصلى فيه ثماني ركعات صلاة الفتح شكراً لله على نصرهم.

إمارة العراق:

ولاه عمر - رضي الله عنهما - إمارة العراق، فراح سعد يبني ويعمر في الكوفة، وذات يوم اشتكاه أهل الكوفة لأمير المؤمنين فقالوا: إن سعداً لا يحسن يصلي. ويضحك سعد قائلاً: والله إني لأصلي بهم

صلاة رسول الله، أطيل في الركعتين الأوليين وأقصر في الآخرين.

واستدعاه عمر إلى المدينة فلبى مسرعاً، وحين أراد أن يعيده إلى الكوفة ضحك سعداً قائلاً: أتأمرني أن أعود إلى قوم يزعمون أني لا أحسن الصلاة؟! ويؤثر البقاء في المدينة.

الستة أصحاب الشورى:

وعندما حضرت عمر - رضي الله عنه - الوفاة بعد أن طعنه المجوسي، جعل الأمر من بعده إلى الستة الذين مات النبي ﷺ وهو عنهم راض وأحدهم سعد بن أبي وقاص، وقال عمر: إن وليها سعد فذاك، وإن وليها غيره فليستعن بسعد.

سعد والفتنة:

اعتزل سعد الفتنة وأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا له أخبارها، وذات يوم ذهب إليه ابن أخيه هشام بن عتبة بن أبي وقاص ويقول له: (يا عم، هاهنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر) فيجيبه سعد: (أريد من مائة ألف سيف، سيفاً واحداً، إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً، وإذا ضربت به الكافر قطع).

فتركه ابن أخيه بسلام، وحين انتهى الأمر لمعاوية سأل سعداً: مالك لم تقاتل معنا؟

فأجابه: إني مررت بريح مظلمة فقلت: أخ .. أخ .. وأنخت راحلتي حتى انجلت عني.

فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ .. أخ .. ولكن قال الله تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (١) .

وأنت لم تكن مع الباغية على العادلة، ولا مع العادلة مع الباغية! فأجاب سعد قائلاً: (ما كنت لأقاتل رجلاً - يعني علي بن أبي طالب - قال له الرسول ﷺ: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**.

وفاته:

وعمر سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - كثيراً، وأفاء الله عليه من المال الخير الكثير. لكنه حين أدركته الوفاة دعا بجبة من صوف بالية وقال: (كفنوني بها فإني لقيت بها المشركين يوم بدر، وإني أريد أن ألقى بها الله عز وجل أيضاً.

وكان رأسه بحجر ابنه الباكي فقال له: ما يبكيك يا بني؟ إن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة.

فقد كان إيمانه بصدق بشارة رسول الله ﷺ كبيراً وكانت وفاته سنة خمسة وخمسين من الهجرة النبوية، وكان آخر المهاجرين وفاة، ودفن في البقيع.

***

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

سعد بن عباد - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- ابن كثير الجزء الرابع.
- فتح الباري لابن حجر.
- الإصابة لابن حجر.
- تاريخ البخاري.
- التجريد للذهبي.
- ولم نعثر له على ترجمة له سوى معلومات قليلة هي:

ذكر ابن حزم أن له في مسند بقي حديثاً واحداً، واستدركه الذهبي في التجريد، ولم أقف على إسناده وفي تاريخ البخاري سعد بن عباد الزرقي روى عن عمر روى عنه ابنه عمر فيحتمل أن يكون هذا.

***

سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري
الشهيد القارئ - رضي الله عنه

وقد ورد ذكره في:

- الأرجوزة المنبهة للداني.
- الإتقان، للسيوطي، ط١.

إنه أبو عمير سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري الأوسي - رضي الله عنه - أسلم قبل الهجرة، وعمل على نشر الإسلام بالمدينة، فأسلم معه جماعة من الأنصار ولما هاجر النبي ﷺ ورأى ما صنعه سعد، جعله إماماً لمسجد قباء الذي بناه رسول الله ﷺ ولقبه بالقارئ. ولم يلقب بهذا اللقب غير، ثم جاء أبو بكر فأقرّه على إمامة المسجد، وكذلك فعل عمر بن الخطاب.

وكان سعد أحد الأنصار الأربعة الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد رسول الله ﷺ ولم ينصرف سعد إلى العلم والتفقه في الدين فقط، بل وهب روحه ونفسه في سبيل الله، واشترك في الجهاد ضد المشركين في بدر وأحد، وفي كل المشاهد مع رسول الله ﷺ وخرج - رضي الله عنه - مع جيش أسامة وتحت إمرته لقتال الروم، كما أذن له الصديق - رضي الله عنه في الخروج إلى العراق للجهاد في سبيل الله، وحمله أمانة تعليم المسلمين والقضاء فيما بينهم، فخرج سعد القارئ - رضي الله عنه - قائده أبو عبيد بن مسعود الثقفي - رضي الله عنه - يبارز بالسيف، ويعلم بالقلم.

ثـم خرج في جيش المسلمين تحت إمرة سعد بن أبي وقاص في عهـد عمـر بـن الخطـاب – رضـي الله عنه – إلى بلاد كسرى في العراق، ليواصل جهاده هناك، لتكون كلمة الله هي العليا.

ويـبدأ الجـيش المسـلم سلسلة من اللقاءات الحاسمة مع أعداء الله، بدأها بلقاء مع ملك الحيرة وحليف كسرى، الملك العربي النصراني المنذر ابن النعمان بن المنذر.

واصـطف الجيشـان، وبـدأ ملك الحيرة يخطب في جيشه؛ ليشجعهم عـلى القـتال، ويشـعل الحماسـة في قلوبهـم، وبيـنما هـو كذلك إذ صاح الحاجب: رسول من قائد الأعداء يطلب مقابلتك أيها الملك.

فحـدث بـين صفوف الجيش هرج ومرج، فقال ملك الحيرة غاضباً: ائـتني بـه. فدخـل القارئ مرفوع الرأس، ثابت الخطا يدك الأرض برجله وسـيفه، وهو يخترق تلك الجموع الحاشدة التي تأهبت لقتال المسلمين، ثم وقـف أمـام الملـك، فقـال قـائد الحـرس لسعد القارئ: قبل الأرض تحية للملك.

فنظر القارئ باستخفاف واستنكار قائلاً: الله أمرنا ألا يسجد بعضنا لـبعض، ولعمـري إن هذه كانت العادة المعروفة في الجاهلية قبل أن يبعث الله نبـيه محمـداً، فـلما بعث جعل تحيته السلام، أما تحيتكم هذه فهي تحية جـبابرة الملـوك. اضطرب ملك الحيرة، وارتاع من جرأته، فأسرع صائحاً: ويح قومك! ما الذي جئت لأجله.

فعرض عليهم سعد الإسلام وخيّرهـم بين ثلاثة أمور: إما الإسلام،

أو الجزية أو هي الحرب.

فقال له الملك: لقد حدثتكم أنفسكم بالأباطيل، أظننتم أن الفرس مثل الروم؟ كلا، وحق المسيح، إنهم أثبت وأشد. وهذا الملك أزدشير ملك الفرس قد جمع لكم جيوشه وعساكره، وسينالون منكم.

فرد سعد القارئ في حزم وقوة: أيها الملك لقد تشرفت بالباطل، وتفوهت بكلام غير عاقل، أما علمت أن العاقبة للمتقين، وأن الله بكرمه يرفع عنا البأس، ويظفرنا بجميع الناس، وإن نبينا قال: ستفتح على أمتي كنوز كسرى وقيصر، فأما كنوز قيصر فقد فتحها الله علينا، وبقي كنوز صاحبك.

فزاد غضب ملك الحيرة حتى فقد صوابه، فقال: ما عندنا جواب إلا السيف. ورجع القارئ إلى المعسكر، وأخبر قائده سعداً بن أبي وقاص بالأمر، وما هي إلا فترة وجيزة حتى زحفت قوات الحق على أهل الباطل، فتطايرت الروس، وعلت الصيحات، وكتب الله النصر للمسلمين.

وتقدم المسلمون نحو القادسية، وهناك كانت جيوش الفرس في أوج أهبتها واستعدادها؛ فقد جمعت عدتها وعتادها في انتظار المسلمين.

وظلت الحرب دائرة يومين، وفي مساء اليوم الثالث، أخذ القارئ يحدث الناس ويحمسهم، ويحثهم على الصبر والإخلاص، ويرغبهم في الشهادة، وما أعده الله للشهيد من فضل وكرامة، وقال لأصحابه: إنا مستشهدون غداً، فلا تكفنونا إلا في ثيابنا التي أصبنا فيها.

وفي الصباح كتب الله للمسلمين النصر، وأنعم الله على القارئ بما كان يتمناه، فاستشهد في سبيل الله.

وقد روى سعد القارئ – رضي الله عنه – كثيراً من أحاديث النبي ﷺ، وترك بنين وبنات، أشهرهم ابنه عمير الذي ولاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ولاية الشام.

***

طلحة بن عبيد الله - رحمه الله

وقد ذكر في:

- مناهل الفرقان للزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- الإتقان للسيوطي.
- النشر في القراءات العشر.
- فتح الباري، ص٩.
- السبعة، لابن مجاهد.

«من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة» [(١)].

طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي المكي المدني، أبو محمد .. لقد كان في تجارة له بأرض بصرى، حين لقي راهباً من خيار رهبانها، وأنبأه أن النبي الذي سيخرج من أرض الحرم، قد أهلَّ عصره، ونصحه باتباعه، وعاد إلى مكة ليسمع نبأ الوحي الذي يأتي الصادق الأمين، والرسالة التي يحملها، فسارع إلى أبي بكر فوجده إلى جانب محمد مؤمناً، فتيقن أن الاثنين لن يجتمعا إلا على الحق، فصحبه أبو بكر إلى الرسول ﷺ حيث أسلم وكان من المسلمين الأوائل.

---

(١) حديث شريف.

إيمانه:

لقد كان طلحة – رضي الله عنه – من أثرياء قومه، ومع هذا نال حظه من اضطهاد المشركين، وهاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها مع الرسول ﷺ إلا غزوة بدر، فقد ندبه النبي ﷺ ومعه سعيد بن زيد إلى خارج المدينة، وعند عودتهما عاد المسلمون من بدر، فحزنا ألا يكونا مع المسلمين، فطمأنهما النبي ﷺ بأن لهما أجر المقاتلين تماماً، وقسم لهما من غنائم بدر كمن شهدها، وقد سماه الرسول الكريم يوم أحد (طلحة الخير) وفي غزوة العشيرة (طلحة الفياض)، ويوم حنين (طلحة الجود).

بطولته يوم أحد:

في أحد أبصر طلحة – رضي الله عنه – جانب المعركة الذي يقف فيه الرسول ﷺ فلقيه هدفاً للمشركين، فسارع وسط زحام السيوف والرماح إلى رسول الله ﷺ فرآه والدم يسيل من وجنتيه، فجن جنونه وقفز أمام الرسول ﷺ يضرب المشركين بيمينه ويساره، وسند الرسول ﷺ وحمله بعيداً عن الحفرة التي زلت فيها قدمه، ويقول أبو بكر – رضي الله عنه – عندما يذكر أحداً: ذلك كله كان يوم طلحة، كنت أول من جاء إلى النبي ﷺ فقال لي الرسول ولأبي عبيدة بن الجراح **«دونكم أخاكم»**، ونظرنا، وإذا به بضع وسبعون بين طعنة وضربة ورمية، وإذا إصبعه مقطوعة، فأصلحنا من شأنه وقد نزل قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

تلا رسول الله ﷺ هذه الآية أمام الصحابة الكرام، ثم أشار إلى طلحة قائلاً: «**من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض، وقد قضى نحبه، فلينظر إلى طلحة**»، ما أجملها من بشرى لطلحة - رضي الله عنه - فقد علم أن الله سيحميه من الفتنة طوال حياته، وسيدخله الجنة فما أجمله من ثواب.

عطاؤه وجوده:

وهكذا عاش طلحة - رضي الله عنه - وسط المسلمين مرسياً لقواعد الدين، مؤدياً لحقوقه، وإذا أدى حق ربه اتجه لتجارته ينميها. فقد كان من أثرى المسلمين، وثروته كانت دوماً في خدمة الدين. فكلما أخرج منها الشيء الكثير، أعاده الله إليه مضاعفاً. تقول زوجته سعدى بنت عوف: دخلت على طلحة يوماً فرأيته مهموماً، فسألته: ما شأنك؟ فقال: المال الذي عندي، قد كثر حتى أهمني وأكربني، وقلت له: ما عليك، اقسمه فقام ودعا الناس، وأخذ يقسمه عليهم حتى ما بقي منه درهم.

وفي أحد الأيام باع أرضاً له بثمن عال، فلما رأى المال أمامه فاضت عيناه من الدمع وقال: إن رجلاً تبيت هذه الأموال في بيته لا يدري ما يطرق من أمر، لمغرور بالله. فدعا بعض أصحابه وحملوا المال معه ومضى في الشوارع يوزعها حتى أسحر وما عنده منها درهماً.

وكان - رضي الله عنه - من أكثر الناس براً بأهله وأقاربه، وكان يعولهم جميعاً، لقد قيل: كان لا يدع أحداً من بني تيم عائلاً إلا كفاه مؤونته، ومؤونة عياله وكان يزوج أياماهم، ويخدم عائلهم، ويقضي دين

غارمهم. ويقول السائب بن زيد: صحبت طلحة بن عبيدالله في السفر والحضر فما وجدت أحداً، أعم سخاء على الدرهم، والثوب، والطعام من طلحة.

طلحة والفتنة:

عندما نشبت الفتنة في زمن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أيد طلحة حجة المعارضين لعثمان، وزكى معظمهم فيما ينشدون من إصلاح، ولكن أن يصل الأمر إلى قتل عثمان - رضي الله عنه - لا .. لكان قاوم الفتنة، وما أيدها بأي صورة، ولكن ما كان كان. أتم المبايعة هو والزبير لعلي - رضي الله عنهم جميعاً - وخرجوا إلى مكة معتمرين، ومن هناك إلى البصرة للأخذ بثأر عثمان.

وكانت وقعة الجمل عام ٣٦هـ، طلحة والزبير في فريق، وعلي في الفريق الآخر. وانهمرت دموع علي - رضي الله عنه - عندما رأى أم المؤمنين عائشة في هودجها بأرض المعركة، وصاح بطلحة: يا طلحة، أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها، وخبأت عرسك في البيت؟

ثم قال للزبير: يا زبير: نشدتك الله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن بمكان كذا، فقال لك: يا زبير، الا تحب علياً؟ فقلت: الا أحب ابن خالي، وابن عمي، ومن هو على ديني؟ فقال لك: يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: نعم أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك.

الشهادة:

واقلع طلحة والزبير - رضي الله عنهما - عن الاشتراك في هذه الحرب، ولكن دفعا حياتهما ثمناً لانسحابهما. ولكن لقيا ربهما قريرة أعينهما بما قررا. فالزبير تعقبه رجل اسمه عمرو بن جرموز وقتله غدراً وهو يصلي، وطلحة رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته.

وبعد أن انتهى علي - رضي الله عنه - من دفنهما ودعهما بكلمات أنهاها قائلاً: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [1] . ثم نظر إلى قبريهما وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺ يقول: «**طلحة والزبير، جاراي في الجنة**».

قبر طلحة:

لما قُتل طلحة دُفن إلى جانب الفرات، فرآه حلماً بعض أهله فقال: (ألا تريحوني من هذا الماء فإني قد غرقت) قالها ثلاثاً فأخبر من رآه ابن عباس، فاستخرجوه بعد بضعة وثلاثين سنة، فإذا هو أخضر كأنه السلق، ولم يتغير منه إلا عُقصته، فاشتروا له داراً بعشرة آلاف ودفنوه فيها، وقبره معروف بالبصرة، وكان عمره يوم قُتل ستين سنة وقيل أكثر من ذلك.

***

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

معاذ بن الحارث - رحمه الله - (أبو حليمة)

- وقد ذكره كل من صاحب الإصابة في تمييز الصحابة الجزء السادس، ١٠٩.
- ومجلة كنوز الفرقان، ص٢٦٩ .

ولم نجد له ترجمة غير ما جاء في الإصابة ونصه:

وفي حديث أبي قلابة، عن أنس، عند الترمذي وغيره في ذكر بعض الصحابة – مرفوعاً: «**وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ**».

وفي مرسل أبي عون الثقفي، عن النبي ﷺ: «**يأتي مُعاذٌ يوم القيامة أمام الناس برتوةٍ**».

أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في تاريخه؛ وأورده ابن عساكر من طريق عن محمد بن الخطاب.

والرتوة – بتفح الراء المهملة وسكون المثناة وفتح الواو.

وفي طبقات ابن سعد، من طريق منقطع أن النبي ﷺ كتب إلى أهل اليمن لما بعث معاذاً: «**إني بعثتُ لكم خير أهلي**».

ومناقبه كثيرة جداً، وقدم من اليمن في خلافة أبي بكر، وكانت وفاته بالطاعون في الشام سنة سبع عشرة أو التي بعدها، وهو قول الأكثر. وعاش أربعاً وثلاثين سنة. وقيل غير ذلك.

ساق نسبه محمد بن سعد. ويقال: إن كنيته أبو الحارث، وأبو حليمة لقب؛ قال أبو عمر: شهد الخندق. وقيل: لم يدرك من حياة النبي ﷺ إلا ست سنين.

وقد روى عن النبي ﷺ. وروى أيضاً عن أبي بكر، وعمر وعثمان.

روى عنه نافع مولى ابن عمر، وعمران بن أبي أنس، وسعيد المقبري، وأبو الوليد البصري .. وروى عن النبي ﷺ أحاديث.

روى عنه ابن عباس؛ وابن عمر، وابن عدي، وابن أبي أوفى الأشعري، وعبدالرحمن بن سمرة وجابر بن أنس، وآخرون من كبار التابعين؛ وشهد بدراً وهو ابنُ إحدى وعشرين سنة، وأمره النبي ﷺ على اليمن. والحديثُ بذلك في الصحيح من رواية ابن عباس عنه.

وذكر سيفٌ في الفتوح بسند له عن عبيد بن صخر، قال: قال النبي ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**إني قد عرفت بلاءك في الدِّين، والذي قد ركبك من الدِّين، وقد طيبت لك الهدية، فإن أهدي لك شيءٌ فاقبل**».

وفي سنن أبي داود، عن معاذ بن جبل؛ قال: قال لي النبي ﷺ: «**إني لأحبك ...**» الحديث – في القول بعد كل صلاة.

وعده أنس بن مالك فيمن جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؛ وهو في الصحيح، وفيه عن عبدالله بن عمرو – رفعه: «**اقرؤوا القرآن من أربعة**»؛ فذكره فيهم.

وقال الشعبي، عن مسروق: كنا عند ابن مسعود، فقرأ – إن معاذاً كان أمة قانتاً لله، فقال فروة بن نوفل؛ نسيت. فقال: ما نسيتُ إنا كنا نشبهه بإبراهيم – عليه السلام.

وقال أبو نعيم في الحلية: إمام الفقهاء، وكنز العلماء؛ شهد العقبة، وبدراً والمشاهد؛ وكان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاء،

وكان جميلاً وسيماً.

روى عنه من الصحابة عمر، وأبو قتادة، وعبدالرحمن بن سمرة، وغيرهم.

وقال عبدالرزاق: أنبأنا معمر، والزهري، عن ابن كعب بن مالك: كان معاذ شاباً جميلاً سمحاً لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه.

وقال الأعمش، عن أبي سفيان: حدثني أشياخ منا. فذكر قصة فيها: فقال عمر عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ؛ ولولا معاذ لهلك عمر.

أخرجه محمد بن مخلد العطار في فوائده.

***

عبادة بن الصامت - رضي الله عنه

وقد ورد ذكره في:

- فتح الباري، ص٩.
- الإتقان في علوم القرآن، ط١.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.

«ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضاً ليس فيها مثلك» [١].

عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي من أوائل من أسلم بالمدينة المنورة، وبايع الرسول ﷺ بيعتي العقبة الأولى والثانية، واختاره النبي ﷺ ضمن الاثني عشر نقيباً الذين قاموا بنشر الإسلام بين الأوس والخزرج.

بني قينقاع:

كانت عائلة عبادة – رضي الله عنه – مرتبطة مع يهود بني قينقاع بحلف قديم، حتى كانت الأيام التي تلت غزوة بدر وسبقت غزوة أحد، فشرع اليهود يتنمرون، وافتعلوا أسباباً للفتنة على المسلمين. فينبذ عبادة عهدهم وحلفهم قائلاً: (إنما أتولى الله ورسوله والمؤمنين) فيتنزل القرآن محيياً موقفه وولاءه قائلاً في آياته: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [٢].

---

(١) عمر بن الخطاب.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

فضله:

كان له شرف الجهاد في بدر الكبرى وما تلاها من غزوات، واستعمله الرسول ﷺ على بعض الصدقات وقال له: «**اتق الله يا أبا الوليد! اتق لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها ثغاء**»، فقال يا رسول الله إن ذلك كذلك! قال: «**إي والذي نفسي بيده إن ذلك لكذلك إلا من رحم الله عز وجل**»، فقال: فوالذي بعثك بالحق لا أعمل على اثنين أبداً.

القرآن:

وكان عبادة – رضي الله عنه – ممن جمع القرآن في زمن رسول الله ﷺ وكان يُعلم أهل الصفة القرآن الكريم، وفي عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – كان أحد الذين شاركوا في جمع القرآن الكريم. ولما فتح المسلمون الشام أرسله عمر بن الخطاب، وأرسل معه معاذ بن جبل وأبا الدرداء ليعلموا الناس القرآن بالشام ويفقهوهم بالدين. وأقام عبادة بحمص، وأبو الدرداء بدمشق، ومعاذ بفلسطين، ومات معاذ عام طاعون عمواس، وصار عبادة إلى فلسطين، وكان عبادة أول من ولي قضاء فلسطين.

موقفه من معاوية:

كان – رضي الله عنه – يقول: بايعنا رسول الله ﷺ على ألا نخاف في الله لومة لائم. لذا كان يعارض سياسة معاوية في الحكم والسلطان. فعبادة بن الصامت كان من الرعيل الأول الذي تربى على يد الرسول

ﷺ، وكانت أنباء هذه المعارضة تصل إلى كافة أرجاء الدولة الإسلامية. ولما زادت الهوة بينهما قال عبادة لمعاوية: والله لا أساكنك أرضاً واحدة أبداً. وغادر فلسطين إلى المدينة، ولكن الخليفة عمر - رضي الله عنه - كان حريصاً على أن يبقى رجل مثل عبادة إلى جانب معاوية ليكبح طموحه ورغبته في السلطان. لذا ما كاد يرى عبادة قادماً إلى المدينة حتى قال له: ما الذي جاء بك يا عبادة؟

فلما قصّ عليه ما كان بينه وبين معاوية قال عمر: ارجع إلى مكانك، فقبح الله أرضاً ليس فيها مثلك. ثم أرسل عمر إلى معاوية كتاباً يقول فيه: (لا إمرة لك على عبادة) فعبادة أمير نفسه.

قول الحق:

مرت على عبادة - رضي الله عنه - قطارة وهو بالشام، تحمل الخمر فقال: ما هذه؟ أزيت؟ قيل: لا بل خمر يُباع لفلان.

فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية إلا بقرها. وأبو هريرة إذ ذاك بالشام فأرسل فلان إلى أبي هريرة فقال: ألا تمسك عنا أخاك عُبادة بن الصامت، أما بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم. وأما بالعشي فيقعد بالمسجد ليس له عمل إلا شتم أعراضنا وعيبنا، فأمسك عنا أخاك.

فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة، فقال: يا عبادة، مالك ولمعاوية؟ ذره وما حمل، فإن الله تعالى يقول: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ﴾ [1] .

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤١.

قال يا أبا هريرة، لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله ﷺ. بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نقول في الله لا تأخذنا في الله لومة لائم، وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب، فنمنعه مما نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا، ولنا الجنة، ومن وفى وفى الله له الجنة بما بايع عليه رسول الله ﷺ ومن نكث فإنما ينكث على نفسه.

فلم يكلمه أبو هريرة بشيء، فكتب معاوية إلى عثمان بالمدينة: أن عُبادة بن الصامت قد أفسد علي الشام وأهله، فإما أن يكف عبادة وإما أن أخلي بينه وبين الشام. فكتب إليه عثمان أن أرحله إلى داره من المدينة، فقدم عبادة إلى المدينة ودخل على عثمان الدار وليس فيها إلا رجلٌ من السابقين بعينه. ومن التابعين الذين أدركوا القوم متوافرين. فلم يُفاجئ عثمان به إلا وهو قاعد في جانب الدار، فالتفت إليه وقال: ما لنا ولك يا عبادة؟ فقام عُبادة قائماً وانتصب لهم في الدار فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ أبا القاسم يقول: «**سيلي أموركم بعدي رجال يُعرِّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون**»، فلاطاعة لمن عصى الله، فلا تضلوا بربكم، فوالذي نفس عُبادة بيده إن معاوية لمن أولئك. فما راجعه عثمان حرفاً.

الذهب بالذهب:

وكان عبادة – رضي الله عنه – بالشام فرأى آنية من فضة يباع الإناء بمثلي ما فيه، أو نحو ذلك، فمشى إليهم عبادة فقال: أيها الناس،

من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا عبادة بن الصامت. ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ في مجلس من مجالس الأنصار ليلة الخميس من رمضان، لم يصم رمضان بعده يقول: «**الذهب بالذهب مثلاً بمثل، سواء بسواء، وزناً بوزن، يداً بيد، فما زاد فهو رباً، والحنطة بالحنطة، قفيز بقفيز، يدٌ بيدٍ، فما زاد فهو رباً، والتمر بالتمر، قفيزٌ بقفيزٍ، يد بيد، فما زاد فهو رباً**».

فتفرق الناس عنه، فأتي معاوية فأخبر بذلك، فأرسل إلى عبادة فأتاه فقال له معاوية: لئن كنت صحبت النبي ﷺ وسمعت منه، لقد صحبناه وسمعنا منه، فقال له عبادة: لقد صحبته وسمعت منه، فقال له معاوية: فما هذا الحديث الذي تذكره؟ فأخبره فقال معاوية: اسكت عن هذا الحديث ولا تذكره، فقال له عبادة: بلى، وإن رغم أنف معاوية، ثم قام فقال له معاوية: ما نجد شيئاً أبلغ فيما بيني وبين أصحاب محمد ﷺ من الصفح عنهم.

الهدية:

أهديت لعُبادة بن الصامت هديةٌ، وإن معه في الدار اثني عشر أهل بيت، فقال عُبادة: اذهبوا بهذه إلى آل فلان فهم أحوج إليها منا، فما زالوا كلما جئت إلى أهل بيت يقولون: اذهبوا إلى آل فلان، هم أحوج إليه منا حتى رجعت الهدية إليه قبل الصبح.

بطولته:

أما بطولته العسكرية فقد تجلت في مواطن كثيرة. فعندما طلب

عمرو بن العاص مدداً من الخليفة لإتمام فتح مصر أرسل إليه أربعة آلاف رجل على رأس كل منهم قائد حكيم وصفهم الخليفة قائلاً: (إني أمددتك بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل بألف رجل) وكان عبادة بن الصامت واحداً من هؤلاء الأربعة الأبطال.

فتح مصر:

وقد تجلت مهارته كذلك في مفاوضاته للمقوقس حاكم مصر، ولم يتزحزح عن شروطه التي عرضها عليه بالإسلام أو الجزية أو القتال. فحاول المقوقس أن يطلب من الوفد المفاوض أن يختاروا واحداً غيره، فلم يرضوا بغيره بديلاً، واستؤنف القتال، وتم فتح مصر، وكان فتح الإسكندرية على يديه إذ أنها عاصمة مصر آنذاك.

فتح قبرص:

وعندما توجهت جيوش المسلمين بحراً لفتح جزيرة قبرص عام (٢٨هـ/ ٦٤٨م) كان عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان من بينهم. وتحقق للمسلمين النصر وظفر عدد غير قليل من المسلمين بالشهادة، ومن بينهم أم حرام التي استشهدت فور نزولها على البر، فدفنت في الجزيرة ولا يزال قبرها حتى الآن يعرف بقبر المرأة الصالحة.

وفاته:

ولما حضرت عبادة – رضي الله عنه – الوفاة قال: (أخرجوا فراشي إلى الصحن – أي الدار ثم قال: اجمعوا لي موالي وخدمي وجيراني،

ومن كان يدخل عليَّ. فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي علي من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء وهو - والذي نفس عبادة بيده - القصاص يوم القيامة، وأحرِّج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتص مني قبل أن تخرج نفسي، فقالوا: بل كنت مؤدباً. قال: (اللهم اشهد).

ثم قال: أما لا فاحفظوا وصيتي: أحرج على إنسان منكم يبكي علي، فإذا خرجت نفسي فتوضؤوا وأحسنوا الوضوء، ثم ليدخل كل إنسان منكم المسجد فيصلي ثم يستغفر لعبادة ولنفسه. فإن الله تبارك وتعالى قال: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾[1]، ثم أسرعوا بي إلى حفرتي، ولا تتبعني نار، ولا تضعوا تحتي أرجواناً، وكان ذلك في العام الرابع والثلاثين أو خمس وأربعين من الهجرة، توفي عبادة - رضي الله عنه - في فلسطين بمدينة الرملة، تاركاً في الحياة عبيره وشذاه.

***

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

عبد الله بن عياش - رضي الله عنه

وقد ذكر في مجموعة من أسانيد القراء العشرة وذكره كل من:

- التحبير.
- أسانيد إجازات القراءات العشر.
- جمال القراء وكمال الإقراء (٢/ ٤٢٤).
- ونكت الانتصار لنقل القرآن، ص٦٧-٧٠.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: (٨/ ٦٦٨).
- الإتقان: (١/ ١٩٩-٢٠٤).

ولم نجد له ترجمة سوى الآتي:

عبدالله بن عياش:

ابن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وأمه أسماء ابنة سلامة بن مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم فولد عبدالله بن عياش الحارث وأمة الله وأمهما هند بنت مطرف بن سلامة بن مخربة بن جندل بن أبير بن نهشل بن دارم.

ولد عبدالله بن عياش بأرض الحبشة ولا نعلمه روى عن رسول الله ﷺ شيئاً وقد روى عن عمر بن الخطاب وله دار بالمدينة.

***

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- سنن القراء والمجودين، ص٢٣٥.
- الأحرف السبعة لابن مجاهد، ص٣٣٧.
- مباحث في علوم القرآن، ص٦٦.
- الإتقان للسيوطي، ص٧٢.
- النشر في القراءات العشر، ص٦.
- تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص٢٥.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ص٦٣.
- السبعة لابن مجاهد، ص١٢.
- تفسير القرطبي، ص٥٧.
- معرفة القراء الكبار، ص٢٦.
- طبقات القراء، ص٧.
- مناهل العرفان، ص٢٣٥.

«من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله. ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله» [١].

---

(١) حديث شريف.

هو ابن عم النبي ﷺ، ولد قبل البعثة النبوية بعشر سنين، وأقام في بيت النبوة، فكان أول من أجاب إلى الإسلام من الصبيان، هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وزوجته فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ ووالد الحسن والحسين سيدي شباب الجنة.

الرسول يضمه إليه:

كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب – رضوان الله وسلامه عليه – وهو يومئذ ابن عشر سنين. فقد أصابت قريشاً أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال الرسول الكريم للعباس عمه: يا عباس، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً وتأخذ أنت رجلاً فنكفهما عنه.

فقال العباس: نعم .. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا له: إنا نريد أن نخفف من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه .. فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً فاصنعا ما شئتما.

فأخذ الرسول علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبياً، فاتبعه علي – رضي الله عنه – وآمن به وصدقه. وكان الرسول ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج علي معه مستخفياً من أبيه وسائر

قومه، فيصليان الصلوات معاً، فإذا أمسيا رجعا.

منزلته من الرسول ﷺ:

لما آخى الرسول ﷺ بين أصحابه قال لعلي: أنت أخي. وكان يكتب لرسول الله ﷺ وشهد الغزوات كلها ما عدا غزوة تبوك حيث استخلفه الرسول ﷺ في أهله وقال له: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**»؟

وكان مثالاً في الشجاعة والفروسية ما بارز أحد إلا صرعه. وكان زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة قال فيه النبي ﷺ: «**من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله. ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله**».

دعاه الرسول ﷺ وزوجته فاطمة وابنيه الحسن والحسين وجللهم بكساء وقال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً**» وذلك عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾[1].

كما قال – عليه أفضل الصلاة والسلام: «**اشتاقت الجنة إلى ثلاثة: إلى علي، وعمار وبلال**».

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

ليلة الهجرة:

في ليلة الهجرة، اجتمع رأي المشركين في دار الندوة على أن يقتلوا الرسول ﷺ في فراشه. فأتى جبريل - عليه السلام - رسول الله ﷺ فقال: (لا تبيت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه). فلما كانت عتمة من الليل اجتمع المشركون على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه، فلما رأى رسول الله مكانهم قال لعلي: «**نم على فراشي، وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم**».

ونام علي - رضي الله عنه - تلك الليلة بفراش رسول الله ﷺ، واستطاع الرسول ﷺ الخروج من الدار ومن مكة. وفي الصباح تفاجأ المشركون بعلي في فراش الرسول الكريم، وأقام علي - كرم الله وجهه - بمكة ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ في قباء.

أبو تراب:

دخل علي على فاطمة - رضي الله عنهما - ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: «**أين ابن عمك**» قالت: في المسجد. فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره فيقول: «**اجلس يا أبا تراب**» مرتين.

يوم خيبر:

في غزوة خيبر قال الرسول ﷺ: **«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، أو على يديه»**، فكان – رضي الله عنه – هو المُعْطى وفُتحت على يديه.

خلافته:

لما استشهد عثمان – رضي الله عنه – سنة (٣٥هـ) بايعه الصحابة والمهاجرون والأنصار وأصبح رابع الخلفاء الراشدين. يعمل جاهداً على توحيد كلمة المسلمين وإطفاء نار الفتنة، وعزل الولاة الذين كانوا مصدر الشكوى.

ذهبت السيدة عائشة زوجة الرسول ﷺ إلى مكة المكرمة لتأدية العمرة في شهر محرم عام ٣٦هـ، ولما فرغت من ذلك عادت إلى المدينة، وفي الطريق علمت باستشهاد عثمان واختيار علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين، فعادت ثانية إلى مكة حيث لحق بها طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام – رضي الله عنهما – وطالب الثلاثة الخليفة بتوقيع القصاص على الذين شاركوا في الخروج على الخليفة عثمان – رضي الله عنه –. وكان من رأي الخليفة الجديد عدم التسرع في ذلك، والانتظار حتى تهدأ نفوس المسلمين، وتستقر الأوضاع في الدولة الإسلامية. غير أنهم لم يوافقوا على ذلك واستقر رأيهم على التوجه إلى البصرة، فساروا إليها مع أتباعهم.

معركة الجمل:

خرج الخليفة من المدينة المنورة على رأس قوة من المسلمين على أمل أن يدرك السيدة عائشة – رضي الله عنها – ويعيدها ومن معها إلى مكة المكرمة، ولكنه لم يلحق بهم، فعسكر بقواته في (ذي قار) قرب البصرة، وجرت محاولات للتفاهم بين الطرفين ولكن الأمر لم يتم. ونشب القتال بينهم وبذلك بدأت موقعة الجمل في شهر جمادي الآخرة عام ٣٦هـ، وسميت بذلك نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة – رضي الله عنها – خلال الموقعة، التي انتهت بانتصار قوات الخليفة. وقد أحسن علي – رضي الله عنه – استقبال السيدة عائشة وأعادها إلى المدينة المنورة معززة مكرمة، بعد أن جهزها بكل ما تحتاج إليه. ثم توجه بعد ذلك إلى الكوفة في العراق، واستقر بها، وبذلك أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية.

مواجهة معاوية:

قرر علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بعد توليه الخلافة عزل معاوية بن أبي سفيان عن ولاية الشام. غير أن معاوية رفض ذلك، كما امتنع عن مبايعته بالخلافة، وطالب بتسليم قتلة عثمان – رضي الله عنه – ليقوم معاوية بإقامة الحد عليهم. فأرسل الخليفة إلى أهل الشام يدعوهم إلى مبايعته، وحقن دماء المسلمين، ولكنهم رفضوا. فقرر المسير بقواته إليهم وحملهم على الطاعة، وعدم الخروج على جماعة المسلمين. والتقت

قوات الطرفين عند (صفين) بالقرب من الضفة الغربية لنهر الفرات، وبدأ بينهما القتال يوم الأربعاء (١ صفر عام ٣٧هـ).

وحينما رأى معاوية أن تطور القتال يسير لصالح علي وجنده، أمر جيشه فرفعوا المصاحف على ألسنة الرماح. وقد أدرك الخليفة خدعتهم وحذر جنوده منها وأمرهم بالاستمرار في القتال، لكن فريقاً من رجاله، اضطروه للموافقة على وقف القتال وقبول التحكيم، بينما رفضه فريق آخر. وفي رمضان عام ٣٧هـ اجتمع عمرو بن العاص ممثلاً عن معاوية وأهل الشام، وأبو موسى الأشعري عن علي وأهل العراق، واتفقا على أن يتدارسا الأمر ويعودا للاجتماع في شهر رمضان من نفس العام، وعادت قوات الطرفين إلى دمشق والكوفة، فلما حان الموعد المتفق عليه اجتمعا ثانية، وكانت نتيجة التحكيم لصالح معاوية.

الخوارج:

أعلن فريق من جند علي رفضهم للتحكيم بعد أن أجبروا علياً – رضي الله عنه – على قبوله، وخرجوا على طاعته. فعرفوا لذلك باسم الخوارج، وكان عددهم آنذاك حوالي اثني عشر ألفاً حاربهم الخليفة وهزمهم في معركة (النهروان) عام ٣٨هـ، وقضى على معظمهم، ولكن تمكن بعضهم من النجاة والهرب. وأصبحوا منذ ذلك الحين مصدر كثير من القلاقل في الدولة الإسلامية.

استشهاده:

لم يسلم الخليفة من شر هؤلاء الخوارج، إذ اتفقوا فيما بينهم على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص في ليلة واحدة؛ ظناً منهم أن ذلك يحسم الخلاف، ويوحد كلمة المسلمين على خليفة جديد ترتضيه كل الأمة. وحددوا لذلك ثلاثة من بينهم لتنفيذ ما اتفقوا عليه. ونجح عبدالرحمن بن ملجم فيما كلف به، إذ تمكن من طعن علي – رضي الله عنه – بالسيف وهو خارج لصلاة الفجر من يوم الجمعة الثامن عشر من رمضان عام أربعين هجرية بينما أخفق الآخران.

وعندما هجم المسلمون على ابن ملجم ليقتلوه نهاهم علي قائلاً: (إن أعش فأنا أولى بدمه قصاصاً أو عفواً، وإن مت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين، ولا تقتلوا بي سواه، إن الله لا يحب المعتدين.

وحينما طلبوا منه أن يستخلف عليهم وهو في لحظاته الأخيرة قال لهم: (لا آمركم ولا أنهاكم، أنتم بأموركم أبصر) واختلف في مكان قبره، وباستشهاده – رضي الله عنه – انتهى عهد الخلفاء الراشدين.

***

عبدالله بن العباس - رضي الله عنه
حَبْر هذه الأمة

وقد ذكره كل من:

- تحبير التيسير.
- وفي أسانيد الإجازات العشرة.

«نعم ترجمان القرآن أنت» [١].

يُشبه ابن عباس (عبدالله بن الزبير) في أنه أدرك الرسول ﷺ وعاصره وهو غلام. ومات الرسول الكريم قبل أن يبلغ ابن عباس سن الرجولة. لكنه هو الآخر تلقى في حداثته كل خامات رجولته ومبادئ حياته من رسول الله ﷺ الذي علمه الحكمة الخالصة. وبقوة إيمانه وخلقه وغزارة علمه اقتعد ابن عباس مكاناً عالياً بين الرجال حول الرسول ﷺ.

طفولته:

هو ابن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم، عم الرسول ﷺ وكني بأبيه العباس، وهو أكبر ولده ولد بمكة والنبي ﷺ وأهل بيته بالشعب من مكة. فأتي به النبي فحنكه بريقه، وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين. وعلى الرغم من أنه لم يجاوز الثالثة عشر من عمره يوم مات الرسول الكريم، فإنه لم يُضيع من طفولته الواعية يوماً دون أن يشهد مجالس الرسول ﷺ

---

(١) حديث شريف.

ويحفظ عنه ما يقول، فقد أدناه الرسول ﷺ منه وهو طفل ودعا له: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» فأدرك ابن عباس أنه خُلِق للعلم والمعرفة.

فضله:

رأى ابن عباس جبريل – عليه السلام – مرتين عند النبي ﷺ فهو ترجمان القرآن. سمع نجوى جبريل للرسول ﷺ وعاينه. ودعا له الرسول الكريم مرتين. وكان ابن عباس يقول: نحن أهل البيت، شجرة النبوة، ومختلف الملائكة، وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة، ومعدن العلم. وقال: ضمني رسول الله ﷺ وقال: «**اللهم علمه الحكمة**».

قال ابن عساكر: كان عبدالله أبيض طويلاً مشرباً صفرة، جسيماً وسيماً، صبيح الوجه له، وفرة يخضب الحناء، وكان يُسمى الحبر والبحر، لكثرة علمه وحدة فهمه، حبر الأمة وفقيهها، ولسان العشرة ومنطقيتها، محنكٌ بريق النبوة ومدعو له بلسان الرسالة: (**اللهم فقه في الدين، وعلمه التأويل**).

وعن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**إن أرأف أمتي بها أبو بكر، وإن أصلبها في أمر الله لعمر، وإن أشدها حياءً لعثمان، وإن أقرأها لأبي، وإن أفرضها لزيد، وإن أقضاها لعلي، وإن أعلمها بالحلال والحرام لمعاذ، وإن أصدقها لهجة لأبو ذر، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح، وإن حبر هذه الأمة لعبدالله بن عباس**».

وكـان عمـر بـن الخطاب - رضي الله عنه - يحرص على مشورته، وكـان يلقـبه (فـتى الكهـول) وقـد سـئل يومـاً أنـى أصـبت هذا العلم؟ فأجاب: بلسان سؤول، وقلب عقول.

وكـان عمـر إذا جاءتـه الأقضـية المعضـلة قال لابن عباس: إنها قد طرأت علينا أقضية وعضل فأنت لها ولأمثالها.

ثـم يـأخذ بقولـه: قال ابن عباس: كان عمر بن الخطاب يأذن لأهل بـدر ويـأذن لـي معهـم، فذكـر أنـه سـألهم وسأله فأجابه فقال لهم: كيف تلومونـني علـيه بعـد مـا ترون؟! وكان يُفتي في عهد عمر وعثمان إلى يوم مات.

علمه:

وبعـد انـتقال الرسـول ﷺ إلى الرفـيق الأعـلى، حرص ابن عباس عـلى أن يتعـلم من أصحاب الرسول السابقين ما فاته سماعه وتعلمه من الرسـول نفسـه، فهـو يقـول عن نفسه: إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ.

كمـا يصور لنا اجتهاده بطلب العلم فيقول: لما قُبض رسول الله ﷺ قلت لفتى من الأنصار: هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير.

فقـال: يا عجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يفتقرون إليك وفيهم من أصحاب رسول الله ما ترى؟

فترك ذلك وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل، فآتي إليه وهو قائل في الظهيرة، فأتوسد ردائي على بابه، يسفي الريح علي من التراب، حتى ينتهي من مقيله ويخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ما جاء بك؟ هلا أرسلت إلي فآتيك؟

فأقول: لا أنت أحق بأن أسعى إليك .. فأسأله عن الحديث وأتعلم منه. وهكذا نمت معرفته وحكمته وأصبح يملك حكمة الشيوخ وأناتهم.

وعن عبدالله بن عباس قال: كنت أكرم الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار، وأسألهم عن مغازي رسول الله ﷺ، وما نزل من القرآن في ذلك. وكنت لا آتي أحداً منهم إلا سُرَّ بإتياني لقربي من رسول الله ﷺ. فجعلت أسأل أبي بن كعب يوماً عما نزل من القرآن بالمدينة، فقال: نزل سبعٌ وعشرون سورة، وسائرها بمكة.

وكان ابن عباس يأتي أبا رافع، مولى رسول الله ﷺ فيقول: ما صنع رسول الله ﷺ يوم كذا وكذا؟ ومع ابن عباس ألواح يكتب ما يقول .. وعن ابن عباس قال: (ذللتُ طالباً لطلب العلم، فعززتُ مطلوباً).

قال علي بن أبي طالب في عبدالله بن عباس: (إنه ينظر إلى الغيب من سترٍ رقيقٍ، لعقله وفطنته بالأمور).

وصفه سعد بن أبي وقاص فقال: ما رأيت أحداً أحضر فهماً، ولا

أكبر لُبّاً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس. ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات، وحوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار فيتحدث ابن عباس ولا يجاوز عمر قوله.

وقال عنه عُبيد الله بن عتبة: ما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله ﷺ من ابن عباس. ولا رأيت أحداً أعلم بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه، ولا أفقه في رأي منه، ولا أعلم بشعر ولا عربية، ولا تفسير للقرآن ولا بحساب وفريضة منه. ولقد كان يجلس يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لأيام العرب وأخبارها. وما رأيت عالماً جلس إليه إلا خضع له، ولا سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً).

وقال عُبيد الله بن أبي يزيد: كان ابن عباس إذا سئل عن شيء، فإن كان في كتاب الله عز وجل قال به، وإن لم يكن في كتاب الله عز وجل وكان عن رسول الله ﷺ فيه شيء قال به، فإن لم يكن من رسول الله ﷺ فيه شيءٌ قال بما قال به أبو بكر وعمر، فإن لم يكن لأبي بكر وعمر فيه شيء قال برأيه.

ووصفه مسلم من البصرة أنه آخذ بثلاث، تارك لثلاث، آخذ بقلوب الرجال إذا حدَّث، وبحسن الاستماع إذا حُدِّث، وبأيسر الأمرين إذا خولف. وتارك المراء ومصادقة اللئام وما يُعْتذر منه.

قال مجاهد: كان ابن عباس يسمى البحر من كثرة علمه. وكان

عطاء يقول: قال البحرُ وفعل البحر. وقال شقيق خطب ابن عباس وهو على الموسم، فافتتح سورة البقرة، فجعل يقرؤها ويفسر، فجعلت أقول: ما رأيت ولا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس والروم لأسلمت.

تنوع ثقافته:

حدث أحد أصحابه ومعاصريه فقال: لقد رأيت من ابن عباس مجلساً، لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر، رأيت الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق، فما كان أحد يقدر أن يجيء ولا أن يذهب، فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: (ضع لي وضوءاً) فتوضأ وجلس وقال: (اخرج إليهم، فادع من يريد أن يسأل عن القرآن وتأويله).

فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم. ثم قال لهم: إخوانكم. فخرجوا ليفسحوا لغيرهم، ثم قال لي: (اخرج فادع من يريد أن يسأل عن الحلال والحرام) فخرجت فآذنتهم فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم. ثم قال: (إخوانكم) فخرجوا ثم قال لي: (ادع من يريد أن يسأل عن الفرائض) فخرجت فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم، ثم قال لي: (ادع من يريد أن يسأل عن العربية والشعر)، فآذنتهم، فدخلوا حتى ملؤوا البيت، فما سألوا عن شيء إلا أخبرهم وزادهم.

دليل فضله:

كـان أنـاسٌ من المهاجرين قد وجدوا على عمر في إدنائه ابن عباس دونهـم، وكان يسأله، فقال عمر: (أما إني سأريكم اليوم منه ما تعرفون به فضله) فسألهم عن هذه السورة:

﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾[1].

قال بعضهم: أمر الله نبيه ﷺ إذا رأى الناس يدخلون في دين الله أفواجاً أن يحمدوه ويستغفروه.

فقال عمر: (يا ابن عباس، ألا تكلم)؟ قال: (أعلمه متى يموت، قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ ﴾ والفتح فتح مكة. ﴿ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ فهي آيتك من الموت، ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣ ﴾ .

ثم سألهم عن ليلة القدر فأكثروا فيها، فقال بعضهم: كنا نرى أنها في العشر الأوسط، ثم بلغنا أنها في العشر الأواخر.

وقال بعضهم: (ليلة إحدى وعشرين) وقال بعضهم: (ثلاث وعشرين) وقال بعضهم: (سبع وعشرين) فقال بعضهم لابن عباس: (ألا تكلم)؟ قال: (الله أعلم) قال: (قد نعلم أن الله أعلم، إنما نسألك عن علمك) فقال ابن عباس: (الله وترٌ يُحبُ الوتر، خلق من خلقه سبع

---

(١) سورة النصر، الآيتان: ١، ٢.

سموات فاستوى عليهن، وخلق الأرض سبعاً، وخلق عدة الأيام سبعاً، وجعل طوافاً بالبيت سبعاً، ورمي الجمار سبعاً، وبين الصفا والمروة سبعاً، وخلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع).

قال عمر: وكيف خلق الإنسان من سبع، وجعل رزقه من سبع؟ فقد فهمت من هذا أمراً ما فهمته؟

قال ابن عباس: إن الله يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ (1). ثم قرأ: ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَفَـٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١ ﴾ (2).

وأما السبعة فلبني آدم، والأب فما أنبتت الأرض للأنعام، وأما ليلة القدر فما نراها إن شاء الله إلا ليلة ثلاث وعشرين يمضين وسبع بقين.

المنطق والحجة:

بعث الإمام علي – كرم الله وجهه – ابن عباس ذات يوم إلى طائفة من الخوارج، فدار بينه وبينهم حوار طويل ساق فيه الحجة بشكل يبهر

---

(1) سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

(2) سورة عبس، الآيات: ٢٥-٣١.

الألباب فقد سألهم ابن عباس: ماذا تنقمون من عليّ؟

قالوا: ننقم منه ثلاثاً: أولاهن أنه حكم الرجال في دين الله، والله يقول: إن الحكم إلا لله. والثانية أنه قاتل ثم لم يأخذ من مقاتليه سبياً ولا غنائم، فلئن كانوا كفاراً فقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد حُرمت عليه دماؤهم. والثالثة رضي عند التحكيم أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين استجابة لأعدائه، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

وأخذ ابن عباس يفند أهواءهم فقال: أما قولكم إنه حكم الرجال في دين الله فأي بأس؟ إن الله يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [١].

فنبئوني بالله أتحكيم الرجال في حقن دماء المسلمين أحق وأولى، أم تحكيم في أرنب ثمنها درهم؟!

وأما قولكم إنه قاتل فلم يسب ولم يغنم، فهل كنتم تريدون أن يأخذ عائشة زوج الرسول وأم المؤمنين سبياً ويأخذ أسلابها غنائم؟

وأما قولكم أنه رضي أن يخلع عن نفسه صفة أمير المؤمنين حتى يتم التحكيم، فاسمعوا ما فعله رسول الله يوم الحديبية، إذ راح يُملي الكتاب الذي يقوم بينه وبين قريش فقال للكاتب: (اكتب: هذا ما قاضى

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٥.

عليه محمد رسول الله ﷺ(فقال مبعوث قريش: (والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، فاكتب: هذا ما ما قاضى عليه محمد بن عبدالله) فقال لهم الرسول: «**والله إني لرسول الله وإن كذبتم**».

ثم قال لكاتب الصحيفة: (اكتب ما يشاؤون، اكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله).

واستمر الحوار بين ابن عباس والخوارج على هذا النسق الباهر المعجز، وما كاد ينتهي النقاش حتى نهض منهم عشرون ألفاً معلنين اقتناعهم، وخروجهم من خصومة الإمام علي - رضي الله عنه.

أخلاق العلماء:

لقد كان ابن عباس - رضي الله عنه - حبر هذه الأمة يمتلك ثروة كبيرة من العلم ومن أخلاق العلماء. وكان يفيض على الناس بماله بنفس السماح الذي يفيض به علمه. وكان معاصروه يقولون: ما رأينا بيتاً أكثر طعاماً، ولا شراباً ولا فاكهة ولا علماً من بيت ابن عباس.

وكان قلبه طاهراً لا يحمل الضغينة لأحد ويتمنى الخير للجميع، فهو يقول عن نفسه: إني لآتي على الآية من كتاب الله فأود لو أن الناس جميعاً علموا مثل الذي أعلم. وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يقضي بالعدل ويحكم بالقسط فأفرح به وأدعو له، ومالي عنده قضية. وإني لأسمع بالغيث يصيب للمسلمين أرضاً فأفرح به ومالي بتلك الأرض سائمة .. وهو عابد قانت يقوم الليل، ويصوم الأيام. وكان كثير

البكاء كلما صلى وقرأ القرآن.

ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه فقال: (لا تفعل يا ابن عم رسول الله ﷺ) قال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا.

فقال له زيد: (أرني يديك) فأخرج يديه فقبلهما وقال: (هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ).

موقفه من الفتنة:

لقد كان لابن عباس آراء في الفتنة بين علي ومعاوية. آراء ترجو السلام لا الحرب، والمنطق لا القسر، على الرغم من أنه خاض المعركة مع الإمام علي ضد معاوية. فقد شهد مع علي (الجمل) و(صفين)؛ لأنه في البداية كان لا بد من ردع الشقاق الذي هدد وحدة المسلمين. وعندما هم الحسين - رضي الله عنه - بالخروج إلى العراق ليقاتل زياداً ويزيد، تعلق ابن عباس به واستمات في محاولة منعه، فلما بلغه نبأ استشهاده، حزن عليه ولزم داره.

البصرة:

وكان ابن عباس أمير البصرة، وكان يغشى الناس في شهر رمضان، فلا ينقضي الشهر حتى يفقههم. وكان إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان يعظهم ويتكلم بكلام يروعهم ويقول: (ملاك أمركم الدين، ووصلتكم الوفاء، وزينتكم العلم، وسلامتكم الحلم وطولكم المعروف، إن الله كلفكم الوسع، اتقوا الله ما استطعتم).

الوصية:

قال جُندب لابن عباس (أوصني بوصية) قال: أوصيك بتوحيد الله، والعمل له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، فإن كل خير أنت آتيه بعد هذه الخصال منك مقبول، وإلى الله مرفوع. يا جندب: إنك لن تزداد من يومك إلا قرباً، فصلِّ صلاة مودع، وأصبح في الدنيا كأنك غريب مسافر، فإنك من أهل القبور، وابك على ذنبك، وتب من خطيئتك، ولتكن الدنيا أهون عليك من شسع نعليك، وكأن قد فارقتها، وصرت إلى عدل الله، ولن تنتفع بما خلفت، ولن ينفعك إلا عملك.

اللسان:

قال ابن بريدة: رأيت ابن عباس آخذاً بلسانه، وهو يقول: ويحك، قل خيراً تغنم أو اسكت عن شر تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم.

فقيل له: يا ابن عباس لم تقول هذا؟

قال: إنه بلغني أن الإنسان ليس على شيء من جسده أشد حنقاً أو غيظاً يوم القيامة منه على لسانه، إلا قال به خيراً أو أملى به خيراً.

المعروف:

وقال ابن عباس: لا يتم المعروف إلا بثلاثة: تعجيله، وتصغيره عنده، وستره. فإنه إذا عجله هيأه، وإذا صغره عظمه، وإذا ستره فخمه.

معاوية وهرقل:

كتب هرقل إلى معاوية وقال: إن كان بقي فيهم من النبوة

فسيجيبون عما أسألهم عنه .. وكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن البقعة التي لم تُصبها الشمس إلا ساعة واحدة. فلما أتى معاوية الكتاب والرسول، قال: هذا شيء ما كنت أراه أسأل عنه إلى يومي هذا؟

فطوى الكتاب وبعث به إلى ابن عباس، فكتب إليه: (إن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق. والمجرة باب السماء الذي تنشق منه. وأما البقعة التي لم تصبها الشمس إلا ساعة من نهار فالبحر الذي انفرج عن بني إسرائيل.

وفاته:

وفي آخر عمره كُف بصره، وفي عامه الحادي والسبعين دُعي للقاء ربه العظيم، ودُفن في مدينة الطائف سنة (٦٨هـ).

***

عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -
صاحب السواد

وقد ذكره كل من:

- الأرجوزة المنبهة للداني.
- الأحرف السبعة، حسن ضياء الدين الأشقر.
- مناهل العرفان الزرقاني.
- سنن القراء ومناهج المجودين، عبدالعزيز قارئ.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- النشر في القراءات العشر، ط١ ابن الجزري.
- الإتقان، للسيوطي.
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي.
- تفسير القرآن العظيم، ط٤ ابن كثير.
- السبعة، لابن مجاهد.
- فتح الباري لابن حجر، ص٩.
- طبقات القراء للذهبي.
- معرفة القراء الكبار للذهبي.

«ما أعرف أحداً أقرب سمتاً ولا هدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد» (١).

---

(١) حذيفة بن اليمان.

هو عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي، وكناه النبي ﷺ أبا عبدالرحمن. مات أبوه في الجاهلية، وأسلمت أمه وصحبت النبي ﷺ. لذلك كان ينسب إلى أمه أحياناً فيقال: (ابن أم عبد)، وأم عبد كنية أمه - رضي الله عنهما.

أول لقاء مع الرسول ﷺ:

يقول - رضي الله عنه - عن أول لقاء له مع الرسول ﷺ: كنت غلاماً يافعاً أرعى غنماً لعقبة بن أبي مُعيط، فجاء النبي ﷺ وأبو بكر فقالا: يا غلام، هل عندك من لبن تسقينا؟

فقلت: إني مؤتمن، ولست ساقيكما.

فقال النبي ﷺ: «**هل عندك من شاة حائل، لم ينز عليها الفحل**»؟

قلت: نعم. فأتيتهما بها، فاعتقلها النبي ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع. ثم أتاه أبو بكر بصخرة متقعرة، فاحتلب فيها فشرب أبو بكر، ثم شربت ثم قال للضرع: (اقلص) فقلص، فأتيت النبي ﷺ بعد ذلك فقلت: علمني من هذا القول.

فقال: «**إنك غلام معلم**».

إسلامه:

لقد كان عبدالله بن مسعود من السابقين في الإسلام، فهو سادس ستة دخلوا في الإسلام. وقد هاجر هجرة الحبشة وهجرة المدينة وشهد بدراً والمشاهد مع الرسول ﷺ، وهو الذي أجهز على أبي جهل، ونفله

رسول الله ﷺ سيف أبي جهل حين أتاه برأسه.

وكان نحيل الجسم دقيق الساق. ولكنه الإيمان القوي بالله الذي يدفع صاحبه إلى مكارم الأخلاق. وقد شهد له النبي ﷺ بأن ساقه الدقيقة أثقل في ميزان الله من جبل أحد، وقد بشره الرسول ﷺ بالجنة.

فقد أمر النبي ﷺ ابن مسعود فصعد شجرة وأمره أن يأتيه منها بشيء، فنظر أصحابُ رسول الله ﷺ إلى ساقه حين صعد فضحكوا من حموشة ساقه، فقال النبي ﷺ «**مم تضحكون؟ لرجل عبدالله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد**».

جهره بالقرآن:

وعبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أول من جهر بالقرآن الكريم عند الكعبة بعد رسول الله ﷺ اجتمع يوماً أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهرُ لها به قط، فمن رجلٌ يسمعهم؟

فقال عبدالله بن مسعود: أنا.

فقالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلاً له عشيرة تمنعه من القوم إن أرادوه.

فقال: دعوني فإن الله سيمنعني .. فغدا عبدالله حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها، حتى قام عبدالله عند المقام رافعاً صوته.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾.

فاستقبلها فقرأ بها، فتأملوا فجعلوا يقولون ما يقول ابن أم عبد، ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا فجعلوا يضربونه في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا بوجهه، فقالوا: هذا الذي خشينا عليك.

فقال: ما كان أعداء الله قط أهون علي منهم الآن، ولئن شئتم غاديتهم بمثلها غداً.

قالوا: حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون.

حفظ القرآن:

أمر النبي ﷺ عبدالله بن مسعود أن يقرأ عليه فقال: اقرأ عليّ.

قال: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟

فقال ﷺ: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**».

قال ابن مسعود فقرأت عليه من سورة النساء حتى وصلت إلى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١ ﴾ [1]. فقال له النبي ﷺ: «**حسبك**» قال ابن مسعود: فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

كان ابن مسعود من علماء الصحابة - رضي الله عنهم - وحفظة القرآن الكريم البارعين. فيه انتشر علمه وفضله في الآفاق بكثرة أصحابه والآخذين عنه الذين تتلمذوا على يديه وتربوا. وقد كان يقول: أخذت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة لا ينازعني فيها أحد.

وقال رسول الله ﷺ: **«استقرئوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل»**.

كما كان يقول: **«من أحب أن يسمع القرآن غضاً كما أنزل فليسمعه من ابن أم عبد»**.

قيل لرسول الله ﷺ: استخلفت.

فقال: **«إني إن أستخلف عليكم فعصيتم خليفتي عُذبتم، ولكم ما حدثكم به حذيفة فصدقوه، وما أقراكم عبدالله بن مسعود فاقرؤوه»**.

وحين أخذ عثمان بن عفان من عبدالله مصحفه، وحمله على الأخذ بالمصحف الإمام الذي أمر بكتابته. فزع المسلمون لعبدالله وقالوا: إنا لم نأتك زائرين، ولكن جئنا حين راعنا هذا الخبر.

فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم ﷺ من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد، معناهما واحد.

قربه من الرسول ﷺ:

وابن مسعود صاحب نعلي النبي ﷺ كان يدخلهما في يديه عندما

يخلعهما النبي ﷺ وهو كذلك صاحب وسادة النبي ﷺ ومطهرته. أجاره الله من الشيطان فليس له سبيل عليه. وابن مسعود صاحب سر رسول الله ﷺ الذي لا يعلمه غيره، لذا كان اسمه (صاحب السواد). حتى قال الرسول ﷺ: «**لو كنت مؤمراً أحداً دون شورى المسلمين لأمرت ابن أم عبد**»، كما أعطي ما لم يعط لغيره حين قال له الرسول ﷺ: «**إذنك علي أن ترفع الحجاب**»، فكان له الحق بأن يطرق باب الرسول الكريم في أي وقت من الليل أو النهار.

يقول أبو موسى الأشعري: لقد رأيت النبي ﷺ وما أرى إلا ابن مسعود من أهله.

مكانته عند الصحابة:

قال عنه أمير المؤمنين عمر (لقد مُلئ فقهاً) وقال أبو موسى الأشعري: لا تسألونا عن شيء ما دام هذا الحبر فيكم. ويقول عنه حذيفة: ما أعرف أحداً أقرب سمتاً ولا هدياً ودلاً بالنبي ﷺ من ابن أم عبد.

واجتمع نفر من الصحابة عند علي بن أبي طالب فقالوا له: يا أمير المؤمنين، ما رأينا رجلاً كان أحسن خُلُقاً، ولا أرفق تعليماً، ولا أحسن مُجالسة، ولا أشد ورعاً من عبدالله بن مسعود.

قال علي: نشدتكم الله، أهو صدق من قلوبكم؟

قالوا: نعم.

قال: اللهم إني أشهدك، اللهم إني أقول فيه مثل ما قالوا، أو أفضل، لقد قرأ القرآن فأحل حلاله،وحرم حرامه، فقيه في الدين عالم بالسنة.

وعن تميم بن حرام قال: جالست أصحاب رسول الله ﷺ فما رأيت أحداً أزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة، ولا أحب إلي أن أكون في صلاحه، من ابن مسعود.

ورعه:

كان أشد ما يخشاه ابن مسعود - رضي الله عنه - هو أن يحدث بشيء عن الرسول ﷺ فيغير شيئاً أو حرفاً. يقول عمرو بن ميمون: اختلفت إلى عبدالله بن مسعود سنة، ما سمعته يحدث فيها عن رسول الله ﷺ، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث فجرى على لسانه: قال رسول الله ﷺ فعلاه الكرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته، ثم قال مستدركاً: قريباً من هذا قال الرسول. ويقول علقمة بن قيس: كان عبدالله بن مسعود يقوم عشية كل خميس متحدثاً، فما سمعته في عشية منها يقول: قال رسول الله غير مرة واحدة، فنظرت إليه وهو معتمد على عصا، فإذا عصاه ترتجف وتتزعزع.

حكمته:

كان عبدالله بن مسعود يملك قدرة كبيرة على التعبير والنظر بعمق للأمور. فهو يقول عما نسميه نسبية الزمان: (إن ربكم ليس عنده ليل

ولا نهـار، نور السموات والأرض من نور وجهه) كما يقول عن العمل: إنـي لأمقت الرجل إذ أراه فارغاً، ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.

ومـن كلماته الجامعة: (خير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وشـر العمـى عمـى القلب، وأعظم الخطايا الكذب، وشر المكاسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يغفر يغفر الله له).

وقـال عـبدالله بـن مسعود: لو أن أهل العلم صانوا العلم ووضعوه عـند أهله لسادوا أهل زمانهم، ولكنهم وضعوه عند أهل الدنيا لينالوا من دنـياهم، فهـانوا علـيهم، سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**من جعل الهموم هماً واحـداً، همـه المعـاد، كفـاه الله سـائر همومـه، ومن شعَّبته الهموم أحوال الدنيا لم يُبال الله في أي أوديتها هلك**».

أمنيتـه:

يقـول ابـن مسـعود: قمت من جوف الليل وأنا مع الرسول ﷺ في غـزوة تـبوك، فرأيـت شـعلة من نار في ناحية العسكر فاتبعتها أنظر إليها، فـإذا رسـول الله وأبـو بكـر وعمـر، وإذا عـبدالله ذو الـبجادين المزني قد مـات، وإذا هم قد حفروا لـه، ورسول الله ﷺ في حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، والرسول يقول: أدنيا إلىّ أخاكما فدلياه إليه، فلما هيأه للحده قـال: الـلهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه .. فيا ليتني كنت صاحب هذه الحفرة.

أهل الكوفة:

ولاه أمير المؤمنين عمر بيت مال المسلمين بالكوفة، وقال لأهلها حين أرسله إليهم إني والله الذي لا إله إلا هو قد آثرتكم به على نفسي. فخذوا منه وتعلموا. ولقد أحبه أهل الكوفة حبّاً لم يظفر بمثله أحد قبله، حتى قالوا له حين أراد الخليفة عثمان بن عفان عزله عن الكوفة: (أقم معنا ولا تخرج، ونحن نمنعك أن يصل إليك شيء تكرهه منه. ولكنه أجاب إن له علي الطاعة، وإنها ستكون أمور وفتن، ولا أحب أن أكون أول من يفتح أبوابها.

المرض:

قال أنس بن مالك: دخلنا على عبدالله بن مسعود نعوده في مرضه، فقلنا: (كيف أصبحت أبا عبدالرحمن)؟

قال: أصبحنا بنعمة الله إخواناً.

قلنا: (كيف تجدك يا أبا عبدالرحمن)؟

قال: أجد قلبي مطمئناً بالإيمان.

قلنا له: ما تشتكي أبا عبدالرحمن؟

قال: أشتكي ذنوبي وخطاياي.

قلنا: ما تشتهي شيئاً؟

قال: أشتهي مغفرة الله ورضوانه.

قلنا: ألا ندعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب أمرضني – وفي رواية أخرى الطبيب أنزل بي ما ترون .. ثم بكى عبدالله، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن العبد إذا مرض يقول الرب تبارك وتعالى عبدي في وثاقي**»، فإن كان نزل به المرض في فترة منه قال: (اكتبوا له من الأمر ما كان في فترته) فأنا أبكي أنه نزل بي المرض في فترة، ولوددت أنه كان في اجتهاد مني.

الوصية:

لما حضر عبدالله بن مسعود الموتُ دعا ابنه فقال: يا عبدالرحمن بن عبدالله بن مسعود، إني موصيك بخمس خصال، فاحفظهن عني: أظهر اليأس للناس، فإن ذلك غنى فاضل. ودع مطلب الحاجات إلى الناس، فإن ذلك فقرٌ حاضر. ودع ما يعتذر منه من الأمور، ولا تعمل به. وإن استطعت ألا يأتي عليك يوم إلا وأنت خير منك بالأمس فافعل. وإذا صليت صلاة فصل صلاة مودع كأنك لا تصلي صلاة بعدها.

الحلم:

لقي رجل ابن مسعود فقال: لا تعدم حالماً مذكراً: رأيتك البارحة، ورأيت النبي ﷺ على منبر مرتفع وأنت دونه وهو يقول: «يا ابن مسعود هلم إلي، فلقد جُفيت بعدي».

فقال عبدالله: (آلله أنت رأيته)؟ قال: نعم، قال: (فعزمت أن تخرج من المدينة حتى تصلي علي)، فما لبث إلا أياماً حتى مات – رضي الله عنه – فشهد الرجل الصلاة عليه.

وفاته:

وفي أواخر عمره – رضي الله عنه – قدم إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم. توفي سنة اثنتين وثلاثين للهجرة في أواخر خلافة عثمان – رضي الله عنه – ابن أم عبد وأمه صاحبي رسول الله ﷺ وجعلهما رفيقيه في الجنة مع الخالدين.

***

عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- فتح الباري، ص٩.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان، للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- مناهل العرفان للزرقاني.

عبدالله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي، يكنى أبا محمد، وقيل أبو عبدالرحمن. أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي. وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة.

أسلم قبل أبيه، وكان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب عنه، فأذن له، فقال: يا رسول الله، أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟

قال: **«نعم، فإني لا أقول إلا حقاً»**.

قال أبو هريرة – رضي الله عنه: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبدالله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب.

أخبرنا إسماعيل بن علي وغيره بإسنادهم إلى أبي عيسى قال: حدثنا عبيد بن أسباط بن محمد القرشي، حدثني أبي، عن مطرف، عن أبي إسحاق، عن أبي بردة، عن عبدالله بن عمرو قال: قلت: يا رسول الله، في كم أقرأ القرآن؟ قال: «**اختمه في شهر**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «**اختمه في عشرين**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك؟ قال: «**اختمه في خمس عشرة**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**اختمه في عشر**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**اختمه في خمس**». قلت: إني أطيق أفضل من ذلك. قال: «**فما رخص لي**».

قال مجاهد: أتيت عبالله بن عمرو، فتناولت صحيفة تحت مفرشه، فمنعني، قلت: ما كنت تمنعني شيئاً! قال: هذه الصادقة، فيها ما سمعت من رسول الله ﷺ ليس بيني وبينه أحد. إذا سلمت لي هذه وكتاب الله والوهط، فلا أبالي علام كانت عليه الدنيا؟ والوهط، أرض كانت له يزرعها.

وقال عبدالله: لخير أعمله اليوم أحب إلي من مثيله مع رسول الله ﷺ، لأنا كنا مع رسول الله ﷺ تهمنا الآخرة ولا تهمنا الدنيا، وإنا اليوم مالت بنا الدنيا.

وشهد مع أبيه فتح الشام، وكانت معه راية أبيه يوم اليرموك. وشهد معه أيضاً صفين، وكان على الميمنة - قال له أبوه: يا عبدالله، اخرج فقاتل. فقال: يا أبتاه، أتأمرني أن أخرج فأقاتل، وقد سمعت

رسول الله ﷺ يعهد إلي ما عهد؟! قال: إني أنشدك الله يا عبدالله، ألم يكن آخر ما عهد إليك رسول الله ﷺ أن أخذ بيدك فوضعها في يدي، وقال: «**أطع أباك**»؟ قال: اللهم بلى. قال: فإني أعزم عليك أن تخرج فتقاتل، فخرج فقاتل وتقلد سيفين. وندم بعد ذلك، فكان يقول: مالي ولصفين، ما لي ولقتال المسلمين، لوددت أني مت قبله بعشرين سنة. وقيل: إنه شهدها بأمر أبيه له، ولم يقاتل.

قال ابن أبي ملكية. قال عبدالله بن عمرو: أما والله ما طعنت برمح، ولا ضربت بسيف، ولا رميت بسهم، وما كان رجل أجهد مني، رجل لم يفعل شيئاً من ذلك.

وقيل: إنه كانت الراية بيده وقال: قدمت الناس منزلة أو منزلتين.

أخبرنا القاسم بن علي بن الحسن إجازة، أخبرنا أبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين، أخبرنا أبو الحسين بن المهتدي «ح» قال: وأخبرنا أبي، أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا أبو الحسين بن النقور قالا: أخبرنا أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى، أخبرنا عبدالله بن محمد، حدثنا داود بن رشيد، حدثنا علي بن هاشم، عن أبيه، عن إسماعيل بن رجاء، عن أبيه قال: كنت في مسجد رسول الله ﷺ في حلقة فيها أبو سعيد الخدري وعبدالله بن عمرو، فمر بنا حسين بن علي، فسلم، فرد القوم السلام، فسكت عبدالله حتى فرغوا، رفع صوته وقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

ثم أقبل على القوم فقال: ألا أخبركم بأحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟ قالوا: بلى. قال: هو هذا الماشي، ما كلمني كلمة منذ صفين، ولأن يرضى عني أَحَبُّ إليّ من أن يكون لي حمر النعم.

فقال أبو سعيد: ألا تعتذر إليه؟

قال: بلى.

قال: فتواعدا أن يغدوا إليه.

قال: فغدوت معهما، فاستأذن أبو سعيد: فأذن له، فدخل، ثم استأذن عبدالله، فلم يزل به حتى أذن له، فلما دخل قال أبو سعيد: يا ابن رسول الله، إنك لما مررت بنا أمس .. فأخبره بالذي كان من قول عبدالله بن عمرو، فقال حسين: أعلمت يا عبدالله أني أحب أهل الأرض إلى أهل السماء؟

قال: إي ورب الكعبة!

قال: فما حملك على أن قاتلتني وأبي يوم صفين؟ فوالله لأبي كان خيراً مني.

قال: أجل، ولكن عمراً شكاني إلى رسول الله ﷺ.

فقال: يا رسول الله، إن عبدالله يقوم الليل ويصوم النهار، فقال لي رسول الله ﷺ: **«يا عبدالله، صل ونم وصم وأفطر، وأطع عمراً»**.

قال: فلما كان يوم صفين أقسم علي فخرجت معه، أما والله ما اخترطت سيفاً، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. قال: «فكأنه».

وتـوفي عـبدالله سـنة ثلاث وستين، وقيل: سنة خمسة وستين بمصر. وقـيل: سـنة سـبع وستين بمكة. وقيل: توفي سنة خمس وخمسين بالطائف. وقـيل: سـنة ثمـان وستين. وقيل: سنة ثلاث وسبعين. وكان عمره اثنتين وسـبعين سـنة. وقـيل: اثنـتان وتسـعون سـنة. شـك ابن بكير في: سبعين وتسعين.

***

عثمان بن عفان – رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- مناهل العرفان، ص٢٣٥.
- سنن القراء ومناهج المجودين، ص٢٣٥.
- الأحرف السبعة، ص٣٣٧.
- مباحث في علوم القرآن، ص٦٦.
- الإتقان للسيوطي، ص٧٢.
- النشر في القراءات العشر، ص٦.
- الأرجوزة المنبهة، لأبي عمرو الداني، ص٩٨.
- معرفة القراء الكبار للذهبي، ص٢٥.
- طبقات القراء للذهبي، ص٥.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ص٦٣.
- كتاب السبعة لابن مجاهد، ص١٢.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، جـ٤، ص١٥.
- تفسير القرطبي، ص٥٧.

«ألا أستحي ممن تستحي منه الملائكة؟» [١] .

---

(١) حديث شريف.

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة الذي جعل عمر الأمر شورى بينهم، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راضٍ. صلى إلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، وبمقتله كانت الفتنة الأولى في الإسلام.

إسلامه:

كان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - غنياً شريفاً في الجاهلية، وأسلم بعد البعثة بقليل. فكان من السابقين إلى الإسلام. فهو أول من هاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ الهجرة الأولى والثانية. وقد قال رسول الله ﷺ **«إنهما لأول من هاجر إلى الله بعد لوط»** (إن عثمان لأول من هاجر إلى الله بأهله بعد لوط). وهو أول من شيد المسجد، وأول من خط المفصل، وأول من ختم القرآن في ركعة. وكان أخوه من المهاجرين عبدالرحمن بن عوف، ومن الأنصار أوس بن ثابت أخا حسان.

قال عثمان: إن الله عز وجل بعث محمداً بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمن بما بُعث به محمدٌ، ثم هاجرت الهجرتين وكنت صهر رسول الله ﷺ وبايعت رسول الله. فوالله ما عصيته ولا غششته، حتى توفاه الله عز وجل.

الصلابة:

لما أسلم عثمان – رضي الله عنه – أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه رباطاً، وقال: أترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدين.

فقال عثمان: والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه .. فلما رأى الحكم صلابته في دينه تركه.

ذي النورين:

لقب عثمان – رضي الله عنه – بذي النورين لتزوجه بنتي النبي ﷺ رقية ثم أم كلثوم، فقد زوجه رسول الله ﷺ ابنته رقية، فلما ماتت زوجه أختها أم كلثوم فلما ماتت تأسف رسول الله ﷺ على مصاهرته فقال: «**والذي نفسي بيده لو كان عندي ثالثة لزوجتكها يا عثمان**».

سهم بدر:

أثبت له رسول الله ﷺ سهم البدريين وأجرهم، وكان غاب عنها لتمريضه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ فقد قال الرسول ﷺ: «**إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه**».

الحديبية:

بعث الرسول ﷺ عثمان بن عفان يوم الحديبية إلى أهل مكة، لكونه أعز بيت بمكة، واتفقت بيعة الرضوان في غيبته، فضرب الرسول ﷺ بشماله على يمينه وقال: «**هذه يدُ عثمان**» فقال الناس: هنيئاً لعثمان.

جهاده بماله:

قام عثمان بن عفان – رضي الله عنه – بنفسه وماله في واجب النصرة. كما اشترى بئر رومة بعشرين ألفاً وتصدق بها، وجعل دلوه فيها لدلاء المسلمين، كما ابتاع توسعة المسجد النبوي بخمسة وعشرين ألفاً.

كان الصحابة مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأصاب الناس جَهْدٌ حتى بدت الكآبة في وجوه المسلمين، والفرح في وجوه المنافقين. فلما رأى الرسول ﷺ ذلك قال: «**والله لا تغيب الشمس حتى يأتيكم الله برزق**».

فعلم عثمان أن الله ورسوله سيصدقان، فاشترى أربع عشرة راحلة بما عليها من الطعام، فوجه إلى النبي ﷺ منها بتسع فلما رأى ذلك النبي قال: ما هذا؟

قالوا: أهدي إليك من عثمان. فعُرف الفرحُ في وجه رسول الله ﷺ والكآبة في وجوه المنافقين. فرفع النبي ﷺ يديه حتى رُؤي بياض إبطيه، يدعو لعثمان دعاءً ما سمع دعا لأحد قبله ولا بعده: «**اللهم أعط عثمان، اللهم افعل بعثمان**».

قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – دخل رسول الله ﷺ عليَّ فرأى لحماً فقال: من بعث بهذا؟ قلت: عثمان. فرأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه يدعو لعثمان.

جيش العُسْرة:

وجهز عثمان بن عفان – رضي الله عنه جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وخمسين فرساً، واستغرق الرسول ﷺ في الدعاء له يومها، ورفع يديه حتى أري بياض إبطيه، فقد جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فجعل ﷺ يقلبها ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» .. مرتين.

الحياء:

قال رسول الله ﷺ: «**أشد أمتي حياءً عثمان**».

قالت السيدة عائشة – رضي الله عنها – استأذن أبو بكر على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراش، عليه مرطٌ لي، فأذن له وهو على حاله، فقضى الله حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عمر فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى الله حاجته، ثم انصرف. ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله وأصلح عليه ثيابه وقال: «**اجمعي عليك ثيابك**»، فأذن له، فقضى الله حاجته ثم انصرف. فقلت: يا رسول الله: لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر كما فزعت لعثمان.

فقال: «**يا عائشة إن عثمان رجل حيي، وإن خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لا يُبلغ إلي حاجته**»، وفي رواية أخرى (الا أستحي ممن تستحيي منه الملائكة).

فضله:

دخل رسول الله ﷺ على ابنته وهي تغسل رأس عثمان فقال: «**يا بنية أحسني إلى أبي عبدالله فإنه أشبه أصحابي بي خُلقاً**» وقال رسول الله ﷺ: «**من يُبغض عثمان أبغضه الله**» وقال: «**اللهم ارض عن عثمان**» وقال: «**اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه**».

اختصه رسول الله ﷺ بكتابة الوحي، وقد نزل بسببه آيات من كتاب الله تعالى، وأثنى عليه جميع الصحابة وبركاته وكراماته كثيرة، وكان عثمان – رضي الله عنه – شديد المتابعة للسنة، كثير القيام بالليل.

قال عثمان – رضي الله عنه – ما تغنيت ولما تمنيت، ولا وضعتُ يدي اليمنى على فرجي منذ بايعت بها رسول الله ﷺ وما مرت بي جمعة إلا وأعتق فيها رقبة، ولا زنيت، في جاهلية ولا إسلام، ولا سرقت).

اللهم أشهد:

عن الأحنف بن قيس قال: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فدخلنا المسجد، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص. فلم يكن بأسرع من أن جاء عثمان عليه ملاءة صفراء قد منع بها رأسه فقال: أهاهنا علي؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: من يبتاع مربد بني فلان غفر الله له؟ فابتعته بعشرين الفاً أو بخمسة

وعشرين ألفاً، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعته.

فقال: اجعله في مسجدنا وأجره لك؟

قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من يبتاع بئر رومة غفر الله له**» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إني قد ابتعتها.

فقال: «**اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك**»؟ قالوا: نعم.

قال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو أتعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العُسرة فقال: «**من يجهز هؤلاء غفر الله له**» فجهزتهم ما يفقدون خطاماً ولا عقالاً؟ قالوا: نعم. قال: (اللهم اشهد اللهم أشهد)، ثم انصرف.

الخلافة:

كان عثمان – رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين، فقد بايعه المسلمون بعد مقتل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سنة ٢٣هـ، فقد عين ستة للخلافة فجعلوا الأمر في ثلاثة، ثم جعل الثلاثة أمرهم إلى عبدالرحمن بن عوف بعد أن عاهد الله لهم أن لا يألو عن أفضلهم، ثم أخذ العهد والميثاق أن يسمعوا ويطيعوا لمن عينه وولاه، فجمع الناس ووعظهم وذكرهم. ثم أخذ بيد عثمان وبايعه الناس على ذلك. فلما تمت البيعة أخذ عثمان بن عفان حاجباً وكاتباً هو مروان بن الحكم.

ومن خُطبته يوم استخلافه لبعض من أنكر استخلافه أنه قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً بالحق فكنت ممن استجاب لله ورسوله، وهاجرت الهجرتين، وبايعت رسول الله ﷺ والله ما غششته، ولا عصيته، حتى توفاه الله، ثم أبا بكر مثله، ثم عمر كذلك، ثم استخلفت، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟!

الخير:

انبسط المال في زمنه حتى بيعت جارية بوزنها، وفرس بمائة ألف، ونخلة بألف درهم، وحج بالناس عشر حجج متوالية.

الفتوح الإسلامية:

وفتح الله في أيام خلاقة عثمان - رضي الله عنه - الإسكندرية ثم سابور ثم إفريقية ثم قبرص، ثم اصطخر الآخرة وفارس الأولى ثم خو وفارس الآخرة، ثم طبرستان ودُرُبجرد وكرمان وسجستان، ثم الأساورة في البحر ثم ساحل الأردن.

الفتنة:

ويعود سبب الفتنة التي أدت إلى الخروج عليه وقتله أنه كان كلفاً بأقاربه وكانوا قرابة سوء. وكان قد ولى على أهل مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح فشكوه إليه. فولى عليهم محمد بن أبي بكر الصديق باختيارهم له، وكتب لهم العهد. وخرج معهم مددٌ من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بينهم وبين ابن أبي السرح. فلما كانوا على ثلاثة

أيام من المدينة، إذ هم بغلام عثمان على راحلته ومعه كتاب مفترى، وعليه خاتم عثمان، إلى ابن أبي السرح يحرضه ويحثه على قتالهم إذا قدموا عليه. فرجعوا به إلى عثمان فحلف لهم أنه لم يأمره ولم يعلم من أرسله، وصدق - رضي الله عنه - فهو أجل قدراً وأنبل ذكراً وأروع وأرفع من أن يجري مثل ذلك على لسانه أو يده، وقد قيل إن مروان هو الكاتب والمرسل!

ولما حلف لهم عثمان - رضي الله عنه - طلبوا منه أن يسلمهم مروان فأبى عليهم، فطلبوا منه أن يخلع نفسه فأبى؛ لأن النبي ﷺ كان قد قال له: «**عثمان: إنه لعل الله أن يلبسك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه**».

الحصار:

فاجتمع نفر من أهل مصر والكوفة والبصرة وساروا إليه، فأغلق بابه دونهم، فحاصروه عشرين أو أربعين يوماً، وكان يُشرف عليهم في أثناء المدة، ويذكرهم سوابقه في الإسلام، والأحاديث النبوية المتضمنة للثناء عليه والشهادة له بالجنة، فيعترفون بها ولا ينكفون عن قتاله!! وكان يقول: إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهداً فأنا صابرٌ عليه إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن.

وعن أبي سهلة مولى عثمان قلت لعثمان يوماً: قاتل يا أمير المؤمنين قال: لا والله لا أقاتل، قد وعدني رسول الله ﷺ أمراً فأنا صابر عليه.

وأشرف عثمان على الذين حاصروه فقال: يا قوم! لا تقتلوني فإني والٍ وأخٌ مسلم، فوالله إن أردت إلا الإصلاح ما استطعت أصبت أو أخطأت. وإنكم إن تقتلوني لا تصلوا جميعاً أبداً، ولا تغزوا جميعاً أبداً ولا يقسم فيؤكم بينكم.

فلما أبوا قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، فقتل الله منهم من قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى أهل المدينة عشرين ألفاً فأباحوا المدينة ثلاثاً يصنعون ما شاؤوا لمداهنتهم.

مقتله:

وكان مع عثمان – رضي الله عنه – في الدار نحو ستمائة رجل، فطلبوا منه الخروج للقتال، فكره وقال: إنما المراد نفسي وسأقي المسلمين بها، فدخلوا عليه من دار أبي حزم الأنصاري فقتلوه، والمصحف بين يديه فوقع شيء من دمه عليه، وكان ذلك صبيحة عيد الأضحى سنة ٣٥ هـ في بيته بالمدينة.

ومن حديث مسلم أبي سعيد مولى عثمان بن عفان: أن عثمان أعتق عشرين عبداً مملوكاً، ودعا بسراويل فشد بها عليه، ولم يلبسها في جاهلية ولا إسلام وقال: إني رأيت رسول الله ﷺ البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر وأنهم قالوا لي: اصبر، فإنك تفطر عندنا القابلة، فدعا بمصحف فنشره بين يديه، فقتل وهو بين يديه.

كانت مدة ولايته – رضي الله عنه وأرضاه – إحدى عشرة سنة

وأحد عشر شهراً وأربعة عشر يوماً، واستشهد وله تسعون أو ثمان وثمانون سنة.

ودفن – رضي الله عنه – بالبقيع. وكان قتله أول فتنة انفتحت بين المسلمين فلم تغلق إلى اليوم.

يوم الجمل:

في يوم الجمل قال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قُتل عثمان وأنكرت نفسي وجاؤوني للبيعة فقلت: إني لأستحيي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال له رسول الله ﷺ **«ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة»** وإني لأستحي من الله وعثمان على الأرض لم يدفن بعد.

فانصرفوا، فلما دُفن رجع الناس فسألوني البيعة فقلت: (اللهم إني مشفقٌ مما أقدم عليه) ثم جاءت عزيمة فبايعت فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين فكأنما صُدع قلبي وقلت: اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى.



عقبة بن عامر - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري.
- الإتقان، للسيوطي.

هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني. أبو حماد وأبو مسعود. روى عن النبي ﷺ كثيراً وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين. كان قارئاً عالماً، بالفرائض والفقه، فصيح اللسان، كاتباً شاعراً.

كان على البريد إلى عمر بن الخطاب بفتح الشام. شهد وقعة صفين مع معاوية وولاه.

***

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- تفسير ابن كثير، ص٢٩، جـ٤.
- السبعة لابن مجاهد، ص١٢.
- فتح الباري لابن حجر، ص٦٣.
- النشر في القراءات العشر، ص٧.
- الإتقان للسيوطي، ص٧٢.
- مباحث في علوم القرآن، ص٦٦. صبحي الصالح.
- سنن القراء ومناهج المجودين، ص٣٣. عبدالعزيز قارئ.
- مناهل العرفان، للزرقاني.

«يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك» [1].

الفاروق أبو حفص، عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبدالعزى القرشي العدوي، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة (٤٠ عام قبل الهجرة)، عرف في شبابه بالشدة والقوة، وكانت له مكانة رفيعة في قومه، إذ كانت له السفارة في الجاهلية فتبعثه قريش رسولاً إذا ما وقعت الحرب بينهم، أو بينهم غيرهم .. وأصبح الصحابي العظيم الشجاع الحازم

---

(١) حديث شريف.

الحكيم العادل صاحب الفتوحات وأول من لقب بأمير المؤمنين.

إسلامه:

أسلم في السنة السادسة من البعثة النبوية المشرفة. فقد كان الخباب بن الأرت يعلم القرآن لفاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد عندما فاجأهم عمر بن الخطاب متقلداً سيفه الذي خرج به ليصفي حسابه مع الإسلام ورسوله، لكنه لم يكد يتلو القرآن المسطور في الصحيفة حتى صاح صيحته المباركة: (دلوني على محمد).

وسمع خباب كلمات عمر، فخرج من مخبئه وصاح: يا عمر: والله إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ فإني سمعته بالأمس يقول: «**اللهم أيد الإسلام بأحب الرجلين إليك، أبي الحكم بن هشام، وعمر بن الخطاب**» فسأله عمر من فوره: وأين أجد الرسول الآن يا خباب؟

وأجاب خباب: عند الصفا في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ومضى عمر إلى مصيره العظيم، ففي دار الأرقم خرج إليه الرسول ﷺ فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال: «**أما أنت منتهياً يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟ اللهم هذا عمر الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب**» فقال عمر: أشهد أنك رسول الله.

وبإسلامه ظهر الإسلام في مكة إذ قال للرسول ﷺ والمسلمون في دار الأرقم: والذي بعثك بالحق لتخرجن ولنخرجن معك.

وخرج المسلمون ومعهم عمر، ودخلوا المسجد الحرام، وصلوا حول الكعبة دون أن تجرؤ قريش على اعتراضهم أو منعهم، لذلك سماه الرسول ﷺ (الفاروق)، لأن الله فرق بين الحق والباطل.

لسان الحق:

هو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن علماء الصحابة وزهادهم، وضع الله الحق على لسانه إذ كان القرآن ينزل موافقاً لرأيه. يقول علي بن أبي طالب: إنا كنا لنرى إن في القرآن كلاماً من كلامه ورأياً من رأيه، كما قال عبدالله بن عمر: ما نزل بالناس أمر فقالوا فيه وقال عمر، إلا نزل القرآن بوفاق قول عمر.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون، فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**».

وزاد زكرياء بن أبي زائدة عن سعد عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر**» قال ابن عباس – رضي الله عنهما – : من نبي ولا محدث.

قوة الحق:

كان قوياً في الحق لا يخشى فيه لومة لائم، فقد استأذن عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش، يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن

الحجـاب، فـأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقـال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي ﷺ: **«عجبت من هـؤلاء اللاتـي كـن عـندي، فـلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب»** فقال عمـر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟

فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ.

فقـال رسـول الله ﷺ: **«إيـه يـا ابـن الخطاب، والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً قط إلا سلك فجاً غير فجك»**.

ومـن شـجاعته وهيبته أنه أعلن على مسامع قريش أنه مهاجر بينما كـان المسـلمون يخرجون سـراً، وقال متحدياً لهم: (من أراد أن تثكله أمه وييـتم ولـده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي) فلم يجرؤ أحد على الوقوف في وجهه.

عمر في الأحاديث النبوية:

رُوي عـن الرسـول ﷺ العديـد من الأحاديث التي تبين فضل عمر ابن الخطاب نذكر منها:

«إن الله سـبحانه جعل الحق على لسان عمر وقلبه» .. **«الحق بعدي مـع عمـر حيـث كـان»**، **«لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب»**، **«إن الشـيطان لم يلـق عمـر منذ أسلم إلا خر لوجهه»**. **«ما في السماء ملك إلا وهو يوقر عمر، ولا في الأرض شيطان إلا وهو يفرق من عمر»**.

قال الرسول ﷺ: «**رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة وسمعت خشفاً أمامي، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا بلال، ورأيت قصراً أبيض بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيْرتك**»، فقال عمر: (بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار!).

وقال الرسول ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى إني لأرى الري يجري في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب .. قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: العلم**».

قال الرسول ﷺ: «**بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمصٌ، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما يبلغ أسفل من ذلك، وعُرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: الدين**».

خلافة عمر:

رغب أبو بكر - رضي الله عنه - في شخصية قوية قادرة على تحمل المسؤولية من بعده، واتجه رأيه نحو عمر بن الخطاب فاستشار في ذلك عدداً من الصحابة مهاجرين وأنصاراً فأثنوا عليه خيراً ومما قاله عثمان بن عفان: (اللهم علمي به أن سريرته أفضل من علانيته، وأنه ليس فينا مثله) .. وبناء على تلك المشورة وحرصاً على وحدة المسلمين ورعاية مصلحتهم أوصى أبو بكر الصديق بخلافة عمر من بعده،

وأوضح سبب اختياره قائلاً: (اللهم إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم، وخفت عليهم الفتنة فعملت فيهم بما أنت أعلم، واجتهدت لهم رأياً فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم)، ثم أخذ البيعة العامة له بالمسجد إذ خاطب المسلمين قائلاً: (أترضون بمن استخلف عليكم؟ فوالله ما آليت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قربى، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا) فرد المسلمون: (سمعنا وأطعنا) وبايعوه سنة (١٣هـ).

إنجازاته:

استمرت خلافته عشر سنين تم فيها كثير من الإنجازات المهمة لهذا وصفه ابن مسعود – رضي الله عنه – فقال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً، وكانت إمامته رحمة، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي إلى البيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا.

فهو أول من جمع الناس لقيام رمضان في شهر رمضان سنة (١٤هـ)، وأول من كتب التاريخ من الهجرة في شهر ربيع الأول سنة (١٦هـ)، وأول من عس في عمله، يتفقد رعيته في الليل وهو واضع الخراج، كما أنه مصر الأمصار، واستقضى القضاة، ودون الدواوين، وفرض الأعطية، وحج بالناس عشر حجج متوالية، وحج بأمهات المؤمنين في آخر حجة حجها.

وهدم مسجد الرسول ﷺ وزاد فيه، وأدخل دار العباس بن عبدالمطلب فيما زاد، ووسعه وبناه لما كثر الناس بالمدينة. وهو أول من ألقى الحصى في المسجد النبوي، فقد كان الناس إذا رفعوا رؤوسهم من السجود نفضوا أيديهم، فأمر عمر بالحصى فجيء به من العقيق، فبسط في مسجد الرسول ﷺ.

وعمر – رضي الله عنه – هو أول من أخرج اليهود وأجلاهم من جزيرة العرب إلى الشام، وأخرج أهل نجران وأنزلهم ناحية الكوفة.

الفتوحات الإسلامية:

لقد فتح الله عليه في خلافته دمشق ثم القادسية حتى انتهى الفتح إلى حمص، وجلولاء والرقة والرهاء وحران ورأس العين والخابور ونصيبين وعسقلان وطرابلس وما يليها من الساحل وبيت المقدس وبيسان واليرموك والجابية والأهواز والبربر والبرلس، وقد ذلك لوطأته ملوك الفرس والروم وعتاة العرب حتى قال بعضهم: كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج.

هيبته وتواضعه:

وبلغ – رضي الله عنه – من هيبته أن الناس تركوا الجلوس في الأفنية. وكان الصبيان إذا رأوه وهم يلعبون فروا؛ مع أنه لم يكن جباراً ولا متكبراً، بل كان حاله بعد الولاية كما كان قبلها بل زاد تواضعه. وكان يسير منفرداً من غير حرس ولا حُجاب. ولم يغره الأمر ولم تبطره النعمة.

استشهاده:

كان عمر - رضي الله عنه - يتمنى الشهادة في سبيل الله ويدعو ربه لينال شرفها: (اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك) .. وفي ذات يوم وبينما كان يؤدي صلاة الفجر بالمسجد طعنه أبو لؤلؤة المجوسي (غلاماً للمغيرة بن شعبة) عدة طعنات في ظهره أدت إلى استشهاده ليلة الأربعاء لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة، ولما علم قبل وفاته أن الذي طعنه ذلك المجوسي حمد الله تعالى أن لم يقتله رجل سجد لله تعالى سجدة. ودفن إلى جوار الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق - رضي الله عنه - في الحجرة النبوية الشريفة الموجودة الآن في المسجد النبوي في المدينة المنورة.

***

عمرو بن العاص - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- مناهل العرفان للزرقاني.
- النشر في القراءات العشر.
- فتح الباري، شرح صحيح البخاري، حـ٩، ص٦٣.

«يا عمرو بايع فإن الإسلام يجبُّ ما كان قبله» [١].

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم القرشي وكنيته أبو عبدالله، صحابي جليل قبل إسلامه كان أحد ثلاثة في قريش أتعبوا الرسول ﷺ بعنف مقاومتهم وإيذائهم لأصحابه، وراح الرسول يدعو عليهم ويبتهل لينزل العقاب بهم فنزل الوحي بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [٢].

وكفّ الرسول الكريم عن الدعاء عليهم وترك أمرهم إلى الله، واختار الله لعمرو بن العاص طريق التوبة والرحمة، فأسلم وأصبح مسلماً مناضلاً وقائداً فذاً.

إسـلامه:

أسلم عمرو بن العاص - رضي الله عنه - مع خالد بن الوليد

---

(١) حديث شريف.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

قبيل فتح مكة بقليل، شهر صفر سنة ثمان للهجرة. وبدأ إسلامه على يد النجاشي بالحبشة؛ ففي زيارته الأخيرة للحبشة إذ جاء عمرو بن أمية الضمري، وقد كان رسول الله ﷺ بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. فدخل على النجاشي ثم خرج من عنده، فقال عمرو لأصحابه: هذا عمرو بن أمية، ولو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت به ذلك رأت قريش أن قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد.

قال عمرو راوياً للقصة: فدخلتُ عليه فسجدت له كما كنت أصنع فقال: مرحباً بصديقي، أهديت لي من بلادك شيئاً؟

قلت: نعم؟ قد أهديت لك أدماً كثيراً. ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه ثم قلت له: أيها الملك، قد رأينا رجلاً خرج من عندك، وهو رسول رجلٍ عدو لنا، فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا.

فغضب النجاشي ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره.

قلت: لو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً منه، ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه.

فقال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى؟

قلت: أيها الملك: أكذلك هو؟

قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه، فإنه والله على الحق، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده.

فقلت: أتبايعني على الإسلام؟

قال: نعم.

فبسط يده فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه، فكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً لرسول الله ﷺ في إسلامي، فلقيت خالداً بن الوليد وهو مُقبل من مكة فقلت: أين يا أبا سليمان؟

قال: والله لقد استقام الميسم - أي أن أمر رسول الله قد اكتمل وصح بما نصره الله تعالى به - وإن الرجل لنبي، أذهب والله أسلم! حتى متى؟

قلت: فأنا والله ما جئت إلا للإسلام.

وما كاد الرسول ﷺ يراهم حتى تهلل وجهه وقال لأصحابه: «**لقد رمتكم مكة بفلذات أكبادها**» وتقدم خالد فبايع، وتقدم عمرو فقال: (إني أبايعك على أن يغفر الله لي ما تقدم من ذنبي .. فأجابه الرسول الكريم: «**يا عمرو بايع فإن الإسلام يَجُبُّ ما كان قبله**»، وبايع عمرو ووضع كل ما يملك في خدمة الدين الجديد.

الشام:

ثم بعث إليه رسول الله ﷺ فقال: «**إني أردت أن أوجهك وجهاً،**

وأرغبُ لك رغبةً» .. فقال عمرو: أما المال فلا حاجة لي فيه، ووجهني حيث شئت، فقال رسول الله ﷺ: **«نعمّاً بالمال الصالح للرجل الصالح»** ووجه قبل الشام، وأمره أن يدعو أخوال أبيه العاص من بَلِيّ إلى الإسلام، ويستنفرهم إلى الجهاد، فشخص عمرو إلى ذلك الوجه.

ثم كتب إلى رسول الله ﷺ يستمده، فأمده بجيش فيهم أبو بكر وعمر، وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح فقال عمرو: أنا أميركم فقال أبو عبيدة: أنت أمير من معك، وأنا أمير من معي، وكان معه المهاجرون الأولون، فقال عمرو: إنما أنتم مددي فأنا أميركم، فقال له أبو عبيدة: تعلم يا عمرو أن رسول الله ﷺ عهد إلي فقال: **«إذا قدمت على عمر فتطاوعا ولا تختلفا»** فإن خالفتني أطعتك، قال: فإني أخالفك فسلم له أبو عبيدة، وصلى خلفه.

فضله:

قال طلحة بن عبيدالله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن عمر ابن العاص لرشيد الأمر»**، فقد صحب عمرو بن العاص رسول الله ﷺ واستعمله الرسول الكريم على غزوة ذات السلاسل، وبعثه يوم الفتح إلى سُواع صنم هُذيل فهدمه، وبعثه أيضاً إلى جيفر وعبد ابني الجلندا وكانا من الأزد بعُمان يدعوهما إلى الإسلام، فقبض رسول الله ﷺ وعمرو بعُمان.

كان فزعٌ بالمدينة فأتى عمرو بن العاص على سالم مولى أبي حذيفة

وهو مُحْتَب بحمائل سيفه، فأخذ عمرو سيفه فاحتبى بحمائله فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! ألا كان مفزعكم إلى الله ورسوله**» ثم قال: (ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان).

ذات السلاسل:

بعث رسول الله ﷺ عمراً على جيش ذات السلاسل، إلى لخم وجُذام وكان في أصحابه قلة فقال لهم عمرو: لا يوقدن أحدٌ منكم ناراً فشق ذلك عليهم، فكلموا أبا بكر يكلم لهم عمراً فكلمه فقال: (لا يوقد أحدٌ منكم ناراً إلا ألقيته فيها).

فقاتل العدو فظهر عليهم، فاستباح عسكرهم فقال له الناس (ألا تتبعهم)؟ فقال: لا، إني لأخشى أن يكون لهم وراء هذه الجبال مادة يقتطعون المسلمين.

فشكوه إلى النبي ﷺ حين رجعوا فقال ﷺ: «**صدقوا يا عمرو**»؟ فقال له: إنه كان في أصحابي قلة فخشيت أن يرغب العدو في قتلهم، فلما أظهرني الله عليهم قالوا: أنتبعهم؟ فقلت: أخشى أن يكون لهم وراء هذه الجبال مادة يقتطعون المسلمين. فكأن النبي ﷺ حمد أمره.

الليلة الباردة:

قال عمرو بن العاص: لما بعثني رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل، فاحتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح. فلما قدمنا على رسول الله

ﷺ ذكرت ذلك له فقال: «**يا عمرو: صليت بأصحابك وأنت جُنب**»؟ قلت: نعم يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك وذكرت قول الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾[1]. فتيممت ثم صليت، فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً.

الإمارة:

قُبض رسول الله ﷺ وعمرو بعمان، فخرج منها فقدم المدينة، فبعثه أبو بكر الصديق إلى أحد الأمراء بالشام، فتولى ما تولى من فتحها وشهد اليرموك، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلى مصر فسار إليها ففتح مصر، وولاه عمر مصر إلى أن مات، وولاه عثمان بن عفان مصر سنين، ثم عزله واستعمل عليها عبدالله بن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة فأقام بها.

فلما نشب الناس في أمر عثمان خرج إلى الشام فنزل بها في أرض له بالسبع من أرض فلسطين، حتى قُتل عثمان – رضي الله عنه – فصار إلى معاوية فلم يزل معه يُظهر الطلب بدم عثمان، وشهد معه صفين، ثم ولاه معاوية مصر فخرج إليها فلم يزل بها والياً، وابتنى داراً، ونزلها إلى أن مات بها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٢٩.

حب الإمارة:

مما امتاز به عمرو بن العاص حُبه للإمارة. فشكله الخارجي ومشيته وحديثه كلها تدل على أنه خُلق للإمارة. حتى أن في أحد الأيام رآه أمير المؤمنين عمر وهو مقبل فابتسم لمشيته وقال: ما ينبغي لأبي عبدالله أن يمشي على الأرض إلا أميراً.

والحق أن عمراً لم يبخس نفسه هذا الحق، فمع كل الأحداث الخطرة التي اجتاحت المسلمين، كان عمرو يتعامل معها بأسلوب أمير معه من الذكاء والدهاء ما يجعله واثقاً بنفسه معتزاً بتفوقه، وقد أولاه عمر بن الخطاب ولاية فلسطين والأردن، ثم على مصر طوال حياة أمير المؤمنين.

وعندما علم ابن الخطاب أن عمراً قد اجتاز حد الرخاء في معيشته أرسل إليه محمد بن مسلمة وأمره أن يقاسم عمراً جميع أمواله وأشيائه، فيبقى له نصفها ويحمل معه إلى بيت مال المسلمين بالمدينة النصف الآخر. ولو علم أمير المؤمنين عمر أن حب عمرو للإمارة سيحمله على التفريط في مسئولياته لما أبقاه في الولاية لحظة واحدة.

ذكاؤه ودهاؤه:

كان عمرو بن العاص حاد الذكاء، قوي البديهة عميق الرؤية، حتى أن أمير المؤمنين عمر كان إذا رأى إنساناً عاجز الحيلة، صك كفيه عجباً وقال: (سبحان الله، إن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص إله واحد)

كما كان عمرو بن العاص جريئاً مقداماً، يمزج ذكاءه بدهائه فيظن أنه جبان، بيد أنها سعة حيلة يُخرج بها نفسه من المآزق المهلكة. وكان عمر ابن الخطاب يعرف ذلك فيه. وعندما أرسله إلى الشام قيل له: (إن على رأس جيوش الروم بالشام أرطبوناً) أي قائد وأمير من الشجعان الدهاة. فكان جواب أمير المؤمنين: لقد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب، فلننظر عم تنفرج الأمور.

ولقد انفرجت عن غلبة ساحقة لأرطبون العرب وداهيتهم عمرو ابن العاص على أرطبون الروم الذي ترك جيشه للهزيمة وولى هارباً إلى مصر. ولعل من أشهر المواقف التي يظهر فيها دهاء عمرو موقف التحكيم بين علي ومعاوية، وموقفه من قائد حصن بابليون.

محرر مصر:

كانت مصر من أهم ولايات الإمبراطورية الرومانية. وقد استغل الروم ثرواتها، وحرموا منها السكان، واستباحوا أهلها حتى أصبح الناس في ضيق؛ لأن الروم فرضوا عليهم مذهبهم الديني قسراً. فلما بلغ المصريين أنباء الفتوحات الإسلامية وعدالة المسلمين وسماحتهم، تطلعت أنظارهم إليهم لتخليصهم مما هم فيه. واتجه عمرو بن العاص سنة (١٨ هـ) على رأس جيش من أربعة آلاف مقاتل متجهاً إلى مصر، وأمام شدة المقاومة طلب عمرو المدد من أمير المؤمنين فأرسل إليه أربعة آلاف جندي. وتقدم المسلمون، وحاصروا حصن بابليون لمدة سبعة أشهر وتمكنوا من فتحه.

ثم اتجهوا إلى الإسكندرية فوجدوا مقاومة من حاميتها فامتد حصارها إلى أربعة أشهر وأخيراً فتحت الإسكندرية وعقدت معاهدة الإسكندرية. ولقد كان - رضي الله عنه - حريصاً على أن يباعد أهل مصر وأقباطها عن المعركة، ليظل القتال محصوراً بينه وبين جنود الرومان. وتحدث عمرو مع زعماء الأنصار وكبار أساقفتهم فقال: (إن الله بعث محمداً بالحق وأمره به، وإنه - عليه الصلاة والسلام - قد أدى رسالته، ومضى بعد أن تركنا على الواضحة. وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس، فنحن ندعوكم إلى الإسلام، فمن أجابنا فهو منا له مالنا وعليه ما علينا، ومن لم يُجبنا إلى الإسلام عرضنا عليه الجزية وبذلنا له الحماية والمنعة، ولقد أخبرنا نبينا أن مصر ستفتح علينا، وأوصانا بأهلها خيراً فقال: **«ستُفتح عليكم بعدي مصر، فاستوصوا بقبطها خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً»** فإن أجبتمونا إلى ما ندعوكم إليه كانت لكم ذمة إلى ذمة).

حصن بابليون:

أثناء حربه مع الرومان في مصر، (وفي بعض الروايات التاريخية أنها وقعت في اليرموك) دعاه أرطبون الروم وقائدهم لمحادثته، وكان قد أعطى أوامره لرجاله بإلقاء صخرة فوق عمرو إثر انصرافه من الحصن. ودخل عمرو على القائد لا يريبه منه شيء، وانفض اللقاء، وبينما هو في طريق الخروج لمح فوق أسوار الحصن حركة مريبة حركت فيه الحرص والحذر، وعلى الفور تصرف بشكل باهر.

لقد عاد إلى قائد الحصن في خطوات آمنة مطمئنة ولم يثر شكوكه أمر، وقال للقائد: (لقد بادرني خاطر أردت أن أطلعك عليه: إن معي حيث يقيم أصحابي جماعة من أصحاب الرسول السابقين إلى الإسلام، لا يقطع أمير المؤمنين أمراً دون مشورتهم، ولا يرسل جيشاً من جيوش الإسلام إلا جعلهم على رأس مقاتلته وجنوده، وقد رأيت أن آتيك بهم حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت، ويكونوا من الأمر على مثل ما أنا عليه من بينة).

وأدرك قائد الروم أن عمراً بسذاجة قد منحه فرصة العمر، فليوافقه الآن الرأي، وإذا عاد ومعه هذا العدد من زعماء المسلمين وخيرة رجالهم، أجهز عليهم جميعاً، بدلاً من أن يجهز على عمرو وحده، وألغيت خطة اغتيال عمرو، وودع عمرو بحرارة وابتسم داهية العرب وهو يغادر الحصن، وفي الصباح عاد عمرو على رأس جيشه إلى الحصن ممتطياً صهوة فرسه.

بطريق غزة:

خرج عمرو بن العاص إلى بطريق غزة في نفر من أصحابه، عليه قباءً عليه صدأ الحديد وعمامة سوداء، وفي يده رمح وعلى ظهره ترس. فلما طلع عليه ضحك البطريق وقال: ما كنت تصنع بحمل السلاح إلينا؟

قال: خفت أن ألقى دونك فأكون قد فرطت .. فالتفت إلى أصحابه فقال بيده (عقد الأنملة على إبهامه) أي يشير بها إليهم ثم قال:

مرحباً بك .. وأجلسه معه على سريره وحادثه، فأطال ثم كلمه بكلام كثير، وحاجه عمرو ودعاه إلى الإسلام.

فلما سمع البطريق كلامه وبيانه وأداءه قال بالرومية: (يا معشر الروم أطيعوني اليوم واعصوني الدهر، أمير القوم ألا ترون أني كلما كلمته كلمةً أجابني عن نفسه، لا يقول أشاور أصحابي وأذكر لهم ما عرضت علي، وليس الرأي إلا أن نقتله قبل أن يخرج من عندنا، فتختلف العرب بينها، وينتهي أمرهم، ويعفون من قتالنا .. فقال من حوله من الروم: ليس هذا برأي.

وقد كان دخل مع عمرو بن العاص رجلٌ من أصحابه يعرف كلام الروم، فألقى إلى عمرو ما قال الملك (البطريق) ثم قال الملك: (ألا تخبرني هل في أصحابك مثلك يلبس ثيابك ويؤدي أداءك)؟ فقال عمرو: أنا أكَلُّ أصحابي لساناً وأدناهم أداءً وفي أصحابي من لو كلمته لعرفت أني لست هناك.

قال: فأنا أحب أن تبعث إلي رأسكم في البيان والتقدم والأداء حتى أكلمه، فقال عمرو: أفعل؟

وخرج عمرو من عنده فقال البطريق لأصحابه: (لأخالفنكم، لئن دخل فرأيت منه ما يقول لأضربن عنقه).

فلما خرج عمرو من الباب كبر وقال: (لا أعود لمثل هذا أبداً) وأتى منزله، فاجتمع إليه أصحابه يسألونه، فخبرهم خبره وخبر البطريق،

فأعظم القوم ذلك وحمدوا الله على ما رزق من السلامة.

وكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب فكتب إليه عمر: (الحمد لله على إحسانه إلينا، وإياك والتغرير بنفسك أو بأحد من المسلمين في هذا أو شبهه، وبحسب العلج منهم أن يُكلم في مكان سواءً بينك وبينه، فتأمن غائلته ويكون أكسر) فلما قرأ عمرو كتاب عمر ترحم عليه ثم قال: ليس الأب أبر بولده بأبر من عمر بن الخطاب برعيته.

التحكيم:

في الخلاف بين علي ومعاوية نصل إلى أكثر المواقف شهرة في حياة عمرو، وهو موقفه في التحكيم وكانت فكرة أبي موسى الأشعري (الممثل لعلي) الأساسية هي أن الخلاف بينهما وصل إلى نقطة حرجة، راح ضحيتها الآلاف، فلا بد من نقطة بدء جديدة، تعطي المسلمين فرصة للاختيار بعد تنحية أطراف النزاع. وأبو موسى الأشعري على الرغم من فقهه وعلمه فهو يعامل الناس بصدقه ويكره الخداع والمناورة التي لجأ إليها الطرف الآخر ممثلاً في عمرو بن العاص (ممثل معاوية) الذي لجأ إلى الذكاء والحيلة الواسعة في أخذ الراية لمعاوية.

ففي اليوم التالي لاتفاقهم على تنحية علي ومعاوية وجعل الأمر شورى بين المسلمين، دعا أبو موسى عمراً ليتحدث فأبى عمرو قائلاً: (ما كنت لأتقدمك وأنت أكثر مني فضلاً وأقدم هجرة وأكبر سناً)، وتقدم أبو موسى وقال: (يا أيها الناس: إنا قد نظرنا فيما يجمع الله به ألفة هذه

الأمة ويصلح أمرها، فلم نر شيئاً أبلغ من خلع الرجلين - علي ومعاوية - وجعلها شورى يختار الناس لأنفسهم من يرونه لها، وإني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من أحببتم).

وجاء دور عمرو بن العاص ليعلن خلع معاوية كما تم الاتفاق عليه بالأمس، فصعد المنبر وقال: (أيها الناس: إن أبا موسى قد قال ما سمعتم، وخلع صاحبه، ألا وإني قد خلعت صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي أمير المؤمنين عثمان والمطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)!!

ولم يحتمل أبو موسى المفاجأة، فلفح عمراً بكلمات غاضبة ثائرة، فقد أنفذ أبو موسى الاتفاق وقعد عمرو عن إنفاذه.

فضله:

عن قبيصة بن جابر قال: صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله، ولا أفقه في دين الله، ولا أحسس مدارةٍ منه. وصحبت طلحة بن عبيدالله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل عن غير مسألة منه. وصحبت معاوية بن أبي سفيان فما رأيت رجلاً أثقل حلماً منه. وصحبت عمراً بن العاص فما رأيت رجلاً أبين طرفاً منه، ولا أكرم جليساً ولا أشبه سريرة بعلانية منه. وصحبت المغيرة بن شعبة، فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها.

حكمته:

قال عمرو بن العاص: أربعة لا أملهم أبداً، جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي ما حملتني، وامرأتي ما أحسنت عشرتي.

وقال عمرو لابنه عبدالله: يا بني سلطانٌ عادلٌ خيرٌ من مطر وابل، وأسد حطوم خير من سلطان ظلوم، وسلطان غشوم خيرٌ من فتنة تدوم، يا بني زلة الرجل عظيم يُجبر، وزلة اللسان لا تبقي ولا تذر، يا بني استراح من لا عقل له، فأرسلها مثلاً.

وقال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان: يا أمير المؤمنين لا تكونن لشيء من أمر رعيتك أشد تعهداً منك لخصاصة الكريم حتى تعمل في سدها، ولطغيان اللئيم حتى تعمل في قمعه، واستوحش من الكريم الجائع ومن اللئيم الشبعان؛ فإن الكريم يصول إذا جاع، واللئيم يصول إذا شبع.

وقال عمرو: عجبت من الرجل يفر من القدر وهو مواقعه. ومن الرجل يرى القذاة في عين أخيه ويدع الجذع في عينيه. ومن الرجل يخرج الضغن من نفس أخيه ويدع الضغن في نفسه. وما تقدمت على أمر فلمت نفسي على تقدمي عليه. وما وضعت سري عند أحد فلمته على أن أفشاه، وكيف ألومه وقد ضقت به!

مرض الموت:

لما نزل بعمرو بن العاص الموت قال له ابنه عبدالله: يا أبت إنك

كنت تقول عجباً لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه؟ فصف لنا الموت وعقلك معك!

فقال: يا بني: الموت أجلُّ من أن يوصف، ولكني سأصف لك منه شيئاً أجدني كأن على عنقي جبال رضوى - جبل في المدينة على سبع مراحل - وأجدني كأن في جوفي شوك السلاء، وأجدني كأن نفسي يخرج من ثقب إبرة.

وقيل إن عمراً بن العاص لما كان عند الموت دعا حرسه فقال: (أي صاحب كنت لكم)؟ قالوا: كنت لنا صاحب صدق تكرمنا وتعطينا وتفعل وتفعل.

قال: إنما كنت أفعل ذلك لتمنعوني من الموت - أي الاغتيال - هاهو ذا قد نزل بي فاغنوه عني.

فنظر القوم بعضهم إلى بعض فقالوا: والله ما كنا نحسبك تكلم بالعوراء يا أبا عبدالله، قد علمت أنا لا نغني عنك من الموت شيئاً.

فقال: أما والله لقد قلتها وإني لأعلم أنكم لا تغنون عني من الموت شيئاً، ولكن لأن أكون لم أتخذ منكم رجلاً قط يمنعني من الموت أحب إلي من كذا وكذا، فيا ويح ابن أبي طالب إذ يقول: حرس امرأ أجله.

وفي ليلة الفطر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة، أدركت الوفاة عمراً ابن العاص بمصر حيث كان والياً عليها. وراح يستعرض في لحظات الرحيل حياته فقال: (كنت أول أمري كافراً، وكنت أشد الناس على

رسول الله ﷺ فلو مت يومئذ لوجبت لي النار. ثم بايعت رسول الله ﷺ فما كان في الناس أحد أحب إلي منه، ولا أجل في عيني منه، ولو سئلت أن أنعته ما استطعت، لأني لم أكن أقدر أن أملأ عيني منه إجلالاً له، فلو مت يومئذ لرجوت أن أكون من أهل الجنة. ثم بليت بعد ذلك بالسلطان، وبأشياء لا أدري أهي لي أم علي).

وأوصى عمرو بن العاص ابنه عبدالله يا بني: إذا مت فاغسلني غسلة بالماء، ثم جففني في ثوب، ثم اغسلني الثانية بماء قراح، ثم جففني في ثوب، ثم اغسلني الثالثة بماء فيه شيء من كافور، ثم جففني في ثوب، ثم إذا ألبستني الثياب فأزرّ علي فإني مُخاصم. ثم إذا حملتني على السرير فامش بي مشياً بين المشيتين وكن خلف الجنازة، فإن مقدمها للملائكة وخلفها لبني آدم، فإذا وضعتني في القبر، فسُن علي التراب سناً – أي اجعله مرتفعاً مستطيلاً على وجه الأرض.

ثم رفع بصره إلى السماء في ضراعة مناجياً ربه الرحيم قائلاً: (اللهم لا بريء فاعتذر، ولا عزيز فأنتصر، وإلا تدركني رحمتك أكن من الهالكين) .. وظل في ضراعاته حتى صعدت إلى الله روحه وكانت آخر كلماته: لا إله إلا الله. وتحت ثرى مصر ثوى رفاته، فقد دفن بالمقطم مقبرة أهل مصر، وهو سفح جبل.

***

عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- فتح الباري، ص٩.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- مناهل العرفان، للزرقاني.

أول مواليد المدينة:

«لا يجهل حقه إلا من أعماه الله» [(١)].

كان عبدالله بن الزبير جنيناً في بطن أمه أسماء بنت أبي بكر، وهي تقطع الصحراء اللاهبة مغادرة مكة إلى المدينة على طريق الهجرة العظيم. وما كادت تبلغ (قباء) عند مشارف المدينة حتى جاءها المخاض ونزل المهاجر الجنين أرض المدينة في نفس الوقت الذي كان ينزلها المهاجرون من الصحابة. وحُمل المولود الأول إلى الرسول ﷺ فقبله وحنكه، فكان أول ما دخل جوف عبدالله ريق الرسول الكريم، وحمله المسلمون في المدينة وطافوا به المدينة مهللين مكبرين. فقد كذب اليهود وكهنتهم عندما

---

(١) ابن عباس.

أشاعوا أنهم سحروا المسلمين وسلطوا عليهم العقم، فلن تشهد المدينة منهم وليداً جديداً، فأبطل عبدالله إفك اليهود وكيدهم.

الطفل:

على الرغم من أن عبدالله لم يبلغ مبلغ الرجال في عهد الرسول ﷺ إلا أن الطفل نما ونشأ في البيئة المسلمة. وتلقى من عهد الرسول ﷺ كل خامات رجولته ومبادئ حياته، فكان خارقاً في حيويته وفطنته وصلابته، وكان شبابه طهراً وعفة وبطولة، وأصبح رجلاً يعرف طريقه ويقطعه بعزيمة جبارة، وكانت كنيته أبا بكر مثل جده أبي بكر الصديق.

وقد كُلّم رسول الله في غلمة ترعرعوا، منهم عبدالله بن جعفر، وعبدالله بن الزبير، وعمر بن أبي سلمة فقيل: يا رسول الله، لو بايعتهم فتصيبهم بركتك ويكون بهم ذكر.

فأتى بهم إليه فكأنهم تكعكعوا - أي هابوا - حين جيء بهم إلى النبي ﷺ فاقتحم ابن الزبير أولهم، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«إنه ابن أبيه»**، وبايعوه.

الدم:

أتى عبدالله بن الزبير النبي ﷺ وهو يحتجم، فلما فرغ قال: يا عبدالله، اذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد. فلما برز عن رسول الله ﷺ عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع قال: يا عبدالله، ما صنعت؟ قال: جعلته في أخفى مكان علمت أنه يخاف عن الناس!

قال: لعلك شربته؟!

قال: نعم.

قال: ولم شربت الدم؟! ويلٌ للناس منك. وويلٌ لك من الناس.

فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم وفي رواية أخرى قال الرسول ﷺ: «**ويل لك من الناس، وويلٌ للناس منك، لا تمسك النار إلا قسم اليمين**»، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ (١).

إيمانه:

قال عمر بن عبدالعزيز يوماً لابن أبي مُلكية: صف لنا عبدالله بن الزبير.

فقال: والله، ما رأيت نفساً رُكبت بين جنبين مثل نفسه، ولقد كان يدخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليها، وكان يركع أو يسجد فتقف العصافير فوق ظهره وكاهله، لا تحسبه من طول ركوعه وسجوده إلا جداراً أو ثوباً مطروحاً، ولقد مرت قذيفة منجنيق بين لحيته وصدره وهو يصلي، فوالله ما أحس بها ولا اهتز لها، ولا قطع من أجلها قراءته ولا تعجل ركوعه.

وسئل عنه ابن عباس فقال على رغم ما بينهم من خلاف: كان قارئاً لكتاب الله، مُتبعاً سنة رسوله، قانتاً لله، صائماً في الهواجر من مخافة

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

الله، ابـن حـواري رسـول الله، وأمـه أسماء بنت الصديق، وخالته عائشة زوجة رسول الله، فلا يجهل حقه إلا من أعماه الله).

فضـله:

كـان عـبدالله بـن الـزبير مـن العلماء المجتهدين، وما كان أحد أعلم بالمناسـك منه، وقال عنه عثمان بن طلحة: كان عبدالله بن الزبير لا يُنازعُ في ثلاثـة: شـجاعة، ولا عـبادة، ولا بلاغـة. وقـد تكلم عبدالله بن الزبير يومـاً والـزبير يسـمع فقـال لــه: أي بني! ما زلت تكلم بكلام أبي بكر - رضـي الله عـنه - حـتى ظننـت أن أبا بكر قائمٌ، فانظر إلى من تزوج فإن المرأة من أخيها من أبيها.

وأول مـن كسـا الكعـبة بالديـباج هـو عـبدالله بـن الزبير، وإن كان ليُطيبها حتى يجد ريحها من دخل الحرم.

قـال عمـر بـن قـيس: كـان لابـن الزبير مئة غلام، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه قلت: هذا رجلٌ لم يرد الله طرفة عين، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته قلت: هذا رجلٌ لم يرد الدنيا طرفة عين.

جهـاده:

كـان عـبدالله بـن الـزبير وهـو لم يجاوز السابعة والعشرين بطلاً من أبطـال الفتوح الإسلامية، في فتح إفريقية والأندلس والقسطنطينية .. ففي فـتح إفريقية وقف المسلمون في عشرين ألف جندي أمام عدو قوام جيشه

مائـة وعشـرون ألفاً، وألقى عبدالله نظرة على قوات العدو فعرف مصدر قوتـه الـتي تكمـن في ملـك الـبربر وقـائد الجـيش، الـذي يصـيح بجـنده ويحرضـهم على الموت بطريقة عجيبة، فأدرك عبدالله أنه لا بد من سقوط هذا القائد العنيد، ولكن كيف؟

نـادى عبدالله بعض إخوانه وقال لهم: احموا ظهري واهجموا معي، وشـق الصـفوف المتلاحمة كالسهم نحو القائد حتى إذا بلغه هوى عليه في كـرة واحـدة فهـوى، ثـم اسـتدار بمن معه إلى الجنود الذين كانوا يحيطون بملكهـم فصـرعوهم ثـم صـاحوا: الله أكبر وعندما رأى المسلمون رأيتهم تـرتفع حيـث كـان قـائد البربر يقف، أدركوا أنه النصر فشدوا شدة رجل واحـد وانـتهى الأمـر بنصـر المسلمين. وكانت مكافأة ابن الزبير من قائد جـيش المسـلمين عـبدالله بـن أبي سرح بأن جعله يحمل بشرى النصر إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان – رضي الله عنه – في المدينة بنفسه.

ابن معاوية:

لقـد كـان عـبدالله بن الزبير يرى أن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان آخـر رجل يصلح لخلافة المسلمين إن كان يصلح على الإطلاق. لقد كان يـزيد فاسداً في كل شيء ولم تكن له فضيلة واحدة تشفع له. فكيف يبايعه الـزبير. لقـد قـال كـلمة الـرفض قويـة صـادعة لمعاوية وهو حي، وهاهو يقولهـا لـيزيد بعـد أن أصـبح خـليفة، وأرسـل إلى ابن الزبير يتوعده بشر مصير، هنالك قال ابن الزبير: (لا أبايع السكير أبداً)، ثم أنشد:

ولا ألين لغير الحق أسأله حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

الإمارة:

بُويع لعبدالله بن الزبير بالخلافة سنة أربع وستين، عقب موت يزيد بن معاوية. وظل ابن الزبير أمير للمؤمنين متُخذاً من مكة المكرمة عاصمة خلافته، باسطاً حكمه على الحجاز واليمن والبصرة والكوفة وخُراسان والشام كلها عدا دمشق، بعد أن بايعه أهل هذه الأمصار جميعاً. ولكن الأمويين لا يقر قرارهم ولا يهدأ بالهم، فيشنون عليه حروباً موصولة، حتى جاء عهد عبدالملك بن مروان، حين ندب لمهاجمة عبدالله في مكة واحداً من أشقى بني آدم وأكثرهم قسوة وإجراماً، ذلكم هو الحجاج الثقفي الذي قال عنه الإمام العادل عمر بن عبدالعزيز: (لو جاءت كل أمة بخطاياها، وجئنا نحن بالحجاج وحده، لرجحناهم جميعاً).

الحجاج:

ذهب الحجاج على رأس جيشه ومرتزقته لغزو مكة عاصمة ابن الزبير. وحاصرها وأهلها قُرابة ستة أشهر مانعاً عن الناس الماء والطعام، كي يحملهم على ترك عبدالله بن الزبير وحيداً بلا جيش ولا أعوان، وتحت وطأة الجوع القاتل استسلم الأكثرون، ووجد عبدالله نفسه وحيداً، وعلى الرغم من أن فُرص النجاة بنفسه وبحياته كانت لا تزال مهيأة له، فقد قرر أن يحمل مسؤوليته إلى النهاية وراح يقاتل جيش الحجاج في شجاعة أسطورية وهو يومئذ في السبعين من عمره.

لقد كان وضوح عبدالله – رضي الله عنه – مع نفسه وصدقه مع عقيدته ومبادئه ملازماً له في أشد ساعات المحنة مع الحجاج، فهاهو يسمع فرقة من الأحباش، وكانوا من أمهر الرماة والمقاتلين في جيش ابن الزبير، يتحدثون عن الخليفة الراحل عثمان بحديث لا ورع فيه ولا إنصاف، فعنفهم وقال لهم: (والله ما أحب أن أستظهر على عدوي بمن يُبغض عثمان)، ثم صرفهم ابن الزبير عنه، ولم يبال أن يخسر مائتين من أكفأ الرماة عنده.

الساعات الأخيرة:

وفي الساعات الأخيرة من حياة عبدالله – رضي الله عنه – جرى هذا الحوار بينه وبين أمه العظيمة (أسماء بنت أبي بكر) فقد ذهب إليها ووضع أمامها الصورة الدقيقة لموقفه ومصيره الذي ينتظره فقال لها: يا أماه، خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، فلم يبق معي إلا من ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة، والقوم يعطوني ما أردت من الدنيا، فما رأيك؟

فقالت له أمه: يا بني أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق وتدعو إلى حق، فاصبر عليه حتى تموت في سبيله، ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية، وإن كنت تعلم أنك أردت الدنيا فلبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلكت من قُتل معك.

قال عبدالله: هذا والله رأيي، والذي قمتُ به داعياً يومي هذا، ما

ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، وما دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله، ولكني أحببت أن أعلم رأيك، فتزيدنني قوة وبصيرة مع بصيرتي، فانظري يا أماه فإني مقتول من يومي هذا، لا يشتد جزعك علي، سلمي لأمر الله، فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عمل بفاحشة، ولم يجر في حكم، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني عن عمالي فرضيته بل أنكرته، ولم يكن شيء آثر عندي من رضي ربي .. اللهم! إني لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو به عني.

قالت أمه أسماء: إني لأرجو الله أن يكون عزائي فيك حسناً إن سبقتني إلى الله أو سبقتك، اللهم ارحم طول قيامه في الليل، وظمأه في الهواجر، وبره بأبيه وبي، اللهم إني أسلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيت، فأثبني في عبدالله بن الزبير ثواب الصابرين الشاكرين .. وتبادلا معاً عناق الوداع وتحيته.

الشهيد:

وبعد ساعة من الزمان انقضت في قتال مرير غير متكافئ، تلقى الشهيد ضربة الموت. وكان ذلك في يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين. وأبى الحجاج إلا أن يصلب الجثمان الهامد تشفياً وخسة، وقامت أم البطل وعمرها سبع وتسعون سنة لترى ولدها المصلوب، وبكل قوة وقفت تجاهه لا تريم، واقترب الحجاج منها

قـائلاً: يـا أماه إن أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان قد أوصاني بك خيراً، فهل لك من حاجة؟

فصـاحت بـه قائلـة: لسـت لـك بـأم، إنما أنا أم هذا المصلوب على الثنـية، ومـا بي إليكم حاجة، ولكني أحدثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قـال: «**يخـرج مـن ثقـيف كذاب ومبير**» فأما الكذاب فقد رأيناه، وأما المُبير فلا أراه إلا أنت.

وتقـدم عبدالله بن عمر – رضي الله عنه – من أسماء معزياً وداعياً إياهـا إلى الصـبر، فأجابته قائلة: وماذا يمنعني من الصبر، وقد أُهدي رأس يحيى بن زكريا إلى بغي من بغايا بني إسرائيل.

يـا لعظمـتك يـا ابـنة الصـديق، أهـناك كلمات أروع من هذه تقال للذين فصلوا رأس عبدالله بن الزبير عن جسده قبل أن يصلبوه؟ أجل إن يكـن رأس ابـن الـزبير قـد قُدم هدية للحجاج ولعبدالملك، فإن رأس نبي كـريم هـو يحيى – عليه السلام – قد قدم من قبل هدية لـ(سالومي) بغي حقيرة من بني إسرائيل، ما أروع التشبيه وما أصدق الكلمات.

***

عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- فتح الباري، ص٩؟
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان، للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- مناهل العرفان للزرقاني.

«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل فيكثر» [١].

عبدالله بن عمر بن الخطاب بدأت علاقته مع الإسلام منذ أن هاجر مع والده إلى المدينة وهو غلام صغير. ثم وهو في الثالثة عشرة من عمره حين صحبه والده لغزوة بدر لولا أن رده الرسول ﷺ لصغر سنه، تعلم من والده عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - خيراً كثيراً، وتعلم مع أبيه من الرسول العظيم الخير كله، فأحسنا الإيمان.

محاكاة الرسول ﷺ:

كان عبدالله بن عمر (أبو عبدالرحمن) حريصاً كل الحرص على أن يفعل ما كان الرسول ﷺ يفعله. فيصلي في ذات المكان، ويدعو قائماً

---

(١) حديث شريف.

كالرسـول الكـريم، بل يذكر أدق التفاصيل. ففي مكة دارت ناقة الرسول ﷺ دورتـين قـبل أن ينزل الرسول من على ظهرها ويصلي ركعتين، وقد تكـون الـناقة فعلـت ذلـك بـدون سـبب لكن عبدالله لا يكاد يبلغ نفس المكـان في مكـة حتى يدور بناقته ثم ينيخها ثم يصلي لله ركعتين تماماً كما رأى الرسـول ﷺ يفعـل. وتقـول في ذلك أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر.

حـتى أن الـنبي ﷺ نـزل تحـت شـجرة، فكان ابن عمر يتعاهد تلك الشـجرة فيصـب في أصـلها المـاء لكيلا تيبس، قال رسول ﷺ: «**لو تركنا هذا الباب للنساء**»، فلم يدخل فيه ابن عمر حتى مات.

الجهاد:

أول غزوات عبدالله بن عمر كانت غزوة الخندق، فقد استصغر يوم أحـد، ثـم شـهد ما بعدها من المشاهد، وخرج إلى العراق وشهد القادسية ووقائع الفرس، وورد المدائن، وشهد اليرموك، وغزا إفريقيا مرتين.

يقول عبدالله: عُرضتُ على النبي ﷺ يوم بدر وأنا ابن ثلاث عشرة فـردني، ثـم عرضـت علـيه يـوم أحـد وأنـا ابـن أربـع عشرة فردني، ثم عرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة فأجازني.

وكـان ابـن عمـر رجـلاً آدم جسـيماً ضـخماً، يقـول ابن عمر: إنما جاءتـنا الأدمـة مـن قـبل أخوالي، والخال أنزعُ شيء، وجاءني البُضع من أخوالـي، فهاتـان الخصلتان لم تكونا في أبي – رحمه الله – كان أبي أبيض، لا يتزوج النساء شهوة إلا لطلب الولد.

قيام الليل:

يحدثنا ابن عمر - رضي الله عنهما - رأيت على عهد رسول الله ﷺ كأن بيدي قطعة استبرق، وكأنني لا أريد مكاناً من الجنة إلا طارت بي إليه. ورأيت كأن اثنين أتياني وأرادا أن يذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، فإذا لها قرنان كقرني البئر، فرأيت فيها ناساً قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار أعوذ بالله من النار فلقينا ملكاً فقال: لا ترع، فخليا عني. فقصت حفصة أختي على النبي ﷺ رؤياي فقال رسول الله ﷺ: **«نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل فيكثر»**، ومنذ ذلك اليوم إلى أن لقي ربه لم يدع قيام الليل في حله أو ترحاله.

القرآن:

كان عبدالله مثل أبيه - رضي الله عنهما - تهطل دموعه حين يسمع آيات النذير في القرآن، فقد جلس يوماً بين إخوانه فقرأ: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾[1].

ثم مضى يردد: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾، ودموعه تسيل كالمطر، حتى وقع من كثرة وجده وبكائه.

---

(١) سورة المطففين، الآيات: ١-٦.

قال ابن عمر: (مكثت على سورة البقرة ثماني سنين أتعلمها)، وقال: لقد عشنا بُرهةً من دهرنا وأحدنا يرى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها، وأمرها وزاجرها، وما ينبغي أن نقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن. ثم رأيت اليوم رجالاً لا يرى أحدُهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، وما يدري ما أمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه، فينثر نثر الدقل.

العلم:

كتب رجل إلى ابن عمر فقال: (اكتب إلي بالعلم كله) فكتب إليه ابن عمر: (إن العلم كثيرٌ، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافاً لسانك عن أعراضهم، لازماً لأمر الجماعة فافعل، والسلام).

القضاء:

دعاه يوماً الخليفة عثمان – رضي الله عنهما – وطلب منه أن يشغل منصب القضاء، فاعتذر وألح عليه عثمان فثابر على اعتذاره، وسأله عثمان: أتعصيني؟

فأجاب ابن عمر: كلا ولكن بلغني أن القضاة ثلاثة، قاض يقضي بجهل فهو في النار، وقاض يقضي بهوى فهو في النار، وقاض يجتهد ويصيب فهو كفاف لا وزر ولا أجر، وإني لسائلك بالله أن تعفيني،

وعفاه عثمان بعد أن أخذ عليه عهداً ألا يخبر أحداً؛ لأنه خشي إذا عرف الأتقياء الصالحون أن يتبعوه وينهجوا نهجه.

حــذره:

كان - رضي الله عنه - شديد الحذر في روايته عن الرسول ﷺ فقد قال معاصروه: لم يكن من أصحاب رسول الله أحد أشد حذراً من ألا يزيد في حديث رسول الله ﷺ أو ينقص منه من عبدالله بن عمر.

كما كان شديد الحذر والحرص في الفُتيا، فقد جاءه يوماً سائل يستفتيه في سؤال فأجابه قائلاً: (لا علم لي بما تسأل).

وذهب الرجل إلى سبيله، ولا يكاد يبتعد بضع خطوات عن ابن عمر حتى يفرك ابن عمر كفيه فرحاً ويقول لنفسه: (سئل ابن عمر عما لا يعلم، فقال لا يعلم).

وسأل رجلٌ ابن عمر عن مسألة فطأطأ ابن عمر رأسه، ولم يُجبه حتى ظن الناس أنه لم يسمع مسألته، فقال له: يرحمك الله ما سمعت مسألتي؟ قال: بلى، ولكنكم كأنكم ترون أن الله ليس بسائلنا عما تسألونا عنه، اتركنا يرحمك الله حتى نتفهم في مسألتك، فإن كان لها جوابٌ عندنا، وإلا أعلمناك أنه لا علم لنا به.

جــوده:

كان ابن عمر - رضي الله عنه - من ذوي الدخول الرغيدة الحسنة، إذ كان تاجراً أميناً ناجحاً، وكان راتبه من بيت مال المسلمين

وفيراً. ولكنه لم يدخر هذا العطاء لنفسه قط. إنما كان يرسله على الفقراء والمساكين والسائلين، فقد رآه أيوب بن وائل الراسبي وقد جاءه أربعة آلاف درهم وقطيفة، وفي اليوم التالي رآه في السوق يشتري لراحلته علفاً ديناً، فذهب أيوب بن وائل إلى أهل بيت عبدالله وسألهم، فأخبروه: (إنه لم يبت بالأمس حتى فرقها جميعاً، ثم أخذ القطيفة وألقاها على ظهره وخرج، ثم عاد وليست معه، فسألناه عنها فقال إنه وهبها لفقير).

فخرج ابن وائل يضرب كفاً بكف، حتى أتى السوق وصاح بالناس: (يا معشر التجار، ما تصنعون بالدنيا، وهذا ابن عمر تأتيه آلاف الدراهم فيوزعها، ثم يصبح فيستدين علفاً لراحلته)! كما كان عبدالله بن عمر يلوم أبناءه حين يولمون للأغنياء ولا يأتون معهم بالفقراء ويقول لهم: (تَدْعُون الشباع وتَدَعُون الجياع).

زهـده:

أهداه أحد إخوانه القادمين من خُراسان حُلة ناعمة أنيقة وقال له: لقد جئتك بهذا الثوب من خراسان، وإنه لتقر عيناي إذ أراك تنزع عنك ثيابك الخشنة هذه، وترتدي هذا الثوب الجميل.

قال له ابن عمر: (أرنيه إذن) ثم لمسه وقال: أحرير هذا؟

قال صاحبه: لا، إنه قطن. وتملاه عبدالله قليلاً، ثم دفعه بيمينه وهو يقول: لا إني أخاف على نفسي، أخاف أن يجعلني مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختال فخور.

وأهداه يوماً صديق وعاءً مملوءاً، وسأله ابن عمر: ما هذا؟

قال: هذا دواء عظيم جئتك به من العراق.

قال ابن عمر: وماذا يُطبب هذا الدواء؟

قال: يهضم الطعام.

فابتسم ابن عمر وقال لصاحبه: يهضم الطعام؟ إني لم أشبع من طعام قط منذ أربعين عاماً.

لقد كان عبدالله - رضي الله عنه - خائفاً من أن يقال له يوم القيامة: ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ ، كما كان يقول عن نفسه: (ما وضعت لبنة على لبنة، ولا غرست نخلة منذ توفي رسول الله ﷺ) ويقول: ميمون بن مهران: دخلت على ابن عمر، فقومت كل شيء في بيته من فراش ولحاف وبساط، ومن كل شيء فيه، فما وجدته يساوي مائة درهم.

خوفه:

كان إذا ذُكر عبدالله بن عمر بالدنيا ومتاعها التي يهرب منها يقول: لقد اجتمعت وأصحابي على أمر، وإني لأخاف إن خالفتهم ألا ألحق بهم، ثم يخبر الآخرين أنه لم يترك الدنيا عجزاً، فيرفع يديه إلى السماء ويقول: (اللهم إنك تعلم أنه لولا مخافتك لزاحمنا قومنا قريشاً في هذه الدنيا).

قال ابن عمر: (لقد بايعت رسول الله ﷺ فما نكثت ولا بدلت إلى يومي هذا، ولا بايعت صاحب فتنة، ولا أيقظت مؤمناً من مرقده).

الخلافة:

عرضت الخلافة على ابن عمر - رضي الله عنه - عدة مرات فلم يقبلها، فهاهو الحسن - رضي الله عنه - يقول: (لما قُتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه - قالوا لعبدالله بن عمر: إنك سيد الناس وابن سيد الناس، فاخرج نبايع لك الناس).

قال: إني والله لئن استطعت، لا يُهراق بسببي محجمة من دم.

قالوا: لتخرجن أو لنقتلك على فراشك.

فأعاد عليهم قوله الأول، فأطمعوه وخوفوه فما استقبلوا منه شيئاً.

فقد كان ابن عمر يأبى أن يسعى إلى الخلافة إلا إذا بايعه المسلمون جميعاً طائعين وليس بالسيف، فقد لقيه رجل فقال له: ما أحد شر لأمة محمد منك.

قال ابن عمر: ولم؟ فوالله ما سفكت دماءهم، ولا فرقت جماعتهم، ولا شققت عصاهم.

قال الرجل: إنك لو شئت ما اختلف فيك اثنان.

قال ابن عمر: ما أحب أنها أتتني، ورجل يقول: لا، وآخر يقول: نعم.

واستقر الأمر لمعاوية ومن بعده لابنه يزيد ثم ترك معاوية الثاني ابن يزيد الخلافة زاهداً فيها بعد أيام من توليها، وكان عبدالله بن عمر شيخاً مسناً كبيراً فذهب إليه مروان وقال له: (هلم يدك نبايع لك، فإنك سيد العرب وابن سيدها).

قال له ابن عمر: كيف نصنع بأهل المشرق؟

قال مروان: نضربهم حتى يبايعوا.

قال ابن عمر: والله ما أحب أنها تكون لي سبعين عاماً، ويقتل بسببي رجل واحد .. فانصرف عنه مروان.

موقفه من الفتنة:

رفض - رضي الله عنه - استعمال القوة والسيف في الفتنة المسلحة بين علي ومعاوية. وكان الحياد شعاره ونهجه: من قال حيّ على الصلاة أجبته، ومن قال حي على الفلاح أجبته، ومن قال حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله قلت: لا.

يقول أبو العالية البراء: كنت أمشي يوماً خلف ابن عمر وهو لا يشعر بي فسمعته يقول: واضعين سيوفهم على عواتقهم يقتل بعضهم بعضا يقولون: يا عبدالله بن عمر أعط يدك.

وقد سأله نافع: يا أبا عبدالرحمن، أنت ابن عمر، وأنت صاحب الرسول ﷺ وأنت وأنت فما يمنعك من هذا الأمر - يعني نصرة علي؟

فأجابه قائلاً: يمنعني أن الله تعالى حرم علي دم المسلم، لقد قال عز وجل: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْـنَةٌ وَيَـكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ ، ولقد فعلنا وقاتلنا المشركين حتى كان الدين لله، أما اليوم ففيم نقاتل؟ لقد قاتلت والأوثان تملأ الحرم من الركن إلى الباب، حتى نضاها الله من أرض العرب، أفأقاتل اليوم من يقول لا إله إلا الله؟!

الوصية:

ذُكرت الوصية لابن عمر في مرضه فقال ابن عمر - رضي الله عنه - أما مالي فالله أعلم ما كنت أفعل فيه، وأما رباعي وأرضي فإني لا أحب أن يشارك ولدي فيها أحد. ولما حضر ابن عمر الموت قال: ما آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث: ظمأ الهواجر، ومكابدة الليل، وإني لم أقاتل هذه الفئة التي نزلت بنا - يعني الحجاج.

وفاته:

وقد كف بصر عبدالله بن عمر - رضي الله عنه - آخر عمره، وفي العام الثالث والسبعين للهجرة توفي - رضي الله عنه - بمكة وهو في الخامسة والثمانين من عمره.

***

عبدالله بن السائب - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري، حـ٩.
- كتاب السبعة لابن مجاهد.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن.
- مناهل العرفان للزرقاني.
- طبقات القراء للذهبي.
- كما ذكره الشيخ عبدالفتاح القاضي في ترجمته للإمام ابن كثير المكي.
- الروض الآنف: ج٣، ص١٧٨.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤.

ومنهم السائب بن أبي حبيش بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى، وهو الذي قال فيه عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : (عيباً، وما أحد إلا وأنا أقدر أن أعيبه بعد رسول الله ﷺ) وقد قيل إن هذه المقالة قالها عمر في ابنه عبدالله. والسائب هذا هو أخو فاطمة بنت أبي حبيش المستحاضة. ومنهم خالد بن هشام ذكره بعضهم في المؤلفة قلوبهم.

ومنهم عبدالله بن السائب، واسم أبي السائب صيفي، وقد تقدم قول عمر فيه وفي أبيه وعنه أخذ أهل مكة القراءة وعليه قراء أهل مكة.

عبدالله بن السائب بن صيفي بن عائذ بن عبدالله بن عمر بن مخزوم المخزومي قال البخاري أبو عبدالرحمن بن أبي السائب، كناه الضحاك بن مخلد تقدم في ذكر صيفي إنه أبو السائب، ومضى له ذكر معه. وكان عبدالله من قراء القرآن أخذ عنه مجاهد، ووهم بن منده. فقال القارئ من القارة هذا بعد أن قال فيه المخزومي. والوهم في قوله من القارة إنما هو القارئ بالهمزة، فقد وصفوه بأنه كان قارئ أهل مكة. وقد روى له مسلم حديثاً من رواية محمد بن عباد بن جعفر عنه إنه شهد النبي ﷺ في الفتح قرأ في صلاة السبح سورة المؤمنين، الحديث. وعلقه البخاري لعبد الله بن السائب وأسنده في التاريخ وأسند البخاري بسند صحيح من طريق ابن أبي مليكة، رأيت عبدالله بن عباس وقف على قبر عبدالله بن السائب، قال البغوي قال أبو عبيد كان يسكن مكة. وأخرج له أبو داود والنسائي من رواية عطاء عنه شهدت العيد مع النبي ﷺ الحديث. وحديث سمعت رسول الله ﷺ يقول بين الركنين: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة**» الآية.

وأخرج البغوي في ترجمته من طريق أبي عبيدة بن معين عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد الله بن السائب قال أتيت رسول الله ﷺ بمكة لأبايعه فقلت أتعرفني قال نعم: ألم تكن شريكاً لي مرة؟ الحديث. والمحفوظ أن هذا لأبيه السائب. ولعبدالله بن السائب ذكر في ترجمة أبي

بـرزة في الكـنى ومـات عـبدالله بـن السـائب في مكـة في إمارة ابن الزبير وصلى عليه ابن عباس.

وكـان مـن رواة حديـث الرسـول ﷺ حيـث نقل عنه حديث: قال رسـول الله ﷺ: **«إن لله ملائكـة سـياحين في الأرض يـبلغونى عـن أمـتي السلام»** [1].

***

---

(١) رواه النسـائي وأبو حاتم في صحيحه، وروى نحوه عن أبي هريرة. فهذا فيه أن سلام البعيد تبلغه الملائكة.

فضالة بن عبيد الأنصاري - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري لابن حجر.
- الإتقان للسيوطي.

فضالة بن عبيد بن ناقد بن قيس بن صهيب بن الأصرم بن جحجبي بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي العمري، يكنى أبا محمد.

أول مشاهده أحد، ثم شهد المشاهد كلها. وكان ممن بايع تحت الشجرة، وانتقل إلى الشام، وشهد فتح مصر، وسكن الشام، وولي القضاء بدمشق لمعاوية، استقضاه في خروجه إلى صفين، وقال له: «لم أحبك بها، ولكن استترت بك من النار»، ثم أمره معاوية على جيش، فغزا الروم في البحر، وسبي بأرضهم.

روى عنه حنش الصنعاني، وعمرو بن مالك الجنبي، وعبدالرحمن بن جبير، وابن محيريز، وغيرهم.

أنبأنا إبراهيم بن محمد بن الفقيه وغيره قالوا بإسنادهم إلى أبي عيسى الترمذي: حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن أبي شجاع سعيد بن يزيد، عن خالد بن أبي عمران، عن حنش الصنعاني، عن فضالة بن عبيد قال: اشتريت قلادة يوم خيبر باثني عشر ديناراً، فيها ذهب وخرز، ففصلتها فوجدت فيها أكثر من اثني عشر ديناراً، فذكرت ذلك للنبي ﷺ

فقال: لا تباع حتى تفصل.

وتوفي فضالة سنة ثلاث وخمسين، في خلافة معاوية. وقيل: توفي سنة تسع وستين، فحمل معاوية سريره، وقال لابنه عبدالله. أعني يا بني، فإنك لا تحمل بعده مثله! وكان موته بدمشق، وبقي له بها عقب.

***

قيس بن السكن الأنصاري (أبو زيد)

وقد ذكره كل من:

- مباحث في علوم القرآن، د. صبحي الصالح.
- مناهل العرفان، للزرقاني.
- الأرجوزة المنبهة، للداني.
- الإتقان، للسيوطي.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي.
- النشر في القراءات العشر.
- فتح الباريء، ص٩.
- وقد ذكره ابن الأثير في كتابه (أسد الغابة في أسماء الصحابة) أبو زيد الأنصاري النجاري أحد القراء الأربعة الذين حفظوا القرآن من الأنصار في عهد رسول الله ﷺ، كما ثبت ذلك في حديث أنس بن مالك وهم: (معاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد).

قال أنس: أحد عمومتي.

قال الكلبي: واسم أبي زيد هذا: قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حزم بن جندب بن غنم بن عدي بن النجار شهد بدراً.

قال موسى بن عقبة: واستشهد يوم جسر أبي عبيد، وهي عنده في

سنة أربع عشرة.

وقال بعض الناس: أبو زيد الذي يجمع القرآن سعد بن عبيد، وردوا هذا برواية قتادة عن أنس بن مالك، قال: افتخرت الأوس والخزرج فقالت الأوس: منا غسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبر عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، ومنا الذي اهتز له عرش الرحمن سعد بن معاذ، ومنا الذي جعلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت.

فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ (أبي، وزيد بن ثابت، ومعاذ، وأبو زيد - رضي الله عنهم أجمعين).

***

المغيرة المخزومي

وقد ذكره كل من:

- ابن الجزري.
- طبقات القراء لابن الجزري.
- معرفة القراء الكبار للذهبي.
- تاريخ الإسلام للذهبي.
- أسانيد القراءات العشر.

***

معاذ بن جبل - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- فتح الباري، حـ٩، ص٦٣.
- السبعة لابن مجاهد.
- الإتقان للسيوطي، حـ١.
- النشر في القراءات العشر، حـ١.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- سنن القراء ومناهج المجودين، عبدالعزيز قارئ.
- مناهل العرفان للزرقاني.
- الأحرف السبعة، حسن ضياء الدين عنتر.
- الأرجوزة المنبهة، الداني.

هو أبو عبدالرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، شهد العقبة الثانية، وكان عمره ثماني عشرة سنة.

آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود، شهد بدراً وأحداً والمشاهد التالية مع رسول الله ﷺ، وكان من أحسن الناس خلقاً وخلقاً، كريماً زاهداً في الدنيا، ومن أفقه الصحابة، وأعلمهم بالحلال والحرام، وثالث ثلاثة من الأنصار أفتوا على عهد النبي ﷺ، وأحد الأربعة الذين

جمعوا القرآن في عهده، وهم: (أبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجل يقال له: أبو زيد، ومعاذ.

وقال عنه النبي ﷺ: «**نعم الرجل معاذ**». تراكمت عليه الديون لكرمه وسخائه، فشكاه غرماؤه إلى النبي ﷺ، فطلب منهم النبي ﷺ أن يتصدقوا عليه بهذه الديون، فتصدق البعض ورفض الآخرون. فباع النبي ﷺ أملاك معاذ وقسمها بينهم. وأرسله إلى اليمن قاضياً ومعلماً – فقال له: يا معاذ بم تحكم بينهم؟ قال: بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتابه؟ قال: بسنة رسول الله، قال النبي ﷺ: فإن لم تجد في كتابه وسنة نبيه؟ قال معاذ: أجتهد رأيي فضرب النبي ﷺ صدره وقال: ليهنك العلم أبا عبدالرحمن.

وظل فيها إلى أن توفي النبي ﷺ وتولى الصديق فعاد إلى المدينة وسدد بقية ديونه. رحل إلى الشام في خلافة عمر بن الخطاب، وكان في جيش أبي عبيدة بن الجراح، ولما أصيب أبو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذاً أميراً على الجيش، وأقره عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ثم طعن بعده في نفس السنة فتوفي شهيداً في الأردن عن ثمان وثلاثين سنة.

***

المقداد بن الأسود الكندي - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص ٤٥٤ / ٤٥٥.
- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص١١ و١٥٢، وج٣، ص ٦٧.
- ابن أبي الحديد، شرح النهج، ج١، ص١٧٧ و١٨٦ و١٩٨، وجـ٩، ص٥٥ - ٥٧، وج١٤، ص ٢١٧.
- المجلسي، البحار، جـ٢٠، ص١٤١.
- أعلام الورى، ص٢٠٧.
- ابن عبد ربه، العقد الفريد، جـ٤، ص٢٧٥.
- المسعودي، مروج الذهب، جـ٢، ص٣٤٤.
- ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، جـ١، ص٣٥.
- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٦٣.

نشأته:

هو المقداد بن عمرو، بن ثعلبة، بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني، ولكنه اشتهر باسم آخر، وهو «المقداد بن الأسود الكندي».

كـان والـده عمرو بن ثعلبة من شجعان بني قومه، يتمتع بجرأة عالية فدعـته إلى قتل بعض أفراد بني قومه، فاضطر إلى الجلاء عنهم حفاظاً على نفسـه مـن طلـب الثأر، فلحق بحضرموت، وحالف قبيلة كندة التي كانت تحـتل مكانـة مـرموقة بـين القبائل،وهـناك تـزوج امـرأة منهم، فولدت له المقداد.

نشـأ هـذا الفـتى في ظـل مجـتمع ألـف مقارعـة السـيف، ومطاعـنة الـرماح، فاتصـف بالشـجاعة، حـتى إذا بلـغ سن الشباب، أخذت نوازع الشـوق تشـده إلى مضـارب قومـه في «بهـراء». مـا دفعـه إلى تخطي آداب «الحلـف»، لأنه كان يعتبر أن الحلف لا يعني أكثر من قيد «مهذب» يضعه الحلـيف في عنقه وأعناق بنيه. ولذا لم يكن هو الآخر أسعد حظاً من أبيه، حيـث اقـترف ذنـباً مع مضيفيه و«أخواله»، فاضطر إلى الجلاء عنهم أيضاً نتـيجة خـلاف وقـع بيـنه وبين أبي شمر بن حجر الكندي – أحد زعماء كـندة – فهـرب إلى مكـة. ولمـا وصـل إلـيها، كـان عليه أن يحالف بعض سـاداتها كي يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم، فحالف الأسود بن عبد يغوث الزهـري أحـد جـبابرة قـريش، فتبـناه، وكتـب إلى أبيه يطلب إليه القدوم إلى مكـة، وأصـبح منذ ذلك اليوم يعرف بالمقداد بن الأسود، نسبةً لحليفه، والكندي، نسبةً لحلفاء أبيه.

إسـلامه:

يظهـر مـن مجمـل النصـوص أن المقـداد كـان مـن المـبادرين الأول

لاعتناق الإسلام. حيث ذكر ابن مسعود أن أول من أظهر إسلامه سبعة، وعد المقداد واحداً منهم، إلا أنه كان يكتم إسلامه عن سيده الأسود بن عبد يغوث خوفاً منه على دمه، شأنه شأن بقية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا تحت قبضة قريش عامةً، وحلفائهم خاصة.

ولكن المقداد كان يتحين الفرص للتخلص من رقبة «الحلف» الذي أصبح يشكل بالنسبة له ضرباً من العبودية. وفي السنة الأولى للهجرة، قيضت له الفرصة لأن يلحق بركب النبي ﷺ، وأن يكون واحداً من كبار صحابته المخلصين. فقد عقد رسول الله ﷺ لعمه الحمزة لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعترضوا عير قريش، وكان هو وصاحب له، يقال له عمرو بن غزوان لا زالا في صفوف المشركين، فخرجا معهم يتوسلان لقاء المسلمين، فلما لقيهم المسلمون انحازا إليهم وذهبا إلى المدينة للقاء الرسول ﷺ، حيث كانت بداية الجهاد الطويل.

بين الرسول والمقداد:

وفي وقت كان فيه المسلمون والمهاجرون يعانون وضعاً مادياً صعباً، حيث إنهم كانوا قد تركوا كل ما لديهم في مكة، حل المقداد وجماعة معه في ضيافة الرسول ﷺ، فضلاً عن أن قوافل المهاجرين الجدد لم تنقطع. وكان على النبي ﷺ أن يستقبلهم ويهيئ لهم ما يحتاجون إليه من متطلبات الحياة الضرورية.

وقد لعب دوراً في حركة المسلمين التي كان يقودها النبي ﷺ حيث

إنـه أطلق سراح الحكم بن كيسان، الذي وقع في قبضة المسلمين أسيراً مع عـثمان بن عبدالله، أثناء قيام المسلمين بسرية نخلة، وذلك رداً على اختفاء اثـنين مـن المسـلمين كانـا قـد ضلا الطريق، وتأخرا عن أصحابهم، فظن الناس أن قريشاً قد حبستهما أو قتلتهما. ويحدثنا المقداد عن ذلك فيقول:

أراد أمـير الجـيش أن يضرب عنقه، فقلت دعه نقدم به على رسول الله ﷺ، ولمـا قدمـنا إلى رسـول الله ﷺ، جعـل رسـول الله يدعـوه إلى الإسلام، وأطـال الرسـول ﷺ الكـلام، حـتى طلب منه عمر أن يضرب عنقه، ولكن النبي ﷺ رفض ذلك، حتى أعلن الحكم أخيراً إسلامه.

ومـن مآثـر المقـداد دوره الفـذ في تحويـل المسـار باتجـاه المواجهـة وتصـليب موقـف المسـلمين في موقعـة بـدر الكبرى. وحيث كان التوازن مفقـوداً بين قوات المسلمين وقوات المشركين. وقد جاء في قول المقداد: يا رسـول الله، امـض لأمـر الله فـنحن معـك،و الله لا نقـول كما قالت بنو إسـرائيل لموسـى: إذهـب أنـت وربـك فقـاتلا إنـا هاهنا قاعدون، ولكن اذهـب أنـت وربـك فقـاتلا إنـا معكـم مقاتلون، والذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه.

ثـم طلـب الرسـول ﷺ مـن أصـحابه المشـورة، فتحدث بمثل ذلك سـعد بـن معـاذ، سـيد الأوس، والمهاجـرون، بكـلمات تبعـث في نفوس المسلمين الأمل بالنصر على عدوهم.

ويبدو أن كلمات المقداد كان لها وقع خاص في نفس النبي ﷺ، فإنه

حين سمعها انفرجت أسارير وجهه ابتهاجاً، كما يظهر من حديث ابن مسعود، حيث قال: لقد شهدت مع المقداد مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما طلعت عليه الشمس، ثم قال: فرأيت رسول الله ﷺ يشرق وجهه بذلك وسره وأعجبه.

أما في موقعة أحد، فقد برز المقداد كقائد يتولى إمرة خيل المسلمين إلى جانب الزبير كما جاء في بعض الروايات. ومما يُروى أيضاً أنه كان أحد المسلمين القلائل الذين وقفوا إلى جانب الرسول ﷺ عندما لاذ المسلمون بالفرار وتفرقوا عن رسول الله ﷺ، حيث ذكر أنهم كانوا سبعة، منهم: علي وطلحة والزبير وأبو دجانة، وقد روي عن ابن عباس أنه قال: ولهم خامس وهو عبدالله بن مسعود، ومنهم من أثبت سادساً، وهو المقداد بن عمرو.

كما شارك المقداد في غزوة الغابة التي وقعت في السنة السادسة للهجرة، وتسمى غزوة ذي قرد، وكانت على إثر إغارة عيينة بن حصن بأربعين فارساً على لقاح (إبل حامل) لرسول الله ﷺ وقد أمر رسول الله ﷺ بالخيل لثمانية وهم: المقداد، وأبو قتادة، ومعاذ بن ماعص، وسعد بن زيد، وأبو عياش الزُرقي، ومُحرز بن نضلة،وعكاشة بن محضن وربيعة بن أكتم، إضافة إلى الأمداد الأخرى، فاستنقذوا عشر لقائح، وقتل في هذه المعركة من المسلمين واحد ومن المغيرين خمسة.

الزواج:

كانت مشكلة الشعور بالتفوق العرقي لدى العرب تحول دون شد الأواصر فيما بينهم، فضلاً عن تثبيتها بينهم وبين القوميات الأخرى، فكان العربي الذي ينتمي إلى قبيلة ما، يأنف من تزويج كريمته إلى عربي آخر من جنسه ينتمي إلى قبيلة أخرى يراها دونه في الحسب والنسب، فضلاً عن أن يزوجها إلى رجل حليف، أو غير عربي، فإنه يرى في ذلك مجلبةً للمهانة عليه، بل ومدعاةً للصغار والذلة بين القبائل الأخرى.

وكان المقداد يريد الزواج من ابنة عبدالرحمن، فرفض وأغلظ القول، فقصد الرسول ﷺ يشكو ما أصابه، فزوجه ﷺ ابنة عمه ضباعة بنت الزبير بن عبدالمطلب، وهي التي درجت في أعز بيت في قريش والعرب، وأعز بيت في الإسلام.

الشورى:

وانسحب ذلك الدور الريادي الذي أداه المقداد على من جاء بعد رسول الله ﷺ ما جعل عمر يوكل إليه مهمة جمع أعضاء الشورى، حيث قال له: إن اتفق خمسة وأبى واحد فاضرب عنقه. وإن اتفق أربعة وأبى اثنان فاضرب أعناقهما. وإن اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة، فانظر الثلاثة التي فيها عبدالرحمن، فارجع إلى ما قد اتفقت عليه. فإن أصرت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب أعناقها. وإن مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا على أمر، فاضرب أعناق الستة، ودع المسلمين يختارون: إذا وضعتموني

في حفـرتي، فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم. ولعله إنما أشار إلى المقداد بذلك ليكون ممثلاً للمهاجرين في مراقبة الشورى.

جمع المقـداد أعضـاء الشـورى السـتة في بيـت، ووقـف أبـو طلحة الأنصاري على الباب ومعه خمسون رجلاً متقلدين سيوفهم تنفيذاً لوصية عمـر، أمـا عـبدالرحمن بـن عوف، فقد أمضى أياماً ثلاثة يشاور الناس في أمر الخلافة.

وكـان الـناس قـد انشـطروا بـين مؤيـد لعلي ومؤيد لعثمان، وكان المقداد الأسود وعمار بن ياسر من المؤيدين لعلي والفريق الممثل بابن أبي سرح وابن أبي المغيرة من المؤيدين لعثمان.

أقـبل المقـداد بـن الأسود على الناس فقال:«أيها الناس، اسمعوا ما أقـول، أنـا المقـداد بـن عمـرو، إنكـم إن بايعتم علياً سمعنا وأطعنا، وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا»!

ورد علـيه عـبدالله بن أبي ربيعة المخزوم، وقال: «أيها الناس، إنكم إن بايعـتم عـثمان سمعـنا وأطعـنا، وإن بايعـتم علـياً سمعـنا وعصـينا» فانـتفض المقـداد ورد علـيه فقـال: يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه، ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون.

وهكـذا رد عليه عبدالله بن أبي سرح، وتدخل آخرون، حتى كادت أن تقـع الفتـنة، فوهـب طـلحة حقـه من الشورى لعثمان، والزبير لعلي، وسـعد لعـبدالرحمن، وهكـذا أسـفرت الجولـة هذه عن رجحان بين لعبد

الرحمن، حتى أضحى مركز الثقل.

وفي الجولة الثانية: فقد تمت مبايعة عثمان بعد أن رفض الإمام علي شروط البيعة، وقد عبر علي عن عدم رضاه عن هذه النتيجة، وتسليمه بالأمر الواقع، قائلاً: «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليَّ خاصة».

وكان للمقداد موقف من الشورى تجلى بقوله: «تالله ما رأيت مثل ما أتي إلى أهل هذا البيت بعد نبيهم، وا عجباً لقريش، لقد تركت رجلاً ما أقول ولا أعلم أن أحداً أقضى بالعدل ولا أعلم ولا أتقى منه! أما والله لو أجد أعواناً»، ولذلك اتهمه عبدالرحمن بأنه إنما يثير الفتنة.

ولكن تحرك المقداد لم يتوقف عند هذا الحد، حيث إنه كان في اليوم الأول قد صعد المنبر، وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ﷺ، ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه، جلس أبو بكر دونه بمرقاة، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة، فتكلم الناس في ذلك فقال بعضهم: «اليوم ولد الشر».

***

مسلمة بن مخلد

وقد ذكره كل من:

- مباحث في علوم القرآن.
- الإتقان للسيوطي.
- فتح الباري، جـ٩.

هو مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الأنصاري الخزرجي أبو محمد. فولاه معاوية إمارة مصر سنة ٤٧هـ، ثم أضاف إليه المغرب.

أقره يزيد بن معاوية فاستمر بالإمارة إلى أن توفي بالإسكندرية. هو من جعل بنيان المنائر التي يؤذن فيها في المسجد.

***

مجمع بن حارثة - رضي الله عنه

وقد ذكره كل من:

- مناهل العرفان، الزرقاني.
- مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.
- فتح الباري، جـ٩.
- السبعة لابن مجاهد.
- النشر في القراءات العشر، حـ١.
- الإتقان للسيوطي.

بين فتح مكة وصلح الحديبية:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾ [1]، مرجعه من الحديبية. قال النبي ﷺ: **«لقد أنزت عليّ الليلة آية أحب إلي مما على الأرض»**، ثم قرأها النبي ﷺ عليهم فقالوا هنيئاً مريئاً يا نبي الله.

بين الله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه ﷺ ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [2].

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٥.

عن مجمع بن حارثة الأنصاري – رضي الله عنه – وكان أحد القراء الذين قرؤوا القرآن قال: شهدنا الحديبية فلما انصرفنا عنها إذا الناس ينفرون الأباعر فقال الناس بعضهم لبعض: ما للناس؟

قالوا: أوحى إلى رسول الله ﷺ فخرجنا مع الناس نوجف فإذا رسول الله ﷺ على راحلته عند كراع الغميم فاجتمع الناس عليه فقرأ عليهم: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾، قال: فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: أي رسول الله أو فتح هو؟ قال النبي ﷺ: «**إي والذي نفس محمد بيده إنه لفتح**»، قسمت خيبر على أهل الحديبية لم يدخل معهم فيها أحد إلا من شهد الحديبية فقسمها رسول الله ﷺ ١٨ سهماً وكان الجيش ألفاً وخمسمائة منهم ثلاثمائة فارس فأعطي الفارس سهمين وأعطي الرجل سهماً.

وعن عبدالرحمن بن أبي علقمة قال سمعت عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – يقول: لما أقبلنا من الحديبية عرسنا فنمنا فلم نستيقظ إلا والشمس قد طلعت فاستيقظنا ورسول الله ﷺ نائم، قال: فقلنا أيقظوه فاستيقظ النبي ﷺ فقال: «**افعلوا ما كنتم تفعلون، وكذلك يفعل من نام أو نسي**»، قال: وفقدنا ناقة رسول الله ﷺ فطلبناها فوجدناها قد تعلق خطامها بشجرة، فأتيته بها فركبها. فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي وكان إذا أتاه الوحي اشتد عليه فلما سري عنه أخبرنا أنه أنزل عليه ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ ﴾.

***

أم سلمة - هند بنت أبي أمية - أم المؤمنين

وقد ذكرها كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- فتح الباري، لابن حجر، جـ٩.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان، للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن.
- مناهل العرفان.

«أم سلمة أول المهاجرات إلى الحبشة وأول المهاجرات إلى المدينة»[1].

أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد وبنت عم أبي جهل عدو الله أبوها يلقب بـ(زاد الراكب) فكل من يسافر معه يكفيه المؤن ويغنيه.

ولدت في مكة قبل البعثة بنحو سبعة عشر سنة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت قريباً من خمس وثلاثين سنة عندما تزوجها النبي الكريم سنة أربع للهجرة. وكانت قبل الرسول ﷺ عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبدالأسد المخزومي الرجل الصالح.

---

(١) أعلام النبلاء.

الهجرة إلى الحبشة:

أم سـلمة – رضي الله عنها – امرأة ذات شرف في أهلها، وهي ابنة أحـد أجـود رجال العرب، جادت بنفسها في سبيل إيمانها، فكان أول من خـرج من المسلمين إلى الحبشة من بني مخزوم أبو سلمة بن عبدالأسد، معه امـرأته أم سـلمة بنت أبي أمية. وولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سـلمة، وتعـود أم سلمة مع زوجها إلى مكة مستخفية عن أنظار الظالمين، وتصـبر في سـبيل الله وتوحـيده، حـتى آذن الله لهـم بالهجـرة إلى المديـنة المنورة.

الهجرة إلى المدينة:

تروي أم سلمة – رضي الله عنها – قصة هجرتها إلى المدينة فتقول: لـما أجمـع أبـو سلمة الخروج إلى المدينة رحَّل بعيراً لـه، وحملني وحمل معي ابـني سـلمة. ثـم خـرج يقـود بعـيره، فلما رآه رجال بني المغيرة قاموا إليه فقـالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرأيت صاحبتنا هذه، علام نتركك تسير بهـا في البلاد؟ ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني، فغضب عند ذلك بـنو عبدالأسـد، وأهـووا إلى سـلمة وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها، إذا نزعتموها من صاحبنا.

فـتجاذبوا ابـني سـلمة حـتى خلعـوا يده، وانطلق به بنو عبدالأسد، ورهـط أبـي سلمة، وحبسني بنو المغيرة عندهم. وانطلق زوجي أبو سلمة حتى لحق بالمدينة، ففرق بيني وبين زوجي وابني.

فكنت أخرج كل غداة، وأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي سبعاً أو قريبها. حتى مر بي رجل من بني عمي فرأى ما في وجهي، فقال لبني المغيرة: (ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها)؟ فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت.

ورد علي بنو عبدالأسد عند ذلك ابني .. فرحَّلت بعيري، ووضعت ابني في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة. وما معي من أحد من خلق الله، فكنت أبلغ من لقيت، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبدالدار، فقال: (أين يا بنت أبي أمية)؟

قلت: أريد زوجي بالمدينة.

فقال: هل معك أحد؟

فقلت: لا والله إلا الله، وابني هذا؟

فقال: والله مالك من منزل .. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يقودني، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب أراه أكرم منه، وإذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحى إلى الشجرة، فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه ورحَّله ثم استأخر عني وقال: اركبي.

فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه، فقادني حتى نزلت، فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: إن زوجك في هذه القرية.

وكان أبو سلمة نازلاً بها، فيستقبل أبو سلمة وابنه معها، بكل بهجة

وسرور، وتلتقي الأسرة المهاجرة بعد تفرق وتشتت وأهوال.

وفاة أبو سلمة:

ويشهد أبو سلمة غزوة أحد، ويصاب بسهم في عضده، ومع أنه ظن أنه التأم، عاد وانفض جرحه فأخلد إلى فراشه، تمرضه أم سلمة إلى أن حضره الأجل وتوفاه الله .. وقد قال عند وفاته: (اللهم اخلفني في أهلي بخير) فأخلفه الله تعالى رسوله ﷺ على زوجته أم سلمة بعد انقضاء عدتها حيث خطبها وتزوجها، فصارت أماً للمؤمنين، وصار الرسول ﷺ ربيب بنيه (عمر وسلمة وزينب).

البيت النبوي:

كان الرسول ﷺ عند أم سلمة، فدخل عليها الحسن والحسين – رضي الله عنهما – ثم أدخلهما تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله عز وجل ثم قال: «**هؤلاء أهل بيتي**» فقالت أم سلمة – رضي الله عنها يا رسول الله، أدخلني معهم! فقال ﷺ «**أنت من أهلي**»، وبهذا أدخل على نفسها الطمأنينة. وكان ﷺ يهتم بأبنائها كأنهم أبناؤه فربيبته زينب بنت أبي سلمة أصبحت من أفقه نساء أهل زمانها، وبلغ من إعزازه ﷺ لربيبه سلمة بن أبي سلمة أن زوجه بنت عمه الشهيد حمزة بن عبدالمطلب – رضي الله عنه.

المشاركة في الغزوات:

لقد صحبت أم المؤمنين أم سلمة الرسول ﷺ في غزوات كثيرة.

فكانت معه في غزوة خيبر وفي فتح مكة وفي حصاره للطائف، وفي غزوة هوازن وثقيف، ثم صحبتهُ في حجة الوداع.

ففي السنة السادسة للهجرة صحبت أم سلمة – رضي الله عنها – النبي ﷺ في غزوة الحديبية، وكان لها مشورة لرسول الله ﷺ أنجت بها أصحابه من غضب الله ورسوله؛ وذلك حين أعرضوا عن امتثال أمره. فعندما فرغ الرسول ﷺ من قضية الصلح قال لأصحابه: «**قوموا فانحروا ثم احلقوا**»، فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم أحد دخل ﷺ على أم سلمة فذكر لها ما لقي من عدم استجابة الناس، وما في هذا من غضب لله ولرسوله، ومن تشفي قريش بهم، فألهم الله أم سلمة – رضي الله عنها – لتنقذ الموقف فقالت: (يا نبي الله، أتحب ذلك)؟ – أي يطيعك الصحابة – فأومأ لها بنعم. فقالت: أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلق لك.

فخرج الرسول ﷺ فلم يُكلم أحداً، ونحر بُدْنهُ، ودعا حالقهُ فحلق به. فلما رأى الصحابة ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق لبعض، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، وبذلك نجا الصحابة من خطر مخالفة رسول الله ﷺ.

أم سلمة وعائشة:

لقد كان لأم سلمة – رضي الله عنها – مشورة ثانية لأم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – وذلك حين عزمت الخروج لعلي بن أبي

طالـب – رضي الله عنه – فكتبت لها في عُنف وإنكار شديد فقالت: إنك سُـدةٌ بـين رسول الله ﷺ وأمته، وحجابك مضروبٌ على حرمته، قد جمع القـرآن الكـريم ذيلـك، فلا تندحيه، وسكن الله عقيرتك فلا تصحريها – أي صـوتك لا ترفعـيه – الله مـن وراء هـذه الأمة. ما كنت قائلة لرسول الله ﷺ لـو عارضك بأطراف الجبال والفلوات؟ ولو أتيت الذي تريدين، ثـم قـيل لي ادخلي الجنة لاستحييت أن ألقى الله هاتكة حجاباً قد ضربه علي وذكرت كلاماً تحرضها فيه على عدم الخروج.

فكتبـت لهـا السـيدة عائشـة – رضـي الله عـنها – تقـول: ما أقبلني لوعظـك، ومـا أعـلمني بنصـحك، ولـيس مسيري على ما تظنين، ولنعم المطلع ملطعٌ فزعت فيه إلى فئتين متناجزتين.

وفاتها:

كانـت أم سـلمة – رضـي الله عـنها – آخـر مـن مـات من أمهات المؤمـنين، فتوفيت سنة إحدى وستين من الهجرة وعاشت نحواً من تسعين سنة.

***

أم ورقة بنت عبدالله الأنصارية - رضي الله عنها

وقد ذكرها كل من:

- فتح الباري.
- الإتقان، للسيوطي.

بشرها الرسول ﷺ بالشهادة وهي في بيتها – رضي الله عنها.

هي أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث بن عويمر بن نوفل الأنصارية. وقيل: أم ورقة بنت نوفل، وهي مشهورة بكنيتها. وكان الرسول ﷺ يزورها ويسميها الشهيدة.

فضلها:

أم ورقة الأنصارية واحدة من الأنصاريات اللائي سطرن أروع الصفحات في تاريخ الإسلام، وقد أسلمت مع السابقات، وكانت من فضليات نساء عصرها، ومن كرائم نساء المسلمين.

نشأت على حب كتاب الله تعالى وراحت تقرأ آياته أناء الليل وأطراف النهار حتى غدت إحدى العابدات الفاضلات. فجمعت القرآن وكانت تتدبر معانيه، وتتقن فهمه وحفظه، كما كانت قارئة مجيدة للقرآن، واشتهرت بكثرة الصلاة. وكان رسول الله ﷺ يقدر أم ورقة ويعرف مكانتها ويكبر حفظها وإتقانها، ويأمر بأداء الصلاة في بيتها.

مشاركتها في الجهاد مع رسول الله ﷺ:

وأما عن حبها - رضي الله عنها - للجهاد والشهادة في سبيل الله فهاهي تحدثنا عن ذلك فتقول: إن النبي ﷺ لما غزا بدراً قلت له: ائذن لي في الغزو معك، أمرض مرضاكم لعل الله أن يرزقني الشهادة.

قال: قري في بيتك فإن الله تعالى يرزقك الشهادة. وعادت الصحابية العابدة أم ورقة إلى بيتها سامعة مطيعة أمر النبي ﷺ لأن طاعته واجبة.

وغدت أم ورقة - رضي الله عنها - تعرف بهذا الاسم المعطارة «الشهيدة» بسبب قوله ﷺ: **«قري في بيتك فإن الشهادة»** ولما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة أن النبي ﷺ كان إذا أراد زيارتها اصطحب معه ثلة من أصحاب له قائلاً: **«انطلقوا بنا نزور الشهيدة»**.

وظلت الصحابية الجليلة أم ورقة - رضي الله عنها - تحافظ على شعائر الله تعالى طوال حياة رسول الله ﷺ وكانت تنتظر ما بشرها الرسول ﷺ. وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو راض عن أم ورقة. ثم جاء عهد أبي بكر - رضي الله عنه - فتابعت حياة العبادة والتقوى على الصورة التي كانت عليها من قبل.

تحقق بشارة الرسول ﷺ لها بالشهادة:

في عهد عمر كان - رضي الله عنه - يتفقدها ويزورها اقتداء بنبيه ﷺ. وقد كانت أم ورقة تملك غلاماً وجارية، كانت قد وعدتهما بالعتق

بعد موتهما، فسولت لهما نفساهما أن يقتلا أم ورقة. وذات ليلة قاما إليها فغمياها وقتلاها، وهربا. فلما أصبح عمر - رضي الله عنه - قال: والله ما سمعت قراءة خالتي أم ورقة البارحة فدخل الدار فلم ير شيئاً، فدخل البيت فإذا هي ملفوفة في قطيفة في جانب البيت فقال: صدق الله ورسوله. ثم صعد المنبر فذكر الخبر، وقال: علي بهما، فأتى بهما فكانا أول مصلوبين في المدينة.

فرحم الله تعالى الصحابية الأنصارية والشهيدة العابدة أم ورقة - ورضي الله عنها وأرضاها.

الأحاديث التي رويت عنها:

قول عمر: صدق رسول الله ﷺ حين كان يقول: «**انطلقوا بنا نزور الشهيدة**»، وروي عنها. روي حديثها الوليد بن عبدالله بن جميع عن جدته ليلى بنت مالك عن أبيها عن أم ورقة وقيل: عن الوليد عن جده عن أم ورقة ليس بينهما أحد والوليد عن عبدالرحمن بن خلاء عن أم ورقة وقيل عن عبدالرحمن بن خلاء عن أبيه عن أم ورقة قالت استأذنت رسول الله ﷺ في الغزو معه يوم بدر قلت هذا الذي حكاه هنا موافق لما في الأصول وهو يناقض قوله في حرف الجيم أن الوليد بن عبدالله بن جميع رواه عن جده عن أم ورقة وقد نسبت في رواية أخرى إلى جد أبيها فقال: عن أم ورقة بنت نوفل.

فرحم الله تعالى الصحابية الأنصارية والشهيدة العابدة - ورضي عنها وأرضاها.

***

حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما

وقد ذكرها كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- فتح الباري.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان، للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن.
- مناهل العرفان.

«هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ» (١).

السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - ولدت قبل المبعث بخمسة أعوام، وتزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث من الهجرة، بعد أن توفي زوجها المهاجر (خنيس بن حذافة السهمي) الذي توفي من آثار جراحة أصابته يوم أحد، وكان من السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة وعاد إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً، فترمَّلت ولها عشرون سنة.

الزواج المبارك:

تألم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لابنته الشابة كثيراً، وبعد انقضاء عدتها، أخذ يفكر لها بزوج جديد. ولما مرت الأيام ولم يخطبها

---

(١) السيدة عائشة - رضي الله عنها.

أحد قام بعرضها على أبي بكر - رضي الله عنه - فلم يُجبه بشيء، وعرضها على عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فقال: (بدا لي اليوم ألا أتزوج)، فوجد عليهما وانكسر. وشكا حاله إلى الرسول ﷺ فقال له: «**يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة**».

ولكن عمر - رضي الله عنه - من الهمّ لم يفهم معنى كلام الرسول الكريم، إلا أن الرسول ﷺ خطبها ونال عمر شرف مصاهرة النبي ﷺ وزوج النبي عثمان بابنته (أم كلثوم) بعد وفاة أختها (زينب). وبعد أن تم الزواج لقي أبو بكر عمر - رضي الله عنهما - فاعتذر له وقال: (لا تجد علي، فإن رسول الله ﷺ كان قد ذكر حفصة، فلم أكن لأفشي سره، ولو تركها لتزوجتها).

بيت الزوجية:

ودخلت حفصة بيت النبي ﷺ ثالثة الزوجات في بيوتاته - عليه الصلاة والسلام - بعد سودة وعائشة، أما سودة فرحبت بها راضية. وأما عائشة فحارت ماذا تصنع بابنة الفاروق عمر. وسكتت أمام هذا الزواج المفاجئ، الذي تقتطع فيه حفصة ثلث أيامها مع الرسول ﷺ ولكن هذه الغيرة تضاءلت مع قدوم زوجات أخريات، فلم يسعها إلا أن تصافيها الود، وتسر حفصة لود ضرتها عائشة. وعندها حذر عمر بن الخطاب ابنته من هذا الحلف الداخلي، ومن مسايرة حفصة لعائشة المدللة. فقال لها: (يا حفصة، أين أنت من عائشة، وأين أبوك من أبيها)؟

الجرأة الأدبية:

سمع عمر - رضي الله عنه - يوماً من زوجته أن حفصة تراجع الرسول ﷺ بالكلام، فمضى إليها غاضباً، وزجرها قائلاً: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بُنية! لا يغرنك هذه التي أعجبها حسنها وحب الرسول ﷺ إياها، والله لقد علمت أن رسول الله ﷺ لولا أنا لطلقك.

ولكن على الرغم من تحذير أبيها لها، كانت تتمتع حفصة بجرأة أدبية كبيرة، فقد كانت كاتبة ذات فصاحة وبلاغة. ولعل هذا ما يجعلها تبدي رأيها ولو بين يدي الرسول ﷺ. فقد روي أن الرسول ﷺ قد ذكر عند حفصة أصحابه الذين بايعوه تحت الشجرة فقال: «**لا يدخل النار إن شاء الله أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها**».

فقالت حفصة: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة الآية الكريمة: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ﴾[1] فقال الرسول ﷺ: قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧١.

(٢) سورة مريم، الآية: ٧٢.

الطلاق:

طلق الرسول ﷺ حفصة طلقةً رجعية، وذلك لإفشائها سراً استكتمها إياه، فلم تكتمه. وقصة ذلك أن النبي ﷺ خلا يوماً بمارية - رضي الله عنها - في بيت حفصة. فلما انصرفت مارية دخلت حفصة حجرتها وقالت للنبي ﷺ لقد رأيت من كان عندك، يا نبي الله لقد جئت إلي شيئاً ما جئت إلى أحد من أزواجك في يومي وفي دوري وفي فراشي، ثم استعبرت باكية، فأخذ الرسول ﷺ باسترضائها فقال: «**ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها**»؟

قالت: بلى فحرمها وقال لها: «**لا تذكري ذلك لأحد**» .. ورضيت حفصة بذلك. وسعدت ليلتها بقرب النبي ﷺ حتى إذا أصبحت الغداة، لم تستطع على كتمان سرها، فنبأت به عائشة، فأنزل الله تعالى قوله الكريم مؤدباً لحفصة خاصة ولنساء النبي عامة: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣ ﴾[1].

فبلغ ذلك عمر فحثا التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها .. فنزل جبريل - عليه السلام - من الغد على النبي ﷺ فقال: (إن الله يأمرك أن تُراجع حفصة رحمة بعمر) وفي رواية أن جبريل قال: (أرجع حفصة، فإنها صوامة قوامة، وإنها زوجتك في الجنة).

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٣.

اعتزال النبي ﷺ لنسائه:

اعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً، وشاع الخبر أن النبي ﷺ قد طلق نساءه، ولم يكن أحد من الصحابة يجرؤ على الكلام معه في ذلك، واستأذن عمر عدة مرات للدخول على الرسول ﷺ فلم يؤذن له، فذهب مسرعاً إلى بيت حفصة، فوجدها تبكي فقال: لعل رسول الله ﷺ قد طلقك؟ إنه كان قد طلقك مرة، ثم راجعك من أجلي، فإن كان طلقك مرة أخرى لا أكلمك أبداً.

ثم ذهب ثالثة يستأذن في الدخول على الرسول ﷺ فأذن له، فدخل عمر والنبي ﷺ متكئ على حصير قد أثر في جنبه، فقال عمر: أطلقت يا رسول الله نساءك؟

فرفع ﷺ رأسه وقال: «لا».

فقال عمر: الله أكبر .. ثم أخذ عمر – وهو مسرور – يهون على النبي ﷺ ما لاقى من نسائه، فقال عمر: الله أكبر! لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلبُ النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتي يوماً، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن راجعتك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن

يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذاً هي قد هلكت؟ فتبسم رسول الله ﷺ.

فقال عمر: يا رسول الله، قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جاريتك - يعني عائشة - هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك)، فتبسم الرسول ﷺ ثانية، فاستأذن عمر - رضي الله عنه - بالجلوس فأذن له.

وكان ﷺ أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً من شدة مَوْجِدَتِهِ عليهن، حتى عاتبه الله تعالى ونزلت هذه الآية في عائشة وحفصة؛ لأنهما البادئتان في مظاهرة النبي ﷺ والآية التي تليها في أمهات المؤمنين قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ مُّؤْمِنَـٰتٍ قَـٰنِتَـٰتٍ تَـٰٓئِبَـٰتٍ عَـٰبِدَٰتٍ سَـٰٓئِحَـٰتٍ ثَيِّبَـٰتٍ وَأَبْكَارًا ۝﴾ [1].

فما كان منهن وآيات الله تتلى على مسامعهن إلا أن قلن: قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وارثة المصحف:

لقد عكفت أم المؤمنين حفصة على تلاوة المصحف وتدبره والتأمل فيه، مما أثار انتباه أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - مما جعله يُوصي

---

(١) سورة التحريم، الآيتان: ٤، ٥.

إلى ابنته (حفصة) بالمصحف الشريف الذي كُتب في عهد أبي بكر الصديق بعد وفاة النبي ﷺ، وكتابته. كانت على العرضة الأخيرة التي عارضها له جبريل مرتين في شهر رمضان من عام وفاته ﷺ. ولما أجمع الصحابة على أمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان في جمع الناس على مصحف إمام ينسخون منه مصاحفهم، أرسل أمير المؤمنين عثمان إلى أم المؤمنين حفصة – رضي الله عنها – أن أرسلي إلينا بالصُحف ننسخها في المصاحف .. فحفظت أم المؤمنين الوديعة الغالية بكل أمانة، وصانتها ورعتها.

وفاتها:

وبقيت حفصة عاكفة على العبادة، صوامة قوامة إلى أن توفيت أول ما بويع معاوية سنة إحدى وأربعين، وشيعها أهل المدينة إلى مثواها الأخير في البقيع مع أمهات المؤمنين – رضي الله عنهن.

***

عائشة بنت أبي بكر الصديق- رضي الله عنها

وقد ذكرها كل من:

- السبعة لابن مجاهد.
- النشر في القراءات العشر.
- الإتقان، للسيوطي.
- مباحث في علوم القرآن.
- مناهل العرفان.

«أنـزل الله بـراءتك مـن فوق سبع سمواته، فليس مسجد يُذكر الله فيه إلا وشأنك يُتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار» [1].

هـي عائشة بنت أبي بكر الصديق، عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامـر مـن ولـد تيم بن مرة، ولدت السيدة عائشة بعد البعثة بأربع سنين، وعقـد علـيها رسـول الله ﷺ قـبل الهجرة بسنة، ودخل عليها بعد الهجرة بسنة أو سنتين، وقُبض عنها الرسول الكريم وهي بنت ثماني عشرة سنة، وعاشـت سـتاً وسـتين سـنة، وحفظـت القـرآن الكـريم في حياة الرسول وروت عن النبي ﷺ ألفي حديث ومائتين وعشرة أحاديث.

الرؤيا المباركة:

قـال الرسـول ﷺ: **«أريتُكِ – وهو يخاطب عائشة – في المنام ثلاث**

---

(١) ابن عباس.

ليالي، جاءني بك الملك في سَرَقة من حرير، وهو الحرير الأبيض، فيقول: هذه امرأتك فأكشف عن وجهك فإذا أنت هي؟ فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه».

الخطبة:

عندما ذكرت خولة بنت حكيم لرسول الله ﷺ اسم عائشة لتخطبها له، تهلل وجهه الشريف لتحقق الرؤيا المباركة، ولرباط المصاهرة الذي سيقرب بينه وبين أحب الناس إليه. دخلت خولة إلى بيت أبي بكر، فوجدت أم عائشة فقالت لها: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟

قالت أم عائشة: وما ذاك؟

أجابت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبُ له عائشة.

فقالت: وددت، انتظري أبا بكر فإنه آتٍ.

وجاء أبو بكر فقالت له: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؟ أرسلني رسول الله ﷺ أخطبُ له عائشة.

فذكر أبو بكر موضعه من الرسول ﷺ وقال: وهل تصلح له؟ إنما هي ابنة أخيه؟

فرجعت خولة إلى الرسول ﷺ فقالت له ذلك، فقال: «**ارجعي إليه فقولي: أنت أخي في الإسلام، وأنا أخوك، وبنتك تصلحُ لي**».

فذكرت ذلك لأبي بكر فقال: انتظريني حتى أرجع .. فذهب ليتحلل من عدة للمطعم بن عدي، كان ذكرها على ابنه. فلما عاد أبو

بكر قال: قد أذهب الله العدة التي كانت في نفسه من عدته التي وعدها إياه، ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته وجاء، فأنكحه، فحصلت قرابة النسب بعد قرابة الدين.

العروس المباركة:

وبعد أن هاجر الرسول ﷺ والمؤمنون إلى المدينة، وحين أتى الميعاد، أسرع الأصحاب من الأنصار وزوجاتهم إلى منزل الصديق حيث كانت تقوم فيه العروس المباركة، فاجتمعت النسوة إلى آل الصديق يهيئن العروس لتزف إلى زوجها (سيد الخلق)، وبعد أن هيأنها وزففنها، دخلت (أم الرومان) أم عائشة بصحبة ابنتها العروس إلى منزل الرسول ﷺ من دار أبي بكر، وقالت: هؤلاء أهلك، فبارك الله لك فيهن، وبارك لهن فيك.

وتنقضي ليلة الزفاف في دار أبي بكر (في بني الحارث بن الخزرج) ثم يتحول رسول الله ﷺ بأهله إلى البيت الجديد، وهو حجرة من الحجرات التي شُيدت حول المسجد.

حديث الإفك:

حديث الإفك خطير أفظع الخطر في مضمونه ومحتواه، فمضمونه: العداء للإسلام والمسلمين. ومحتواه: قذف عرض النبي ﷺ وإشاعة مقالة السوء في أهله الأطهار. وأغراضه: إكراه الرسول ﷺ والمهاجرين على الخروج من المدينة. وأهدافه: إزالة آثار الإسلام والإيمان من قلوب الأنصار.

الحادثة:

وفي غزوة المصطلق سنة ست للهجرة، تقول السيدة عائشة: فلما فرغ الرسول ﷺ من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل الناس، وخرجت لبعض حاجاتي وفي عنقي عقد لي. فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه، فالتمسته حتى وجدته. وجاء القوم خلافي، الذين كانوا يُرحلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير، ولم يشكوا أني فيه، ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، قد انطلق الناس.

فتلففت بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدت لرُجع إلي. فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خلفك يرحمك الله؟

فما كلمته، ثم قرب البعير فقال: اركبي، واستأخر عني فركبت

وأخذ برأس البعير فانطلق سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت. ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بي، فقال أهل الإفك ما قالوا: فارتعج العسكر، والله ما أعلم بشيء من ذلك.

مرض عائشة:

وفي المدينة مرضت السيدة عائشة مرضاً شديداً، ولم تعلم بالحديث الذي وصل للرسول ﷺ وأبويها إلا أنها قد أنكرت من الرسول ﷺ بعض لطفه بها. وحين رأت جفاءه لها استأذنت بالانتقال إلى أمها، لتمرضها فأذن لها. وبعد مرور بضع وعشرين ليلة خرجت مع أم مسطح بنت أبي رُهم بن المطلب بن عبد مناف، فعلمت بحديث الإفك، وعادت إلى البيت تبكي وقالت لأمها: (يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً).

قالت: أي بنية خفضي الشأن، فوالله قلما كانت امرأة حسناء عند رجل يُحبها لها ضرائر إلا كثّرن وكثّر الناس عليها.

الأوس والخزرج:

وقد قام الرسول ﷺ في الناس يخطبهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: **«أيها الناس: ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق؟ والله ما علمت منهم إلا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً، وما دخل بيتاً من بيوتي إلا وهو معي»** فلما قال

رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أسيد بن حُضير: يا رسول الله: إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فمُرْنا بأمرك، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم.

فقام سعد بن عُبادة فقال: كذبت – لعمر الله – لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا.

قال أسيد: كذبت – لعمر الله – ولكنك منافق تجادل عن المنافقين. وتساور الناس حتى كاد أن يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر، ونزل الرسول ﷺ فدخل على عائشة.

الاستشارة:

ودعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد، فاستشارهما فأما أسامة فأثنى خيراً وقال: يا رسول الله، أهلك، ولا نعلم عليهن إلا خيراً، وهذا الكذب والباطل. وأما علي فإنه قال: يا رسول الله، إن النساء لكثير وإنك لقادر على أن تستخلف، وسل الجارية تصدقك.

فدعا الرسول ﷺ بريرة ليسألها، فقام إليها علي فضربها ضرباً شديداً وهو يقول: اصدقي رسول الله، فقالت: والله ما أعلم إلا خيراً، وما كنت أعيب على عائشة إلا أني كنت أعجن عجيني، فآمرها أن تحفظه فتنام عنه، فيأتي الداجن فيأكله.

الرسول وعائشة:

تقول السيدة عائشة: ثم دخل علي رسول الله ﷺ وعندي أبواي، وعندي امرأة من الأنصار، وأنا أبكي وهي تبكي معي. فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**يا عائشة، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس، فاتقي الله وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة من عباده**».

قالت: فوالله ما هو إلا أن قال ذلك، فقلص دمعي، حتى ما أحس منه شيئاً، وانتظرت أبوي أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما، فقلت لهما: (ألا تجيبان رسول الله)؟ فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه.

قالت: فلما أن استعجما علي استعبرت فبكيت ثم قلت: والله لا أتوب إلى الله ما ذكرت أبداً، والله إني لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس، والله يعلم أني منه بريئة، لأقولن ما لم يكن. ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقونني، ولكني أقول كما قال أبو يوسف: (فصبرٌ جميلٌ والله المستعان على ما تصفون).

البراءة:

قالت السيدة عائشة: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه، فسُجي بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت. فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت، قد عرفت أني بريئة، وإن الله غير ظالمي. وأما أبواي فوالذي نفس عائشة بيده، ما سُري عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن

أنفسهما فرقاً أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس.

ثم سُري عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر منه مثل الجُمان في يوم شات، فجعل يمسح العرق عن جبينه، ويقول: «**أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك**» فقالت: بحمد الله وذمكم. ثم خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن وبدايتها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [١].

---

(١) سورة النور، الآيات: ١١ – ١٩.

إقامة الحد:

ثم أمر الرسول ﷺ بمسطح بن أثاثة، وحسان بن ثابت، وحمنة بنت جحش وكانوا ممن أفصح بالفاحشة فضربوا حدهم.

حبيبة الحبيب:

قالت السيدة عائشة - رضي الله عنها - لرسول الله ﷺ يا رسول الله، كيف حبك لي؟

قال ﷺ: «**كعقد الحبل**» فكانت تقول له: كيف العقدة يا رسول الله؟

فيقول: «**هي على حالها**». كما أن فاطمة - رضي الله عنها - ذهبت إلى رسول الله ﷺ تذكر عائشة عنده فقال: (يا بُنية: حبيبة أبيك).

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - لأم المؤمنين عائشة: (كنت أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يُحب إلا طيباً). وقال: (هلكت قلادتك بالأبواء، فأصبح رسول الله ﷺ يلتقطها فلم يجدوا ماءً، فأنزل الله عز وجل: ﴿ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ .

فكان ذلك بسببك وبركتك ما أنزل الله تعالى لهذه الأمة من الرخصة. وقال: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سمواته، فليس مسجد يُذكر الله فيه إلا وشأنك يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار. فقالت: يا ابن عباس دعني منك ومن تزكيتك، فوالله لوددت أني كنت نسياً منسياً.

رؤية جبريل:

قالت السيدة عائشة: رأيتك يا رسول الله واضعاً يدك على معرفة فرس، وأنت قائم تكلم دحية الكلبي .. قال ﷺ: «**أوقد رأيته**»؟ قالت: نعم. قال: «**فإنه جبريل، وهو يقرئك السلام**»، قالت: وعليه السلام ورحمة الله وجزاه الله خيراً من زائر، فنعم الصاحب ونعم الداخل.

زهدها:

قال عروة: إن معاوية بعث إلى عائشة - رضي الله عنها - بمائة ألف، فوالله ما غابت الشمس عن ذلك اليوم حتى فرقتها. قالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا من هذه الدراهم بدرهم لحماً. فقالت: لو قلت قبل أن أفرقها لفعلت.

فضلها العلمي:

كانت السيدة عائشة صغيرة السن حين صحبت الرسول ﷺ. وهذا السن يكون الإنسان فيه أفرغ بالاً، وأشد استعداداً لتلقي العلم. وقد كانت السيدة عائشة - رضي الله عنها - متوقدة الذهن، نيرة الفكر، شديدة الملاحظة. فهي - وإن كانت صغيرة السن - كانت كبيرة العقل. قال الإمام الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين، وعلم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل.

وقال أبو موسى الأشعري: ما أشكل علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها فيه علماً.

وكان عروة يقول للسيدة عائشة: يا أمتاه لا أعجب من فقهك؟ أقول زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر. ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام العرب، أقول بنية أبي بكر - وكان أعلم الناس - ولكن أعجب من علمك بالطب فكيف هو؟ ومن أين هو؟ وما هو؟

قال: فضربت على منكبي ثم قال: أي عُرية - تصغير عروة وكانت خالته - إن رسول الله ﷺ كان يسقم في آخر عمره، فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له فكنت أعالجه، فمن ثم.

اعتزال النبي لنسائه:

اعتزل النبي ﷺ نساءه شهراً، وشاع الخبر أن النبي ﷺ قد طلق نساءه، ولم يكن أحد من الصحابة يجرؤ على الكلام معه في ذلك، واستأذن عمر عدة مرات للدخول على الرسول ﷺ فلم يؤذن له.

ثم ذهب ثالثة يستأذن في الدخول على الرسول ﷺ فأذن له، فدخل عمر والنبي ﷺ متكئ على حصير قد أثر في جنبه، فقال عمر: أطلقت يا رسول الله نساءك؟

فرفع ﷺ رأسه وقال: لا.

فقال عمر: الله أكبر .. ثم أخذ عمر - وهو مسرور - يهون على النبي ﷺ ما لاقى من نسائه، فقال عمر: الله أكبر! لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتي

يوماً، فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ما تنكر أن راجعتك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسول الله ﷺ فإذاً هي قد هلكت؟

فتبسم رسول الله ﷺ فقال عمر: يا رسول الله، قد دخلت على حفصة فقلت: لا يغرنك أن كانت جاريتك - يعني عائشة - هي أوسم وأحب إلى رسول الله ﷺ منك، فتبسم الرسول ﷺ ثانية، فاستأذن عمر - رضي الله عنه - بالجلوس فأذن له. وكان ﷺ أقسم أن لا يدخل على نسائه شهراً من شدة موجدته عليهن، حتى عاتبه الله تعالى ونزلت هذه الآية في عائشة وحفصة لأنهما البادئتان في مظاهرة النبي ﷺ والآية التي تليها في أمهات المؤمنين: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴾[1] فما كان منهن وآيات الله تتلى على مسامعهن إلا أن قلن: ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

---

(١) سورة التحريم، الآيتان: ٤، ٥.

السيدة عائشة والإمام علي:

لم يكن يوم الجمل لعلي بن أبي طالب، والسيدة عائشة، وطلحة والزبير قصد في القتال. ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم. وكان علي – رضي الله عنه – يوقر أم المؤمنين عائشة ويجلها فهو يقول: إنها لزوجة نبينا ﷺ في الدنيا والآخرة. وكذا السيدة عائشة كانت تجل علياً وتوقره، فإنها – رضي الله عنها – حين خرجت، لم تخرج لقتال، وإنما خرجت بقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى. فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها.

فعندما أقبلت السيدة عائشة وبلغت مياه بني عامر ليلاً، نبحت الكلاب، فقالت: (أي ماءٍ هذا)؟ قالوا: (ماء الحوْأب).

قالت: ما أظنني إلا راجعة، قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيُصلحُ الله ذات بينهم.

قالت: إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: «**كيف بإحداكن تنبُحُ عليها كلاب الحوْأب**». وبعد أن انتهى القتال وقف علي – رضي الله عنه – على خباء عائشة يلومها على مسيرها فقالت: يا ابن أبي طالب، ملكت فأسجح – أي أحسن العفو(فجهزها إلى المدينة وأعطاها اثني عشر ألفاً – رضي الله عنهم أجمعين.

معاوية والسيدة عائشة:

لما قدم معاوية المدينة يريد الحج دخل على أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ومولاها ذكوان أبو عامر عندها فقالت له عائشة: (أمنت أن أخبئ لك رجلاً يقتلك بقتلك أخي محمداً)؟ قال معاوية: صدقت. فكلمها معاوية فلما قضى كلامه، تشهدت عائشة، ثم ذكرت ما بعث الله به نبيه من الهدى ودين الحق، والذي سن الخلفاء بعده، وحضت معاوية على اتباع أمرهم، فقالت في ذلك، فلم تترك.

فلما قضت مقالتها قال لها معاوية: أنت والله العالمة بأمر رسول الله ﷺ المناصحة المشفقة، البليغة الموعظة، حضضت على الخير وأمرت به، ولم تأمرينا إلا بالذي هو لنا، وأنت أهلٌ أن تطاعي. فتكلمت هي ومعاوية كلاماً كثيراً، فلما قدم معاوية اتكأ على ذكوان، قال: والله ما سمعت خطيباً ليس رسول الله ﷺ أبلغ من عائشة.

وفاتها:

توفيت سنة ثمان وخمسين في شهر رمضان لسبع عشرة ليلة خلت منه، ودُفنت في البقيع.

***

كان ما مضى هو ما أمكن تحديده من أسماء حملة القرآن من الصحابة. وقد تحقق بترتيب الأسماء على الحروف الهجائية لطيفة عجيبة لم تكن لتخطر لنا على بال وهي أن بدء أسمائهم كان بأبي بكر الصديق وخاتمة الأسماء كانت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر – رضي الله عنها – وذلك ما يعني أن القائمة بدأت بأحب الرجال إلى رسول الله ﷺ وختمت بأحب النساء إليه أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها كما أخبر ﷺ وكل منهما نزل فيه قرآن يتلى إلى يوم القيامة ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ . و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ .

ومـا يلفت النظر حقاً في بيان أسماء حملة القرآن من الصحابة الذين ذكـرنا أسمـاءهم فيما مضى أن عشرة منهم كانوا منتهى أسانيد القراءات العشر كما في أسانيد قراءاتهم المتواترة وذلك على النحو التالي:

إسناد القراءات العشر إلى الصحابة:

المـرجع إجـازة، أ.د. سيد محمد ساداتي الشقنيطي العشر عن شيخه أحمد مصطفى أبو حسن. وتحبير التيسير لابن الجزري.

(أ) نافع:

١) عبدالله بن عباس.

٢) أبي بن كعب.

(ب) ابن كثير:

١- أبي بن كعب.

٢- عبدالله بن عباس.

٣- زيد بن ثابت.

٤- عبدالله بن السائب.

(ج) أبو عمرو البصري:

١. عبدالله بن عباس.

٢. أبي بن كعب.

(د) ابن عامر:

(١) المغيرة بن أبي شهاب المخزومي.

(٢) عثمان بن عفان.

(٣) أبي الدرداء.

(هـ) عاصم:

١) عثمان بن عفان.

٢) علي بن أبي طالب.

٣) ابن مسعود.

٤) أبي بن كعب.

٥) زيد بن ثابت.

(و) حمزة:

١- علي بن أبي طالب.

٢- عبدالله بن عباس.

٣- أبي بن كعب.

٤- عثمان بن عفان.

٥- ابن مسعود.

٦- الحسين بن علي.

(ز) الكسائي:

١) ابن مسعود.

(ح) أبو جعفر:

١) عبدالله بن عباس.

٢) أبو هريرة.

٣) علي بن أبي طالب.

٤) أبي بن كعب.

٥) زيد بن ثابت.

(ط) يعقوب البصري:

١- أبي بن كعب.

٢- زيد بن ثابت.

٣- أبو موسى الأشعري.

(ك) خلف العاشر:

(١) عثمان وهم بالتحديد:

(٢) علي.

(٣) ابن مسعود.

(٤) زيد بن ثابت.

(٥) أبي بن كعب.

(٦) أبو الدرداء.

(٧) أبو هريرة.

(٨) أبو موسى الأشعري.

(٩) عبدالله بن عباس.

(١٠) الحسين بن علي.

بينما ذكر الإمام الذهبي في الطبقات أن ثمانية منهم هم الذين انتهى إليهم أسانيد القراءات العشر ولم يذكر ثلاثة منهم وهم:

١) عبدالله بن عباس.

٢) أبو هريرة.

٣) الحسين بن علي.

وهم قد ورد ذكرهم في أسانيد القراءات العشر كما في إجازتنا وفي التحبير كما ذكر. غير أن الإمام الذهبي في الطبقات اقتصر على سبعة منهم أبو هريرة وعبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - حيث عدّهما من الطبقة الثانية لأنهما قد أخذا عن الصحابة كامل القرآن ولم يأخذوه من كله مشافهة من الرسول ﷺ. وربما كان من المفيد إيراد أبيات رجزية نقلها إلى الأستاذ/ محمد الأمين الصبار عن حفظة القرآن في عهد النبي ﷺ.

أولاً:

فـــائدة حملـــة القـــرآن
زمـــن ســـيد الـــورى ثمـــا ني
زيـــد بـــن ثابـــت وذو الـــنورين
ونجـــل عـــوف وأبـــو الســـبطين
ثم معـــــاذ وأُبيّ القـــــارئ
وابـــن الـــزبير وتمـــيم الـــداري

ثانياً:

فـــائدة حملـــة القـــرآن
حـــياة ســـيد الـــورى ثمـــاني
أولهـــم عـــثمان ذو الـــنورين
ثم أبـــو الحســـن والحســـين
فحـــل عـــوف والـــزبير بـــن العـــوام
معـــاذ أعـــلم بحـــل وحـــرام
وزيـــد بـــن ثابـــت أبي
ثامـــنهم معهـــم الـــداري

واللافـت للـنظر حقـاً أن الأرجوزتـين لم تذكـرا غير الثمانية. بينما اثـنين لم نجـد ما يثبت حظهمن للقرآن وهما الزبير بن العوام وعبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنهما.

ومـا دام أن كـلاً مـنها قـد ذكـر في الأرجوزتين الموريتانيتين فإنه لا بأس من سرد ترجمتها لما فيه من الفائدة.

***

الزبير بن العوام - رضي الله عنه

حواري رسول الله ﷺ:

«إن لكل نبي حوارياً، وحواري الزبير بن العوام» [١].

الزبير بن العوام يلتقي نسبه مع الرسول ﷺ في (قصي بن كلاب) .. كما أن أمه (صفية) عمة رسول الله ﷺ، وزوجته أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين، كان رفيع الخصال عظيم الشمائل، يدير تجارة ناجحة وكان ثراؤه عريضاً لكنه أنفقه في الإسلام حتى مات مديناً.

الزبير وطلحة:

يرتبط ذكر الزبير دوماً مع طلحة بن عبيدالله، فهما الاثنان متشابهان في النشأة والثراء والسخاء والشجاعة وقوة الدين. وحتى مصيرهما كان متشابهاً. فهما من العشرة المبشرين بالجنة وآخى بينهما الرسول ﷺ، ويجتمعان بالنسب والقرابة معه. وتحدث عنهما الرسول قائلاً: **«طلحة والزبير جاراي في الجنة»**، وكانا من أصحاب الشورى الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب لاختيار خليفته.

أول سيف شهر في الإسلام:

أسلم الزبير بن العوام وعمره خمس عشرة سنة، وكان من السبعة الأوائل الذين سارعوا بالإسلام. وقد كان فارساً مقداماً، وإن سيفه هو

---

(١) حديث شريف.

أول سيف شهر في الإسلام، ففي أيام الإسلام الأولى سرت شائعة بأن الرسول الكريم قد قتل، فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه وامتشقه، وسار في شوارع مكة كالإعصار، وفي أعلى مكة لقيه الرسول ﷺ فسأله ماذا به؟ فأخبره النبأ، فصلى عليه الرسول ودعا له بالخير ولسيفه بالغلب.

إيمانه وصبره:

كان للزبير – رضي الله عنه – نصيباً من العذاب على يد عمه، فقد كان يلفه في حصير ويدخن عليه بالنار كي تزهق أنفاسه، ويناديه: (اكفر برب محمد أدرأ عنك هذا العذاب). فيجيب الفتى الغض: لا والله، لا أعود للكفر أبداً.

ويهاجر الزبير إلى الحبشة الهجرتين، ثم يعود ليشهد كلها مع الرسول ﷺ.

غزوة أحد:

في غزوة أحد وبعد أن انقلب جيش قريش راجعاً إلى مكة، ندب الرسول ﷺ الزبير وأبو بكر لتعقب جيش المشركين ومطاردته. فقاد أبو بكر والزبير – رضي الله عنهما – سبعين من المسلمين قيادة ذكية، أبرزا فيها قوة جيش المسلمين حتى أن قريش ظنت أنهم مقدمة لجيش الرسول القادم لمطاردتهم فأسرعوا خطاهم لمكة هاربين.

بنو قريظة:

وفي يـوم الخـندق قـال الرسـول ﷺ: «**مـن رجـلٌ يأتيـنا بخـبر بـني قـريظة**»؟ فقـال الـزبير: (أنـا) فذهـب ثـم قالهـا الثانـية فقال الزبير: (أنا) فذهـب، ثـم قالهـا الثالثة فقال الزبير: (أنا) فذهب، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبي حواريٌّ، والزبير حواريَّ وابن عمتي**».

وحـين طـال حصـار بـني قـريظة دون أن يستسـلموا للرسول ﷺ، أرسـل الرسـول الـزبير وعلـي بـن أبي طالب فوقفا أمام الحصن يرددان: (والله لـنذوقن ماذاق حمزة، أو لنفتحن عليهم حصنهم) ثم ألقيا بنفسيهما داخـل الحصن وبقوة أعصابهما أحكما وأنزلا الرعب في أفئدة المتحصنين داخله وفتحا للمسلمين أبوابه.

يوم حنين:

وفي يـوم حـنين أبصـر الـزبير (مالك بن عوف) زعيم هوازن وقائد جـيوش الشـرك في تلـك الغـزوة. أبصـره واقفـاً وسط فيلق من أصحابه وجيشـه المـنهزم، فاقـتحم حشـدهم وحده، وشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذي كانوا يتربصون فيه ببعض المسلمين العائدين من المعركة.

حبه للشهـادة:

كـان الـزبير بـن العـوام شـديد الولـع بالشـهادة، فهاهو يقول: (إن طـلحة بن عبيدالله يسمي بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم ألا نبي بعد محمد، وإني لأسمي بني بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون).

وهكذا سمى ولده عبدالله تيمناً بالشهيد عبدالله بن جحش.

وسمى ولده المنذر تيمناً بالشهيد المنذر بن عمرو. وسمى ولده عروة تيمناً بالشهيد عروة بن عمرو، وسمى ولده حمزة تيمناً بالشهيد حمزة بن عبدالمطلب، وسمى ولده جعفراً تيمناً بالشهيد جعفر بن أبي طالب. وسمى ولده مصعباً تيمناً بالشهيد مصعب بن عمير، وسمى ولده خالداً تيمناً بالشهيد خالد بن سعيد .. وهكذا أسماهم راجياً أن ينالوا الشهادة في يوم ما.

وصيته:

كان توكله على الله منطلق جوده وشجاعته وفدائيته، وحين كان يجود بروحه أوصى ولده عبدالله بقضاء ديونه قائلاً: (إذا أعجزك دين، فاستعن بمولاي) وسأله عبدالله: أي مولى تعني؟ فأجابه: الله، نعم المولى ونعم النصير).

يقول عبدالله فيما بعد: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض دينه، فيقضيه.

موقعة الجمل:

بعد استشهاد عثمان بن عفان أتم المبايعة الزبير وطلحة لعلي – رضي الله عنهم جميعاً – وخرجا إلى مكة معتمرين، ومن هناك إلى البصرة للأخذ بثأر عثمان. وكانت وقعة الجمل عام ٣٦هـ، طلحة والزبير في فريق وعلي في الفريق الآخر. وانهمرت دموع علي – رضي الله عنه –

عـندما رأى أم المؤمنين عائشة في هودجها بأرض المعركة، وصاح بطلحة: (يـا طـلحة: أجئـت بعـرس رسـول الله تقـاتل بهـا، وخـبأت عرسك في البيـت)؟ ثـم قـال للـزبير: يا زبير: نشدتك الله، أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحـن بمكـان كـذا، فقـال لك: يا زبير، ألا تحب علياً؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي، وابن عمي، ومن هو على ديني؟

فقال لك: يا زبير، أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: نعم أذكر الآن، وكنت قد نسيته، والله لا أقاتلك.

وأقلـع طـلحة والـزبير – رضـي الله عنهما – عن الاشتراك في هذه الحـرب، ولكـن دفعـا حـياتهما ثمناً لانسحابهما، ولكن لقيا ربهما قريرة أعيـنهما بمـا قررا. فالزبير تعقبه رجل اسمه عمرو بن جرموز وقتله غدراً وهو يصلي، وطلحة رماه مروان بن الحكم بسهم أودى بحياته.

الشهادة:

لمـا كان الزبير بوادي السباع نزل يصلي، فأتاه ابن جرموز من خلفه فقـتله وسارع قاتل الزبير إلى علي يبشره بعدوانه على الزبير، ويضع سيفه الـذي استلبه بـين يديه. لكن علياً صاح حين علم أن بالباب قاتل الزبير يسـتأذن وأمـر بطـرده قـائلاً: (بشر قاتل ابن صفية بالنار)، وحين أدخلوا علـيه سيف الـزبير قـبله الإمام وأمعن في البكاء وهو يقول: (سيف طالماً والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله ﷺ).

وبعد أن انتهى علي - رضي الله عنه - من دفنهما ودعهما بكلمات أنهاها قائلاً: إني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير وعثمان من الذين قال الله فيهم: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[1] . ثم نظر إلى قبريهما وقال: سمعت أذناي هاتان رسول الله ﷺ يقول: «**طلحة والزبير، جاراي في الجنة**».

***

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٧.

عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه

أحد العشرة المبشرين بالجنة:

«يا بن عوف إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنة حبْواً، فأقرض الله يُطلق لك قدميك» (١).

عبدالرحمن بن عوف أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، عرض عليه أبو بكر الإسلام فما غُم عليه الأمر ولا أبطأ، بل سارع إلى الرسول ﷺ يبايعه. وفور إسلامه حمل حظه من اضطهاد المشركين. هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى والثانية، كما هاجر إلى المدينة مع المسلمين وشهد المشاهد كلها، فأصيب يوم أحد بعشرين جرحاً أحدها ترك عرجاً دائماً في ساقه، كما سقطت بعض ثناياه فتركت هتماً واضحاً في نطقه وحديثه.

التجارة:

كان - رضي الله عنه - محظوظاً بالتجارة إلى حد أثار عجبه فقال: (لقد رأيتني لو رفعت حجراً لوجدت تحته فضة وذهباً).

وكانت التجارة عند عبدالرحمن بن عوف عملاً وسعياً لا لجمع المال ولكن للعيش الشريف، وهذا ما نراه حين آخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبدالرحمن بن عوف وسعد بن ربيع، فقال سعد لعبدالرحمن: أخي أنا أكثر أهل المدينة مالاً، فانظر شطر مالي

---

(١) حديث شريف.

فخذه. وتحتي امرأتان، فانظر أيتهما أعجب لك حتى أطلقها وتتزوجها.

فقال عبدالرحمن: (بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلوني على السوق)، وخرج إلى السوق فاشترى وباع وربح.

حق الله:

كانت تجارة عبدالرحمن بن عوف ليست له وحده، وإنما لله والمسلمين حق فيها، فقد سمع الرسول ﷺ يقول يوماً: «**يا بن عوف إنك من الأغنياء، وإنك ستدخل الجنة حَبْواً، فأقرض الله يُطلق لك قدميك**»، ومنذ ذاك الحين وهو يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه الله له أضعافاً، فقد باع يوماً أرضاً بأربعين ألف دينار فرقها جميعاً على أهله من بني زُهرة وأمهات المسلمين وفقراء المسلمين، وقدم خمسمائة فرس لجيوش الإسلام، ويوماً آخر ألفاً وخمسمائة راحلة.

وعند موته أوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأربعمائة دينار لكل من بقي ممن شهدوا بدراً حتى وصل للخليفة عثمان نصيب من الوصية فأخذها وقال: (إن مال عبدالرحمن حلال صفو، وإن الطعمة منه عافية وبركة)، وبلغ من جود عبدالرحمن بن عوف أنه قيل: أهل المدينة جميعاً شركاء لابن عوف في ماله، ثلث يقرضهم، وثلث يقضي عنهم ديونهم، وثلث يصلهم ويعطيهم.

وخلف بعده ذهباً كثيراً، ضُرب بالفؤوس حتى مجلت منه أيدي الرجال.

قافلة الإيمان:

في أحد الأيام اقترب على المدينة ريح تهب قادمة إليها حسبها الناس عاصفة تثير الرمال، لكن سرعان ما تبين أنها قافلة كبيرة موقرة الأحمال تزحم المدينة وترجها رجاً، وسألت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – ما هذا الذي يحدث في المدينة؟

وأجيبت أنها قافلة لعبدالرحمن بن عوف، أتت من الشام تحمل تجارة له فعجبت أم المؤمنين: قافلة تحدث كل هذه الرجة؟ فقالوا لها: أجل يا أم المؤمنين، إنها سبعمائة راحلة.

وهزت أم المؤمنين رأسها وتذكرت: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رأيت عبدالرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً**» ووصلت هذه الكلمات إلى عبدالرحمن بن عوف، فتذكر أنه سمع هذا الحديث من النبي ﷺ أكثر من مرة، فحث خطاه إلى السيدة عائشة وقال لها: لقد ذكرتني بحديث لم أنسه، ثم قال: أما إني أشهدك أن هذه القافلة بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله، ووزعت حمولة سبعمائة راحلة على أهل المدينة وما حولها.

الخوف:

وثراء عبدالرحمن – رضي الله عنه – كان مصدر إزعاج له وخوف. فقد جيء له يوماً بطعام الإفطار وكان صائماً، فلما وقعت عليه عيناه فقد شهيته وبكى ثم قال: استشهد مصعب بن عمير وهو خير مني فكفن في

بـردة إن غطت رأسه بدت رجلاه، وإن غطت رجليه بدا رأسه. واستشهد حمـزة وهـو خـير مـني، فلم يوجد له ما يُكفن فيه إلا بردة. ثم بُسط لنا في الدنـيا ما بُسط، وأعطينا منها ما أعطينا وإني لأخشى أن نكون قد عُجلت لنا حسناتنا.

كمـا وضـع الطعـام أمامـه يومـاً وهـو جـالس مـع أصحابه فبكى، وسـألوه: مـا يبكيك يا أبا محمد؟ فقال: لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ما أرانا أخّرنا لما هو خير لنا.

وخوفـه هـذا جعـل الكـبر لا يعرف لـه طريقاً، فقد قيل: أنه لو رآه غريب لا يعرفه وهو جالس مع خدمه، ما استطاع أن يميزه من بينهم.

الهروب من السلطة:

كـان عـبدالرحمن بن عوف من الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمـر الخلافـة لهـم مـن بعـده قـائلاً: لقـد توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

وأشـار الجمـيع إلى عـبدالرحمن في أنـه الأحق بالخلافة فقال: (والله لأن تؤخـذ مديـة فتوضـع في حلقي، ثم ينفذ بها إلى الجانب الآخر، أحب إلـي مـن ذلـك) وفـور اجـتماع الستة لاختـيار خلـيفة الفـاروق تـنازل عـبدالرحمن بـن عـوف عـن حقه الذي أعطاه إياه عمر، وجعل الأمر بين الخمسـة الـباقين، فاختـاروه لـيكون الحكم بينهم وقال له علي – كرم الله وجهـه – لقـد سمعت رسول الله ﷺ يصفك بأنك أمين في أهل السماء،

وأمين في أهل الأرض. فاختار عبدالرحمن بن عوف (عثمان بن عفان) للخلافة، ووافق الجميع على اختياره.

وفاته:

في العام الثاني والثلاثين للهجرة جاد بأنفاسه - رضي الله عنه - وأرادت أم المؤمنين أن تخصه بشرف لم تخص به سواه. فعرضت عليه أن يُدفن في حجرتها إلى جوار الرسول وأبي بكر وعمر، لكنه استحى أن يرفع نفسه إلى هذا الجوار، وطلب دفنه بجوار عثمان بن مظعون إذ تواثقا يوماً أيهما مات بعد الآخر يدفن إلى جوار صاحبه. وكانت يتمتم وعيناه تفيضان بالدمع: إني أخاف أن أحبس عن أصحابي لكثرة ما كان لي من مال، ولكن سرعان ما غشته السكينة وأشرق وجهه وأرهفت أذناه للسمع كما لو كان هناك من يحادثه، ولعله سمع ما وعده الرسول ﷺ: «عبدالرحمن بن عوف في الجنة».

إضافة إلى ما اثبتناه في بعض نشير إلى أن أربعة آخرين هم أبو زيد ثابت بن زيد بن النعمان ووليد بن معاوية بن زيد بن ثابت بن النعمان ومعاوية بن أبي سفيان وأسد بن مالك قد ذكر الأولين منها في الهمزة لابن النديم، ص٤١ وذكر الآخرين في مجلة كنوز الفرقان التي كانت تصدر من الأزهر ولم نستطع اعتبارهم من حملة القرآن لعدم وجود أسمائهم في المراجع الأصلية التي عدت لها عند إعداد الكتاب.

ومما تقدم يتضح أن العدد الذي خرجنا به من بحثنا في موضوع

الكتاب وهو لم يصل إليه باحث من قبلنافيما اطلعنا عليه. وهذا من توفيق الله وفضله فالحمد لله الذي وفق وسدد وأعان. والحمد الله أولاً وآخراً وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وقد يكون من المفيد أيضاً إلى الإشارة إلى أن الدكتور محمد شرعي في موقعه على الإنترنت قد قام بمحاولة حصر الحفاظ من الصحابة وذلك حيث يقول:

كان أصحاب النبي ﷺ يحفظون القرآن بسماعه منه، فهذه أم هشام بنت حارثة ابن النعمان تحفظ سورة من القرآن من فيّ رسول الله ﷺ.

عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان قالت: لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذت ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ، يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر إذا خطب الناس.

ومع حرص أصحاب النبي ﷺ الشديد على تلقي القرآن منه وحفظه – كان ﷺ يشجعهم ويحثهم على تعلم القرآن وتعليمه.

عن عثمان – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»

وكان ﷺ يحرص أن يتعلم كل من التحق بدار الإسلام بالمدينة القرآن، فكان يختار لهم من يعلمهم.

عن عبادة بن الصامت قال كان رسول الله ﷺ يُشغل، فإذا قدم

رجلٌ مهاجرٌ على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن.

ولقد حفظ القرآن الكريم من الصحابة جمع كبير يصعب حصره. فقد ثبت في الصحيحين أنه قتل في بئر معونة سبعون من القراء:

عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء ناسٌ إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة. فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء، يقرؤون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء فبعثهم النبي ﷺ إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم.

وروي أنه قتل في وقعة اليمامة كثير من القراء، ويدل على ذلك قول عمر - رضي الله عنه: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن.

قال الحافظ في الفتح: وهذا يدل على أن كثيراً ممن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جمعه، لا أن كل فرد جمعه.

وقد عرف من قراء الصحابة كثيرون، منهم الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ ابن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبدالله بن عمر، وعقبة بن عامر، وأبو أيوب الأنصاري،

وعبادة بن الصامت، ومجمع بن جارية وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأم ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصاري، وعبدالله بن عباس، وأبو هريرة، وعبدالله بن السائب بن أبي السائب المخزومي، وعبدالله بن عياش بن أبي ربيعة – رضي الله عنهم.

فعن عبدالله بن عمرو أنه ذكر عبدالله بن مسعود فقال: لا أزال أحبه؛ سمعت النبي ﷺ يقول: «**خذوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب**».

وعن شقيق بن سلمة قال خطبنا عبدالله بن مسعود فقال: والله لقد أخذت من فيّ رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة.

وعن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك من جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: (أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، ورجلٌ من الأنصار يكنى أبا زيد). وفي رواية أبو الدرداء مكان أبي بن كعب.

وعن أم ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصاري وكانت قد جمعت القرآن وكان النبي ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن، وكانت تؤم أهل دارها.

ثم دارت أسانيد القراء العشرة على ثمانية من الصحابة هم:

١) عثمان بن عفان.

٢) علي بن أبي طالب.

٣) أبي بن كعب.

٤) عبدالله بن مسعود.

٥) زيد بن ثابت.

٦) أبو موسى الأشعري.

٧) أبو الدرداء.

٨) عمر بن الخطاب.

أسانيد القراء العشرة إلى الصحابة:

أذكر هنا من تصل إليه أسانيد القراء العشرة من الصحابة:

١) قراءة نافع بن عبدالرحمن المدني:

عن ستة من الصحابة هم: عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عياش، وأبو هريرة.

٢) قراءة عبدالله بن كثير المكي:

عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن السائب.

٣) قراءة أبي عمرو البصري:

عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عياش، وعبدالله بن السائب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبي هريرة.

٤) قراءة عبدالله بن عامر الشامي:

عن عثمان بن عفان، وأبي الدرداء.

٥) قراءة عاصم بن أبي النجود:

عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب.

٦) قراءة حمزة بن حبيب الزيات:

عن عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، والحسين بن علي بن أبي طالب.

٧) قراءة علي بن حمزة الكسائي:

عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عياش، وأبي هريرة، والحسين بن علي بن أبي طالب.

٨) قراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع:

عن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وابن عباس، وعبدالله بن عياش، وأبي هريرة.

٩) قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي:

عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وعبدالله بن مسعود، وأبي موسى الاشعري، وعبدالله بن عباس، وعبدالله بن عياش، وعبدالله بن السائب، وأبي هريرة.

١٠) قراءة خلف بن هشام البزار:

عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وعبدالله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، والحسين بن علي بن أبي طالب.

وقد عدنا بعد الانتهاء من إعداد الكتاب على البحث الذي نشرته مجلة كنوز الفرقان عن حفاظ القرآن من الصحابة ونصه: والذن حفظوا القرآن كله وأكملوه في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته كانوا جمعاً غفيراً، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، وسعد، وابن مسعود، وحذيفة، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس،وعمرو بن العاص، وابنه عبدالله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبدالله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة، وتميم بن أوس الداري، وعقبة بن عامر، وأبو موسى الأشعري؛ ومنهم أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، ومجمع بن جارية، وأنس بن مالك، وأبو زيد الذي سئل عنه أنس فقال أحد عمومتي، وعبادة بن الصامت، ومعاذ الذي يكنى أبا حليمة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو أيوب الأنصاري، وسعد ابن عبادة الخزرجي الأنصاري، وأم ورقة بنت عبدالله بن الحارث الأنصارية، وسعد أو سعيد بن عبيد الأنصاري.

ومن ذلك يتأكد ما ذكرنا سابقاً من أن ما جمعناه لم نسبق إليه.

***



الخاتمة

خاتمة هذا الكتاب المبارك ومقتضاها أن هذا الكتاب قد ضم في ثناياه مادة علمية غزيرة فيما يتعلق بحملة كتاب الله من الصحابة إجمالاً وتفصيلاً. إلى جانب ترجمة واسعة عن كل منهم. وحدد من انتهت إليه أسانيد القراءات العشر المتواترة ومن أبرز ما كشف عنه هذا الكتاب هو شدة بعدنا عن مصادر عزتنا ومن ثم فإني أوصي وبشدة بإعادة النظر في حياتنا.



أهم المراجع

١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني.

٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزري.

٣) تفسير ابن كثير.

٤) تفسير القرطبي.

٥) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، لابن حجر.

٦) الأرجوزة المنبهة لأبي عمرو الداني.

٧) طبقات القراء للذهبي.

٨) معرفة القراء الكبار للذهبي.

٩) الأحرف السبعة ومنزلة القراءات منها، حسن ضياء الدين.

١٠) الإتقان، للسيوطي.

١١) سنن القراء والمجودين، عبدالعزيز قارئ.

١٢) مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح.

١٣) السبعة لابن مجاهد.

١٤) الكامل لابن الأثير.

للاستزادة من أخبار أبي أيوب أنظر:

١- الإصابة، طبعة السعادة: ٢/ ٨٩-٢٩٠.

٢- الاستيعاب (حيدر آباد): ١/ ١٥٢.

٣- أسد الغابة: ٥/ ١٤٣-١٤٤.

٤- تهذيب التهذيب: ٣/ ٩٠-٩١.

٥- تقريب التهذيب: ١/ ٢١٣.

٦- ابن خياط: ٨٩، ١٤٠، ١٩٠، ٣٠٣٠.

٧- تجريد أسماء الصحابة: ١/ ١٦١.

٨- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ١٠٠، ١٠١.

٩- المصباح المنير في تهذيب ابن كثير.

١٠- الجرح والتعديل: ج١، ق٢/ ١٣١.

١١- صفة الصفوة: ١/ ١٨٦-١٨٧.

١٢- الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٨٣ – ٤٨٥.

١٣- العبر: ١/ ٥٦.

١٤- تاريخ الإسلام للذهبي: ٢/ ٣٢٧-٣٢٨.

١٥- شذرات الذهب: ١/ ٥٧.

١٦- دائرة المعارف الإسلامية: ١/ ٣٠٩، ٣١٠.

١٧- الجمع بين رجال الصحيحين: ١/ ١١٨-١١٩.

١٨- من أبطالنا الذين صنعوا التاريخ (لأبي لمط الفتوح التونسي) ١٠٥-١١٠.

١٩- سلسلة أعلام المسلمين رقم: ٤.
٢٠- الاعلام: ٢/ ٣٣٦.

للتوسع:

- غايـة الـنهاية: ٢/ ٣٠١ - البداية والنهاية ٧/ ٩٧ - السير: ١/ ٤٤٣.
- الاستيعاب: ٣/ ١٤٠٢ - الإصابة ٣/ ٤٢٦ - الحلية: ١/ ٢٢٨ - ٢٤٤ - أسد الغابة: ٥/ ١٩٤.
- الطـبقات ٣/ ٥٨٣ - صـحيح مسلم: ١٦/ ١٩ - فتح الباري: ٨/ ٦٦٤ - الأعلام: ٧/ ٢٥٨.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام.
- أعلام النساء/ الجزء الخامس/ ص٢٨٤، ٢٨٥.
- تهذيـب التهذيـب/ شـهادب الديـن أحمد بن علي الشهير بابن حجر/ المجلد السادس/ ص٥٧٨.
- ١http://www.dora.com/tarbya/shakhsyat_islamyah_nesa٢yah/om_warakah.htm.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالم العرب الإسلامي.
- ٢http://www.dora.com/com/tarbya/shakhsyat-islamyah-nesa٢yah/om_warakah.htm.
- ٣http://www.cora.com/tarbya/shakhsyat_islamyah_nesa٢yah/om_warakah.htm.
- أعلام النساء، الجزء الخامس، ص٢٨٤، ٢٨٥.
- تهذيـب التهذيـب، شـهاب الديـن أحمـد بـن علي الشهير بابن حجر، المجلد السادس، ص٥٧٨.

***

الفهرس

المقدمة ٥

نصوص أقوال من تعرض لبيان عدد حفاظ القرآن من الصحابة من المفسرين والمحدثين وعلماء القراءات وعلوم القرآن ١١

القول فيمن جمع القرآن في عهد رسول الله ﷺ.......................... ٢٦

القول في القراء من الصحابة ٢٧

القول في المتصدرين منهم بالمدينة................................ ٢٨

القول في المتصدرين منهم بالشام والعراق.............................. ٢٩

الطبقة الأولى: الذين عرضوا على رسول الله ﷺ رضي الله عنهم ٣١

عثمان بن عفان – رضي الله عنه: ٣١

علي بن أبي طالب – رضي الله عنه ٣٣

أبي بن كعب ٣٦

عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه ٣٩

زيد بن ثابت – رضي الله عنه ٤٢

أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه ٤٤

أبو الدرداء – رضي الله عنه.............................. ٤٦

الطبقة الثانية: وهم الذين عرضوا على بعض المذكورين قبلهم ٤٨

أبو هريرة – رضي الله عنه:.............................. ٤٨

ابن عباس – رضي الله عنهما ٥٠

عبدالله بن السائب – رضي الله عنه ٥٢

المغيرة.. ٥٥

طبقات القراء وتراجم المشهورين........................ ٥٦
أبو بكر الصديق – رضي الله عنه ٧٢
الإسراء والمعراج: ٧٦
أبو الدرداء – رضي الله عنه –........................ ٨٣
أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه ٨٨
أبو هريرة – رضي الله عنه ٩٥
أبي بن كعب – رضي الله عنه........................ ١٠٠
أبو أيوب الأنصاري – رضي الله عنه........................ ١٠٦
تميم بن أوس – رضي الله عنه........................ ١١٤
الحسين بن علي بن أبي طالب– رضي الله عنهما........................ ١١٨
سيد شباب الجنة: ١١٨
حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه ١٢٣
حمران بن قيس الفزازي........................ ١٣٢
زيد بن ثابت – رضي الله عنه ١٣٤
سالم مولى أبي حذيفة – رضي الله عنه........................ ١٣٩
سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه........................ ١٤٣
سعد بن عباد – رضي الله عنه........................ ١٥٠
سعد بن عبيد بن النعمان الأنصاري الشهيد القارئ – رضي الله عنه ... ١٥١
طلحة بين عبيدالله – رحمه الله ١٥٥
معاذ بن الحارث – رحمه الله – (أبو حليمة) ١٦٠
عبادة بن الصامت – رضي الله عنه........................ ١٦٣
عبدالله بن عياش – رضي الله عنه ١٧٠

علي بن أبي طالب – رضي الله عنه ١٧١
عبدالله بن العباس – رضي الله عنه حَبْر هذه الأمة.................. ١٧٩
عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – صاحب السواد ١٩٢
عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه ٢٠٣
عثمان بن عفان – رضي الله عنه ٢٠٨
عقبة بن عامر – رضي الله عنه ٢١٩
عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ٢٢٠
عمرو بن العاص – رضي الله عنه ٢٢٨
عبدالله بن الزبير – رضي الله عنه ٢٤٤
عبدالله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه ٢٥٣
عبدالله بن السائب – رضي الله عنه ٢٦٣
فضالة بن عبيد الأنصاري – رضي الله عنه ٢٦٦
قيس بن السكن الأنصاري (أبو زيد)............................. ٢٦٨
المغيرة المخرومي ٢٧٠
معاذ بن جبل – رضي الله عنه.................................. ٢٧١
المقداد بن الأسود الكندي – رضي الله عنه.......................... ٢٧٣
مسلمة بن مخلد... ٢٨١
مجمع بن حارثة – رضي الله عنه ٢٨٢
أم سلمة – هند بنت أبي أمية – أم المؤمنين ٢٨٤
أم ورقة بنت عبدالله الأنصارية – رضي الله عنها...................... ٢٩٠
حفصة بنت عمر – رضي الله عنهما.............................. ٢٩٣
عائشة بنت أبي بكر الصديق– رضي الله عنها ٣٠٠

الزبير بن العوام – رضي الله عنه.. ٣١٩
عبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنه ٣٢٥
أسانيد القراء العشرة إلى الصحابة: ٣٣٣
الخاتمة.. ٣٣٧
أهم المراجع.. ٣٣٨
الفهرس ٣٤١

***